جمهورية العراق

وزارة التعليم العالي والبحث

جامعة كربلاء/ كلية العلوم الاسلامية

قسم الدراسات القرآنية والفقه

مفهوم المبادرة في القرآن الكريم دراسة تفسيرية_

رسالة مقدمة الى مجلس كلية العلوم الإسلامية / جامعة كربلاء

وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في الشريعة والعلوم الإسلامية

كتبت من قبل الطالب

اكرم محمد علي حسن يعقوب

إشْرَاف

م. د. مسلم جواد خضير

١٤٤٦هـ ٢٠٢٤

﴿ بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْض أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾

آل عمران: الآية ١٣٣

﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾

البقرة: الآية ١٤٨

صدق الله العلي العظيم

ترشيح الرسالة للطبع

نظراً لإنجاز رسالة الماجستير(فصولها ومباحثها) الموسومة بـ **(مفهوم المبادرة في القرآن الكريم – دراسة تفسيرية)** لطالب الماجستير **(أكرم محمد علي حسن يعقوب)** فاني أُرشحها للطبع .

التوقيع:

المشرف : م . د . سالم جواد خضير

مكان العمل: جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية

التاريخ: ٦ / ٦ / ٢٠٢٤

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إقرار المشرف

أشهد أنَّ رسالة الماجستير الموسومة بـ (**مفهوم المبادرة في القرآن الكريم – دراسة تفسيرية**) التي قُدمتْ من قبل الطالب (**أكرم محمد علي حسن يعقوب**) وقد تم إعدادها بإشْرافي في جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية وهي من متطلبات نيل شهادة الماجستير؛ في الشريعة والعلوم الإسلامية.

التوقيع:

المرتبة العلمية : مدرس دكتور

الإسم: م . د . سلم جواد خضير

مكان العمل: جامعة كربلاء/كلية العلوم الإسلامية

التاريخ: ١٢/٦/٢٠٢٤

بناءً على التوصيات المتوافرة أرشح هذه الرسالة للمناقشة.

التوقيع:

الاسم: أ.م.د. عمار محمد حسين الأنصاري

التاريخ: ٢/٨/٢٠٢٤

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

شهادة الخبير اللغوي

اطلعت على رسالة الطالب (مفهوم المبادرة في القرآن الكريم دراسة تفسيرية) الموسومة بـ ( ) وقومتها لغوياً وأجد أنها صالحة للمناقشة.

التوقيع:

المرتبة العلمية: مدرس دكتور

الاسم: سلام طارق هادل

مكان العمل: كلية العلوم الإسلامية

التاريخ: ٢/٦/٢٠٢٠

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إقرار لجنة المناقشة

نشهد نحن رئيس لجنة المناقشة وأعضاؤها أننا اطلعنا على هذه رسالة الماجستير الموسومة بـ (مفهوم المبادرة في القرآن الكريم – دراسة تفسيرية) وناقشنا الطالب (اكرم محمد علي حسن) في محتواه وفيما له علاقة به ونعتقد أنه جدير بالقبول بتقدير(ممتاز) لنيل شهادة الماجستير في الشريعة والعلوم الإسلامية.

أ. د ضرغام كريم كاظم

جامعة كربلاء/ كلية العلوم الإسلامية

رئيساً

أ. د ناهدة جليل عبد الحسن

جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية

عضواً

أ.م. د عدي جواد الحجار

جامعة الكوفة/ كلية التربية الاساسية

عضواً

م. د مسلم جواد خضير

جامعة كربلاء/ كلية العلوم الإسلامية

عضواً ومشرفاً

صدقت في جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية

التوقيع:

الاسم: أ. د. محمد حسين عبود الطائي

العميد

التاريخ: ١٧/ ٩/ ٢٠٠٤

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الإهداء

إلى... فاطمة وأبيها وبعلها وبنيها والسّر المستودع فيها .

إلى... سيدي ومولاي الحجة ابن الحسن (عجل تعالى فرجه الشريف)

إلى... من ربياني صغيراً، وراعياني كبيراً، الى من غرسا في نفسي حب العلم وشجعاني على السير في طلبه، أبي رحمه الله، وإمي حفظها الله .

إلى... اخوتي وأخواتي .

إلى... أساتذي وزملائي .

الى... شهداء العراق وقادة النصر وشهداء على طريق القدس .

أهدي هذا العمل المتواضع، راجياً من المولى عز وجل القبول والنجاح .

الباحث

الشكر والعرفان

الحمدُ لله على آلائه ونعمائه، الذي أعطاني أكثر مما أستحق، وما زال ينعم على ويتفضل، ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾ [الأحقاف : من الآية ١٥]. أحمده تعالى على توفيقه وامتنانه، وأصلي وأسلم على الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله) وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين.

فإني أتوجه بالشكر والتقدير لأستاذي الفاضل الدكتور مسلم جواد خضير، الذي قام بالإشراف على هذه الرسالة، وما قدمه لي من نصائح وارشادات، طوال الوقت، والذي لم يمل بتصحيح أخطائي أثناء البحث ولم يزل يقدم توجيهاته القيمة إلى أن خرج البحث، فله منى فائق المحبة والاحترام.

ويسعدني ان اتقدم بالشكر إلى من شجعني وحفزني وساندني من اساتذتي في كلية العلوم الإسلامية الافاضل الذي لم يتوانوا في تقديم النصح والمشورة لي.

كما واتقدم بالشكر للأهل والاقارب والاصدقاء والزملاء الذين كانوا يساندونني باستمرار .

كما أتقدم بالشكر إلى الاساتذة الكرام رئيس وأعضاء لجنة المناقشة، الذين تحملوا عناء قراءة ومناقشة هذه الرسالة .... ويسعدني ايضا ان اتقدم بالشكر إلى كل من قام بمساعدتي ومساندتي في اعداد هذه الرسالة .

الباحث

الخلاصة

القرآن الكريم هو كتاب الله الذي أنزل على رسوله محمد (صلى الله عليه وآله)، وهو كتاب الهداية والنور للناس كافة. نجد فيه العديد من الآيات التي تحث المسلمين على المبادرة والعمل الجاد في سبيل الله سبحانه وتعالى.

لا يخفى على أحد أن مفهوم المبادرة في القرآن الكريم من الموضوعات المهمة والبارزة. تمثل إحدى الركائز الأساسية التي تقوم عليها رسالة الإسلام، فهي تعتبر من أهم الصفات التي يجب أن يتحلى بها المسلم، ومن أبرز الصفات التي تميزه عن غيره. المبادرة واضحة في القرآن الكريم في العديد من الأشكال والمجالات ، حيث يحث القرآن المسلمين على التحلي بروح المبادرة في مختلف جوانب الحياة.

وتتجلى أهمية دراسة الموضوع في أنه من أهم الوسائل التي تقرب العبد إلى ربه وتحقق له الخلاص والرخاء في الدنيا والآخرة، وكيف تساهم في تعزيز دور المسلم في التقدم والرقي على مختلف الأصعدة، لأنه يمثل مفتاح النجاح والتقدم، وهو سمة من سمات الدول المتقدمة والشعوب الصاعدة.

ومن هذا المنطلق جاءت هذه الرسالة لتسليط الضوء على مفهوم المبادرة في القرآن الكريم، وبيان أهم مظاهرها وأبعادها، وبيان أثرها والفائدة المرجوة منها في حياة المسلم، من خلال استقراء النصوص القرآنية ذات الصلة وربطها بواقع المسلمين.

وقد استعمل البحث المنهجين: الاستقرائي والتفسيري في الإجابة عن مشكلة البحث .

اما ابرز العناوين التي تناولها البحث فكانت على النحو الاتي :

١- المبادرة في نطاق آيات العقدية .

٢- المبادرة في نطاق آيات الاحكام .

٣- المبادرة في نطاق آيات التربوية والاخلاقية

واما أبرز النتائج التي توصل إليها البحث :

١- اهتمام القرآن الكريم بمفهوم المبادرة اهتماماً بالغاً، وهذا مما يؤكد حرص الإسلام على المبادرة في المجالات المتعددة .

٢- عدم اقتصار مفهوم المبادرة على المعنى المادي المتعارف والمتبادر للذهن عند إطلاقه، بل تشمل المعاني والمفاهيم المعنوية أيضاً .

٣- تبلور أن القرآن الكريم له الأثر الكبير في تنمية القيم والمبادئ والأخلاق الإسلامية من خلال تعزيز مفهوم المبادرة في المجتمعات الإسلامية، وتحفيز وتشجيع الناس عليها في الحياة اليومية.

قائمة المحتويات

الموضوع	الصفحة
الآية الكريمة	أ
إهداء	ب
الشكر والعرفان	ج
الخلاصة	د
قائمة المحتويات	و - ح
مقدمة	١- ٦
المبحث التمهيد: البيان الدلالي لعنوان الدراسة	٧ -٢٧
مبحث الأول: البيان الدلالي لمفهوم المبادرة	٨
المطلب الأول: المبادرة لغة و إصطلاحاً	٨
المطلب الثاني: الالفاظ ذات الصلة	٩
المطلب الثالث: أهمية وغاية المبادرة	١٣
المطلب الرابع: صفات المبادر	١٥
المطلب الخامس: الاساليب الدلالية لمفهوم المبادرة	١٧
المبحث الثاني : التأصيل القرآني لمفهوم المبادرة	٢٢
المطلب الأول: المبادرة في كينونة الذات المقدسة	٢٢

المطلب الثاني: مبادرة الانبياء في القرآن الكريم	٢٣
المطلب الثالث: مبادرة البشر في القرآن الكريم	٢٥
المطلب الرابع: مبادرة الحيوان في القرآن الكريم	٢٦
المطلب الخامس: اقسام المبادرة	٢٧
المطلب السادس: المبادرة لاجتناب إتباع وساوس الشيطان	٣٠
الفصل الأول: المبادرة في نطاق الآيات العقائدية	٣٣- ٧٣
المبحث الأول: المبادرة في نطاق آيات الدعوة الإلهية / الخطاب الإلهي	٣٥
المبحث الثاني: المبادرة في نطاق آيات التوحيد	٤٦
المبحث الثالث: المبادرة في نطاق آيات التقوى	٥٢
المبحث الرابع: المبادرة الى الاستغفار والتوبة	٥٩
المبحث الخامس: المبادرة في نطاق آيات الدعاء	٦٧
الفصل الثاني: المبادرة في نطاق آيات الاحكام	٧٤- ١١٤
المبحث الأول: المبادرة في نطاق آيات فريضة الصلاة	٧٥
المبحث الثاني: المبادرة في نطاق آيات الصوم	٨٨
المبحث الثالث: المبادرة في نطاق آيات الزكاة	٩٤
المبحث الرابع: المبادرة في نطاق آيات الحج	١٠٢
المبحث الخامس: المبادرة في نطاق آيات الجهاد في سبيل الله	١٠٦

الفصل الثالث: المبادرة في نطاق الآيات التربوية والأخلاقية	١١٥- ١٧١
المبحث الاول : المبادرة الى تزكية النفس وتهذيبها	١١٧
المبحث الثاني: المبادرة في نطاق آيات العفاف	١٢٤
المبحث الثالث: المبادرة في نطاق آيات النهي عن التكبر	١٣٧
المبحث الرابع: المبادرة في نطاق آيات الإحسان في القرآن الكريم	١٤٠
المبحث الرابع: المبادرة في نطاق الآيات الإجتماعية في القرآن الكريم	١٤٥
المبحث الخامس: المبادرة في نطاق آيات الآمر بالمعروف والنهي عن المنكر	١٥٨
الخاتمة	١٧٢
المصادر والمراجع	١٦٦ – ١٩١
الخلاصة باللغة الإنكليزية	A – B

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لله عَلَى مَا عَرَّفَنا مِنْ نَفْسِهِ، وَأَلْهَمَنَا مِنْ شُكْرِهِ وَفَتَحَ لَنَا من أبوَابِ الْعِلْمِ بِرُبُوبِيّته وَدَلَّنَا عَلَيْهِ مِنَ الإِخْلاَصِ لَهُ فِي تَوْحِيدِهِ وَجَنَّبَنا مِنَ الالْحَادِ وَالشَّكِّ فِي أَمْرِهِ. والصلاة والسلام على نبيه نبي الرحمة وعلى آله هداة الامة الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

وبعد:

فإن القرآن الكريم هو كتاب الله المُنزّل على رسوله محمد (صلى الله عليه وآله)، وهو كتاب الهداية والنور للناس جمعاء. إذ نجد فيه كثير من الآيات التي تحث المسلمين على المبادرة والعمل الجاد في سبيل الله تعالى.

لا يخفى أن مفهوم المبادرة في القرآن الكريم من الموضوعات المهمة والبارزة، فهو يمثل أحد الركائز الأساسية التي تقوم عليها رسالة الإسلام، حيث يُعدّ من أهم الصفات التي ينبغي أن يتحلّى بها المسلم، ومن أبرز السمات التي تميزه عن غيره. وتتضح المبادرة في القرآن الكريم من خلال العديد من الأشكال والمجالات، إذ حث القرآن المسلمين على الإتسام بروح المبادرة في مختلف جوانب الحياة .

وتتضح أهمية دراسة الموضوع في كونه من أهم الوسائل التي تُقرّب العبد الى ربه وتُحقّق له النجاة والفلاح في الدنيا والآخرة، وكيف أنها تساهم في تعزيز دور المسلم على التقدم والرقي في مختلف الأصعدة، لأنها تمثل مفتاح النجاح والتقدم، وهي سمة من سمات الأمم المتقدمة والشعوب الناهضة.

من هذا المنطلق، جاءت هذه الرسالة لتسليط الضوء على مفهوم المبادرة في القرآن الكريم، وبيان أهم مظاهرها وأبعادها، وتوضح أثرها والفائدة المرجوة منها

في حياة المسلم، من خلال استقراء النصوص القرآنية ذات الصلة وربطها بواقع المسلمين .

اهمية البحث:

تنبثق أهمية البحث من واقع توضيح نظرة القرآن الكريم الى سر من أسرار النجاح والتفوق، والتقدم والرقي في مدارج الكمال، وخطوة نحو تحقيق الإنجاز على مختلف الصُعُد والمستويات، إذ حث القرآن الكريم على المبادرة ومسارعة الفرد والمجتمع في آيات عديدة وبأكثر من تعبير، فقد وردت النصوص الدالة على المبادرة في بعض الآيات بألفاظ مختلفة، بحسب المقتضى الذي تدعو إليه – أي العمل الذي يوجه للفرد والمجتمع – كون الالتفات في المبادرة ألية مهمة في حياته ومستقبله، وتمييز الفرد والمجتمع بالمبادرة نحو توجيه السماء في المثابرة بأداء الفروض الحياتية تدل على الحيوية والتفاعل مع ذلك التوجيه السماوي، ويطور واقعه الى الافضل بشكل دائم ومستمر، والمتدبر للقرآن الكريم يلحظ العناية الكبرى في إعداد الأمة وتربيتها على خُلق المبادرة .

مشكلة الدراسة:

تبرز مشكلة الدراسة في إثارة سؤال رئيس وهو: ما مفهوم المبادرة في القرآن الكريم، وما هي أبرز مظاهرها وأبعادها، وما أثرها في حياة المسلم، وتتمثل في ضعف التطبيق العملي لمضمون مفهوم المبادرة في الحياة العملية للمسلمين، على الرغم من وجود النصوص القرآنية التي تحث على التحلي بالمبادرة والإحسان والعطاء والعمل والتطوير الذاتي. وإمكانية أن يكون هذا الضعف بسبب عوامل عدة، منها الجهل بالمفهوم وعدم فهمه بشكل صحيح، وكذلك البعد عن تطبيقه على أرض الواقع بسبب ضعف الوعي الإيماني والاجتماعي والتربوي والثقافي. ويتطلب حل هذه المشكلة تعزيز التوعية والتثقيف والتعليم حول مضمون مفهوم

المبادرة وأهميته في الحياة اليومية، وتشجيع المسلمين على تطبيقه في أعمالهم وعلاقاتهم مع الآخرين.

أسباب اختيار الموضوع:

إن سبب اختياري لهذا الموضوع يرجع الى عوامل عدة منها :

١- ضرورة تحديد وتبيين مفهوم المبادرة في القرآن الكريم بشكل دقيق، من خلال دراسة النصوص القرآنية وتحليل الآراء المختلفة للعلماء والمفسرين .

٢- العمل على نشر الوعي بأهمية المبادرة في القرآن الكريم وتعزيزها كقيمة إسلامية مهمة، وذلك من خلال الخطب والدروس والمقالات وغيرها من وسائل الإعلام .

منهج البحث:

اعتمدت الدراسة المنهج الاستقرائي عن محتوى النص في مظان التفسير والرواية واللغة فكان هذا المنهج الارتكاز الاصيل في اعتماد البيان التفسيري للنصوص التي تضمنت مفهوم المبادرة في أداء متطلبات مفاصل الحياة العقدية والتشريعية والتربوية الاخلاقية .

الدراسات السابقة:

رسالة ماجستير بعنوان المبادرة وأثرها في بناء الأمة من خلال آيات القرآن الكريم – دراسة موضوعية– سلام منيب كامل/ جامعة الاردن .

بحث بعنوان ثقافة المبادرة تأصيلها وتنميتها في ضوء القرآن الكريم، أعداد الدكتور إبراهيم علي علي عامر، والدكتور أنور إبراهيم رجب منصور/ جامعة الطائف .

بحث بعنوان المبادرة المحمودة وآثارها من خلال آيات القرآن الكريم، الدكتور ملاك محمد ثابت/ نور حسن علي .

أهداف الدراسة :

تهدف الدراسة الى تحقيق الأهداف الأتية :

١- الكشف عن التأصيل لمفهوم المبادرة في القرآن الكريم، واستنباط الركائز التي ينبغي أن يعتمد عليها القائم بها .

٢- الوقوف على الآيات القرآنية التي تناولت موضوع المبادرة وادراك مضامينها والافادة منها بما احتوته من تفصيلات عقدية أو تشريعية أو تربوية في مجالات الحياة لجني ثمارها في الأخرة .

٣- بيان أهمية المبادرة القرآنية ومعطياتها والتي تعود بالنفع على المبادرين في الدنيا والآخرة .

٤- تقديم نماذج قرآنية للمبادرة الناجحة لتكون نموذج يحتذى به .

خطة البحث:

ينقسم البحث الى مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة .

المقدمة وتشتمل على ما يأتي: (أهمية الموضوع، مشكلة الموضوع، سبب اختيار الموضوع، أهداف الدراسة، منهج البحث، خطة البحث)، التمهيد: البيان الدلالي لعنوان البحث ويشتمل على ما يلي: المبحث الأول: المطلب الأول: المبادرة لغة و إصطلاحاً، المطلب الثاني: الالفاظ ذات الصلة، المطلب الثالث: أهمية المبادرة

وغايتها

المطلب الرابع: صفات المبادر، المطلب الخامس: الاساليب الدلالية لمفهوم المبادرة المبحث الثاني : التأصيل القرآني لمفهوم المبادرة وتشمل: المطلب الأول: المبادرة في كينونة الذات المقدسة، المطلب الثاني: مبادرة الانبياء في القرآن الكريم المطلب الثالث: مبادرة البشر في القرآن الكريم، المطلب الرابع: مبادرة الحيوان في القرآن الكريم، المطلب الخامس: اقسام المبادرة، المطلب السادس: المبادرة لاجتناب إتباع وساوس الشيطان، الفصل الأول: المبادرة في نطاق الآيات العقائدية، وفيه خمسة مباحث: المبحث الأول: المبادرة في نطاق آيات الدعوة الإلهية / الخطاب الإلهي، المبحث الثاني: مبادرة في نطاق آيات التوحيد، المبحث الثالث: المبادرة في نطاق آيات التقوى، المبحث الرابع: المبادرة الى الاستغفار والتوبة المبحث الخامس: المبادرة في نطاق آيات الدعاء، الفصل الثاني: المبادرة في نطاق آيات الاحكام وفيه خمسة مباحث: المبحث الأول: المبادرة في نطاق آيات فريضة الصلاة، المبحث الثاني: المبادرة في نطاق آيات الصوم، المبحث الثالث: المبادرة في نطاق آيات الزكاة، المبحث الرابع: المبادرة في نطاق آيات الحج المبحث الخامس: المبادرة في نطاق آيات الجهاد في سبيل الله الفصل الثالث: المبادرة في نطاق الآيات التربوية والأخلاقية، وفيه خمسة مباحث: المبحث الاول : المبادرة الى تزكية النفس وتهذيبها، المبحث الثاني: المبادرة في نطاق آيات العفاف، المبحث الثالث: المبادرة في نطاق آيات النهي عن التكبر المبحث الرابع: المبادرة في نطاق الآيات الإجتماعية في القرآن الكريم، المبحث الخامس: المبادرة في نطاق آيات الآمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وانتهى البحث الى الخاتمة التي إنضوت على النتائج التي توصل اليها، ثم ثبت المصادر التي اعتمدتها في العلمية والعملية .

وختاماً أقول إنَّ جهدي هذا لا أدعي فيه كمالاً فالكمال لرب البشر، ولا أُنزهه في عرضه للناظرين من النقد والاختلاف الآراء فيه، غير أنني عملت فيه

بجهد صادق وبحدود ما تهيأت وإتحيت لي الظروف، وكل حسبي أن أكون من الذين تنالهم بركة القرآن الكريم وخدمته ليكون يوم الحشر مرتجانا في نيل شفاعته يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلبٍ سليم ...

(الباحث)

المبحث التمهيدي: بيان مفردات عنوان الرسالة

المبحث الأول: البيان الدلالي لمفهوم المبادرة

المبحث الثاني: التأصيل القرآني لمفهوم المبادرة

المبحث الأول: البيان الدلالي لمفهوم المبادرة :

المطلب الأول: المبادرة لغة و إصطلاحاً :

المبادرة لغةً: قال ابن فارس الباء والدال والراء أصلان: أحدهما كمال الشيء وامتلاؤه، والآخر الإسراع إلى الشيء، وهو مصدر مشتق من الفعل: بادرَ/ بادرَ إلى/ بادرَ بـ/ بادرَ لـ يُبادر، مُبادرةً وبِدارًا، فهو مُبادِر، والمفعول مُبادَر، وهي: المسارعة والسبق، وبدرني بالأمر، وبدر إلي، عجل إلي واستبق، وابتدر القوم أمراً وتبادروه أي نادى بعضهم بعضاً أيهم يسبق إليه فيغلب عليه، وبدر إليه، استعمل غاية قوته وقدرته على السرعة[1]، وقال الراغب: بدر: قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا﴾ [النساء: ٦] أي: مسارعة، يقال: بدرت إليه وبادرت ويعبر عن الخطأ الذي يقع عن حدة: بادرة، يقال: كانت من فلان بوادر في هذا الأمر، قيل: سمي البدر بذلك لمبادرته الشمس بالطلوع، وقيل: لامتلائه تشبيها بالبدرة، بادره بالأمر: عاجَله به "بادره بالمُفاجأة/ بضربة سيف/ بسؤال- بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ[2]، ويبدوا للباحث أن البدر أعم من السرعة ظاهراً ومعنىً، لأن صيغة البِدار والمبادرة تدل على امتداد البدر والسرعة .

المبادرة اصطلاحاً: تعدد الدلالات الاصطلاحية لمفهوم المبادرة التي أطلقها العلماء والباحثون، إذ يعرفها

ابن قيم الجوزية(ت٧٥١هـ): (أن المبادرة انتهاز الفرصة في وقتها، ولا يتركها حتى إذا فاتت طلبها. فهو لا يطلب الامور في أدبارها ولا قبل وقتها، بل إذا حضر

(١) ظ ، ابن فارس، مقاييس اللغة، ٣٨٣/١،
(٢) ظ الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص ١١٠ .

وقتها بادر إليها، ووثب عليها وثوب الاسد على فريسته . فهو بمنزلة من يبادر الى أخذ الثمرة وقت كمال نضجها وادراكها)[١] .

ويعرّف المبادرة بأنها (سلوك عمل يتسم بطبيعته الذاتية، ونهجه الاستباقي، والمثابرة في التغلب على الصعوبات التي تنشأ في السعي لتحقيق هدفٍ)[٢]

ويُعّرف مصطلح المبادرة بأنه (سبْق إلى اقتراح أمرٍ أو تحقيقه)[٣]

وهي (المسابقة على الخير فكراً وقولاً أو فعلاً ناتجة عن أفعال ذاتي يترجم الى عمل مثمر)[٤]

ويتضح للباحث من الدلالتين اللغوية والاصطلاحية أنه لا تباين بينهما في حيثيات المعنى والسلوك .

المطلب الثاني: الالفاظ ذات الصلة :

تبين من خلال رصد المعنى الدلالي لمفردة المبادرة أن لها معاني أُخرى ذات صلة دلالية بها، كالمسابقة والمسارعة والمعاجلة والمنافسة، ويجري البحث على بيان هذه المفاهيم على النحو الاتي:

أولاً المسارعة: السين والراء والعين (أصل صحيح يدل على خلاف البطء، فالسريع خلاف البطيء وسَرْعان الناس أوائلهم الذين يتقدمون سراعاً)[٥] ، (وسرعان الخيل أوائلها، ويقال أسرع وسارع أي خف وبادر، ومنه قوله تعالى ﴿يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ [الأنبياء/٩٠]، يمضون نحوها مسرعين مبادرين،

---

(١) ابن القيم الجوزية، الروح في الكلام على ارواح الاموات والاحياء، ص٧١٧.
(٢) مقالة للكاتب حازم خطاب بعنوان(أخذ المبادرة في مكان العمل) من موقع https://ae.linkedin.com .
(٣) احمد مختار عبدالحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ١٧٠/١ .
(٤) د. محمد محمود كالو، أين حسن المبادرة فينا، منصة أريد (نت)
(٥) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ١٥٢/٣ .

وتسرع بالأمر بادر به، والمسارعة إلى الشيء: المبادرة إليه، والمتسرع المبادر إلى الشر خاصة)[١] .

المسارعة إصطلاحاً: (هي المبادرة إلى الطّاعات من الأعمال أو الأقوال أو الأخلاق الحميدة ، والسّبق إليها ، والاستعجال في أدائها دون تردّد أو تأخّر)[٢]

وهناك من يقول أن المسارعة (فيها معنى المبادرة والتقدم والسبق والخفة إلى الشيء، ومن خف في طلب شيء كان سهلاً عليه، في متناوله، متمكناً منه، إلى ما في ذلك مما يخالف معنى البطء، والتثاقل، ويدل على علو الهمة، والإقبال على الأمر)[٣] .

نجد أنَّ القران الكريم يحدد الغاية من المسارعة في قوله تعالى ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَة مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾، يظهر أن النص حملَ (أمر إلهي الى الناس أن يبادروا فوراً وبدون تأخير الى القيام بأسباب المغفرة التي بها ينالون غفران الله لذنوبهم، وإذا غُفرت الذنوب تهيأ هذا الانسان الى رحمة الله وما أعده للمطيعين)[٤]، ويذكر الزمخشري(ت ٥٣٧هـ) في الكشاف معنى المسارعة الى المغفرة والجنة: (الإقبال على ما يستحقان به)[٥]، فقال الطبرسي (ت٥٤٨هـ) في مجمع البيان: في بيان معنى الآية أي (بادروا باجتناب معاصيه، ومعناه الى الاعمال التي توجب المغفرة)[٦]، واختلف في تحديد المراد من { وسارعوا الى مغفرةٍ} حتى بلغ تعدادها في بعض التفاسير الى تسعة أقوال، وكلها جزئيات استحسنها اصحابها وهي تدخل تحت معنى عام، وهي المبادرة الى فعل كل

---

(١) ظ، ابن منظور، لسان العرب،١٥٢/٨ .
(٢) https://lakhasly.com/ar/view-summary/Bm5qjsbdEp
(٣) د. محمد علي زغلول و د. محمد سعيد حوى، المسارعة والمسابقة الى الخيرات في القران الكريم، . بحث في النت
(٤) الشيخ محمد باقر الملكي الميانجي ابو علي الأذربيجاني (ت١٣٢٤هـ)، مناهج البيان في تفسير القران، ٧٢/٤ .
(٥) الزمخشري، الكشاف، ٤٠٦/١ .
(٦) الطبرسي، مجمع البيان، ٣١٣/٢ .

ما أمر الله به وترك كل ما نهى عنه[١]، (ولا اشكال أن جميع الطاعات توجب المغفرة ورضا الله تعالى ورضوانه وهو دخول الجنة)[٢]، فكان الحث على الطاعة ومواصلة العمل في مضمار التنافس والتسابق الايجابي[٣] .

ثانياً المسابقة:

السبق: (أصل صحيح يدل على التقدم)[٤]، (فأصل السبق التقدم في السير، ثم يتجوز به في غيره من التقدم، قال تعالى ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ [الأحقاف: الآية ١١] ، وعلى ذلك قوله تعالى ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ [١٠: الواقعة] أي المتقدمون إلى ثواب الله وجنته بالأعمال الصالحة)[٥]، أو(السابقون المبادرون الى الإيمان والطاعة، والمسارعون الى الخيرات، هم السابقون أي المبادرون الى الجنة بغير حساب، والمسارعون الى الدرجات العليا)[٦] .

المسابقة اصطلاحاً: هي (التقدم والمبادرة وبذل غاية الجهد والطاقة بين متسابقين أو أكثر في أمر من الأمور الدنيوية أو الأخروية؛ لتحصيل السبق والفوز على الآخر)[٧]

وروي عن أبي جعفر (عليه السلام) قوله (السابقون أربعة: ابن آدم المقتول، وسابق في أمة موسى عليه السلام وهو مؤمن آل فرعون، وسابق في أمة عيسى عليه

---

(١) عباس علي الموسوي، الواضح في التفسير، ٢٥٥/٣ .
(٢) محمد باقر الملكي الميانجي مناهج البيان في تفسير القران،٧٢/٤
(٣) ظ، محمد مهدي الخادمي، النور المبين في تفسير القرآن الكريم، ٣٢٦/٢
(٤) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ١٢٩/٣.
(٥) الراغب الأصفهاني، المفردات ألفاظ القرآن، ص ٢٢٨.
(٦) نفحات الرحمن في تفسير القرآن، محمد بن عبدالرحيم النهاوندي، ١٤٢/٦ .
(٧)د. محمد علي زغلول و د. محمد سعيد حوى، المسارعة والمسابقة الى الخيرات في القران الكريم، ص ٦ .

السلام وهو حبيب النجار، والسابق في أمة محمد (صلى الله عليه وآله) علي بن أبي طالب عليه السلام)[١]، وعلي ابن أبي طالب خير السابقين وأفضلهم .

تبدو ان المسابقة تشير الى معنى المبادرة والإسراع والتقدم، والسابقون هم (الذين يسارعون في الخيرات، ويبادرون للاستجابة، ويبادرون للحق أنى دُعُوا إليه، متجاوزين عقبة التوافق الاجتماعي بقوة الارادة وبصيرة الإيمان)[٢] .

ثالثاً : العجلة أو المعاجلة: (عجل) العين والجيم واللام تدل على الاسراع استعجلت فلاناً حثثته: وعجلته: سبقته . والعجلة من التعجل في شيء، قال تعالى على لسان موسى (عليه السلام) ﴿قَالَ هُمْ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ [طه: الآية ٨٤]، أي تعجلت في المثول بين يديك لترضى، وقد تعجل موسى الى ميقات ربه وسبق قومه لحكمة، فالإنسان حين يأمر غيره لأمر فيه مشقة على النفس . لابد أن يبدأ بنفسه ويكون أول من ينفذ أمر ربه ويسبق إليه [٣] .

العجلة في الإصطلاح: (العَجَلةُ ضِدُّ الأناةِ، وهي الإسراعُ الباعِثُ على الإقدامِ بأوَّلِ خاطِرٍ)[٤]

رابعاً : المنافسة لغة: الرَّغْبَةِ في الشيء والانفرادية[٥]

المنافسة في الاصطلاح : وهي من الشيء النفيس ذو الخطر، والتنافس أن يبرز كل واحد من المتنافسين أقوى ما عنده . وتنافس القوم تسابقوا وتباروا دون أن يلحق بعضهم الضرر ببعض قال تعالى ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين: الآية٢٦]، أي فليرغب الراغبون في المبادرة الى طاعة الله فليجدوا في

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج١٥٦/٦٦ .
(٢) محمد تقي المدرسي، من هدى القران، ١٩١/١٠ .
(٣) ظ، ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ٢٣٧/٤ .
(٤) محمد المجددي البركتي، التعريفات الفقهية، ص١٤٣ .
(٥) ابن منظور، لسان العرب، ج٦/ ٢٣٨ .

طلبه وليحرصوا عليه[١]، وأصله من النفيس الذي تحرص عليه نفوس الناس ويطلبه ويتمناه كل واحد منهم لنفسه ويتفوق به على غيره[٢] .

المطلب الثالث: أهمية المبادرة وغايتها :

إن الله تعالى خلق الله الإنسان كي يكون عاملاً لما يحييه، وساعياً في مناكب الأرض، مستفيداً من خيراتها، مجتهداً فيما يعود عليه وعلى مجتمع والأمة بالخير الوفير ولا يكون ذلك إلا بالإقدام وبذل الجهد[٣]، وجهزه بالعقل والإرادةِ والقدرة، وأيده برسل تحمل إليهم تعاليم السماء، لكي ينطلق في هذه الدنيا بوظيفته التي خصه الله بها لعمارة الارض، ومنحه جملة من الهبات التي إن التزم بها العبد وطبقها و سعى لها بالأيمان و العمل الصالح ارتقى لمراتب الكمال، ولكن جهل الانسان ونظراته الضيقة تجعله مسوفاً في اعماله، حيث يذكر الله عز وجل في كتابه الكريم، موقف الإنسان يوم القيامة إذا فرط وتوانى عن القيام بواجباته، ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾ [الزمر: الآية ٥٦]، و قوله تعالى ﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الزمر: الآية ٥٨]، وغيرها من الشواهد القرآنية التي تصف حال الانسان المسوف، وأن أهل البيت (عليهم السلام) قد حذرونا من هذه الأفة التي تعيق تقدم الفرد، وجاء في الحديث الشريف عن الإمام الباقر (عليه السلام) (إياك والتسويف فإنه بحر يغرق فيه الهلكى)[٤]، ويقول الإمام علي (عليه السلام) فيما كتبه إلى بعض أصحابه (فتدارك ما بقي من عمرك، ولا تقل: غدا وبعد غد، فإنما هلك من كان قبلك بإقامتهم على الأماني والتسويف، حتى أتاهم أمر الله بغتة وهم غافلون)[٥]، وان

(١) ظ، الطبرسي، مجمع البيان، ١٠/ ٢٣٠ .
(٢) البغوي، تفسير البغوي، ٨/ ٣٦٨ .
(٣) مصطفى الغلاييني، عظة الناشئين، ص٩ .
(٤) محمد الريشهري، ميزان الحكمة، ٢ /١٣٨٨ .
(٥) م. ن ، ٢/ ١٣٨٨ .

وان سبب فشل الانسان وتراجع المجتمع هو التكاسل والتسويف، وإذا ما اراد النجاح والتفوق والتقدم والرقي في مدارج الكمال، عليه أن يبادر الى سر من أسرار القرآن الكريم الذي أشار في آيات كثيرة إلى هذه الصفة من خلال سياق الآيات، وبألفاظ مختلفة كالمسارعة والمسابقة وغيرها، كقوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [آل عمران:١٣٣ الآية]، معناه بادروا إلى الاعمال التي توجب المغفرة[١] وقوله تعالى: ﴿فَاسْتَبِقُواْ الْخَيْرَاتِ﴾ [البقرة: الآية١٤٨]، أي: (بادروا فوت الحظ بالتقدم في الخير)[٢] ومن هنا كانت (المبادرة من صفات العظماء، فهذا علي بن أبي طالب (عليه السلام) كان المبادر في كل خير، فهو أول مَن آمن، وأول من ضرب بالسيف في سبيل الله، وأول من لبى وأجاب وأعلن نصرته لرسول الله، وأول من قاتل وهاجر بعد رسول الله)[٣] .

فعلى الإنسان ـ كما المجتمع ـ أن يبادر إلى فعل الخير، واغتنام الفرص، والمسارعة في إتيان الأعمال الصالحة (وأن يتسابق الناس نحو الفضيلة وهو أمر مشروع ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين: الآية٢٦]، إذ على الانسان أن ينظر الى أعلى مراتب الفضائل وليس الى أدناها، وأن يسعى للكمال لا أن يكتفي ببعض محطات الصلاح)[٤] .

ولأهمية صفة المبادرة في تقدم الأفراد والمجتمعات كونهم (يسارعون في الخيرات ويبادرون للاستجابة للحق أنى دُعُوا إليه، متجاوزين عقبة التوافق الاجتماعي بقوة الإرادة، وبصيرة الإيمان (حيث هم الاولون قدماً نحو الخير، وإيماناً ومعرفة ببصيرتهم ووعيهم، وعملاً بتوكلهم على الله، وثقتهم بأنفسهم وشجاعتهم حيث يكسرون بذلك طوق العادة، ويخرجون من جاذبية المحيط، ويتجاوزون السقوف المصطنعة بالريادة والمبادرة والابداع ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ [المائدة: الآية٥٤]

(١) الطبرسي، مجمع البيان، ج٢/ ٣٩٠ .
(٢) م. ن، ج٣/ ٣٥٠ .
(٣) هادي المدرسي، أخلاقيات أمير المؤمنين عليه السلام، ، ص١٢٠ .
(٤) نعيم قاسم، سبيلك إلى مكارم الاخلاق، ١٥٠- ١٥١.

وهم الاسبق كماً و نوعاً)[١]، ولعل من (أهم صفات المبادرين المسارعة والتسابق الى العمل الصالح حيث ينطلق نتيجة توفر حوافز وعوامل إيمانية تدفع بالمؤمن الى ميادين متعددة في الحياة وإنما كان انطلاقه من الإيمان بالغيب والالتزام بالتعاليم الالهية كونها تؤتي ثمارها في الدنيا والآخرة، واذا ما انفصلت عن هذه العوامل بالإضافة الى غياب المنهج والتخطيط والإدارة والنظام يفقد جهداً كبيراً ويصبح إثماً وفساداً وعدواناً)[٢]، لقد أكّد أولياء الله تعالى ورسله سلام الله عليهم اجمعين على أن نبادر الى اغتنام الفرص الثمينة التي لا تعوض، ففي وصية النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي (عليه السلام) قال يا علي بادر بأربع قبل أربع: (شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك، وحياتك قبل موتك)[٣]، وفي ذات الاطار قال الامام علي عليه السلام (بادروا للعمل، وخافوا بغتة الأجل، فانه لا يرجى من رجعة العمر ما يرجى من رجعة الرزق)[٤] .

المطلب الرابع: صفات المبادر:

اتسمت المبادرة في مضمونها عبر النصوص القرآنية بمقدار من الصفات التي تميزت بها، فكانت تلك الصفات تمثل الارتكاز الذي تقوم عليه المبادرة في توجهاتها واتجاهاتها العملية، وهذه الصفات هي:

١- الايمان والتقوى: يُعدّ الإيمان مفتاح كل شيء، والركيزة الأساسية للإنسان فهو الذي يحدد خيار الانسان في هذه الحياة[٥]، وبه (يتحدد الاتجاه والرؤية، ويتضح المنهج الذي سيسلكه الإنسان، ثم يُترجمه في الالتزام بالشريعة المقدسة، فينتج العمل

(١) محمد تقي المدرسي، من هدى القران، ١٠/ ١٩٢ .
(٢) ظ ، عدنان علي رضا النحوي، الحوافز الإيمانية بين المبادرة والالتزام، الفصل الاول .
(٣) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ٨٣/١٦ .
(٤) نهج البلاغة/ خ١١٤ .
(٥) الشيخ نعيم قاسم، سبيلك إلى مكارم الاخلاق، ص٣٧ .

الصالح)[١]، والتقوى التي هي لغةً بمعنى التحفظ والامتناع، وشرعاً: بمعنى عقل النفس ومنعها عن كل ما تسوء عاقبته، وذلك بالامتناع عن مخالفة الخالق تبارك وتعالى في الأوامر والنواهي، كما ورد عن محمد بن إدريس في آخر (السرائر) نقلا من كتاب (العيون والمحاسن) للمفيد قال: (اتى رجل أبا عبد الله (عليه السلام) فقال له: يا بن رسول الله أوصني فقال: لا يفقدك الله حيث امرك، ولا يراك حيث نهاك، قال: زدني قال: لا أجد)[٢].

٢- التفكير: (التفكير عملية ذهنية يتفاعل فيها الادراك الحسي مع الخبرة والذكاء لتحقيق هدف أو محصلة ما، ويحصل بوجود الدوافع وفي غياب الموانع)[٣]، وذلك لأن (التفكر يدعو الإنسان الى الخيرات والفضائل والسعادة)[٤]، لأن (الفكر المنطقي والسليم وحده القادر على الدفع بهذا الانسان نحو المعالي والسمو، وهو ما صنع الحضارات وتقدم بالأمم والمجتمع الإنساني في شتى الحقول وعلى مختلف الأصعدة)[٥].

٣- الارادة: يعبر عنها بأنها عبارة عن تبديل قوة العقل التي يرتضيها وتحويلها الى افعال[٦]، والتي تتمثل بالمقدرة وبذل الجهد، والرغبة في الخير والسعي اليه والحرص عليه، إذ إن قوة الإرادة هي سر نجاح كثير من القادة والزعماء والعظماء، فهذا الرسول الاعظم محمد بن عبدالله(صل الله عليه وآله) قد وصل الى القمة، لأنه كان المثل الاعلى لقوة الارادة والعزم، فقد وقف صامداً أمام كل التحديات، وقاوم كل الخرافات وأفكار وعادات الجاهلية، وتصدى بعزم وتصميم لكل الأعداء، وصبر على آذى المشركين والكفار، وجاهد بإرادة جبارة في سبيل

---

(١) م. ن/ ١٩٧.
(٢) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج١٥/ ٢٣٩ .
(٣) ميثم سعيد، السلمان التفكير، ص ١٢ .
(٤) مهدي الموسوي الكاشمري، طرائق التربية دراسة في آراء الإمام الخميني التربوية، ص١٦
(٥) م. ن، ص١٧ .
(٦) علي القائمي، تربية الشباب بين المعرفة والتوجيه، ص٢٢٤.

مبادئه واهدافه، وبهذا الإرادة القوية، حطم الاصنام ورفع كلمة لا إله إلا الله، والانسان بمقدار ما يملك من الإرادة يملك القدرة على النجاح[١] .

٤- اغتنام الوقت والفرص: توصف المبادرة بأنها تشير الى الخير كونه ضرورة من ضرورات الحياة، فهي اغتنام فرص الخير، والولوج الى أبواب العمل الصالح فور انفتاحها، وعدم إضاعة الوقت، وتركها يؤدي الى الندم والخسران[٢]، فلا بد للمؤمن أن يسعى بما لديه من القدرة في تسخير طاقته في فعل الخير، قبل أن تضعف قوته ويتلاشى شبابه وتسلب صحته وغناه وحياته كلها، وفي هذا المعنى نجد أن رسول الله (صل الله عليه وآله) أوصى الصحابي الجليل(أباذر) قائلاً(يا أباذر اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك)[٣] ونلحظ أن النبي (صل الله عليه وآله) قد أكد على ضرورة المبادرة في اغتنام الفرص والوقت وفي هذا المسار أيضا فقد ذكر الامام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ضرورة استثمار الفرص واغتنامها (انتهزوا فرص الخير فإنها تمر مر السحاب)[٤]، والقفزات الحضارية التي حققها الإنسان على مر العصور، إنما حققها بإستغلاله لعامل الزمن، والتفاته إلى أهمية إغتنام الفرص واستثمارها[٥] .

المطلب الخامس: الاساليب الدلالية لمفهوم المبادرة:

نجد أن القرآن قد استعمل اساليب وصيغ من الخطاب لإيصال الرسالة الإسلامية بدقة ووضوح ومن تلك الأساليب الخطابية اسلوبا الأمر والنهي اللذان يعدان الارتكاز الأمثل والأوفى للمبادرة ، وهنا يجري على بيان هذين الاسلوبين .

---

(١) ظ ، عبدالله أحمد اليوسف، الشخصية الناجحة، ص١٣٤- ١٣٥ .
(٢) ظ ، السيد هادي المدرسي، أخلاقيات أمير المؤمنين عليه السلام، ص١٢٢- ١٢٥ .
(٣) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ١/ ١١٤ .
(٤)محمد الريشهري، ميزان الحكمة، ٢٣٩٨/٣ .
(٥) محمد العلوي، وقتك حياتك، ص٣٢ .

أولاً: مفهوم الأمر لغةً واصطلاحاً:

الأمر عند اللغويين: يدل على معنيين احدهما: الأَمْرُ ويجمع على الأُمورِ، يقال: أَمْرُ فلانٍ مستقيمٌ، وأُمورُهُ مستقيمةٌ[١]، والآخر: الطلب[٢] ، والثاني هو المعنى المراد هنا لأنه فيه طلب فعل الشيء .

الأمر عند البلاغيين: هو طلب حصول الفعل من المخاطب على وجه الاستعلاء والإلزام [٣]، ويعرفه القزويني(ت ٧٣٩هـ): (والأمر موضوعة لطلب الفعل استعلاءً، لتبادرُ الذهن عند سماعها إلى ذلك، وتوقف ما سواه على القرينة)[٤]

وللأمر أربعُ صيغ كل منها تقوم مقام الأخر في طلب أي فعل من الأفعال على وجه الاستعلاء والالزام[٥] . وهي:

١ - فعل الأمر: كقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ (الأنفال: الآية٦٠)، وقوله -عز وجل-: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ (هود: الآية٣٧) .

٢ - الفعل المضارع المقرون بلام الأمر: كما في قوله تعالى: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ﴾ (الطلاق: الآية٧) .

٣ - اسم فعل الأمر: نحو: صه بمعنى: اسكت، ومَه بمعنى: اكفف، وعليك بمعنى: الزم. ومنه: قوله تعالى: ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ (المائدة: الآية١٠٥) .

٤ - المصدر النائب عن فعل الأمر: كقوله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (النساء: الآية٣٦) أي: وأحسنوا بهما .

---

(١) ظ، الجوهري، الصحاح، ج٣/٩٧ .
(٢) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج١/ ١٣٧
(٣) احمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص٦٧ .
(٤) القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص١١٦ .
(٥) ظ ، عبدالعزيز عتيق، علم المعاني، ص٧٥.

وقد يخرج الأمر عن هذه الصيغ في معناها الحقيقي الى معنى مجازي يفهم من سياق الكلام وقرائن الاحوال[١] .

أ- الدعاء: المبادرة الى الدعاء، في قوله تعالى ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾ [النمل: الآية ١٩] .

ب- الإرشاد: المبادرة الى الكتابة، كقوله تعالى ﴿إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾ [البقرة: الآية٢٨٢] .

ج- التهديد: المبادرة الى الحذر، كقوله تعالى ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فصلت: الآية ٤٠] .

د- التعجيز: المبادرة الى الإيمان، كقوله تعالى ﴿فأتوا بِسُورَةٍ مِّن مِثْلِهِ﴾ [البقرة: الآية٢٣] .

هـ- الإباحة: المبادرة الى الاحتياط والالتزام، كقوله تعالى ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ [البقرة: الآية١٨٧] .

و- التسوية: المبادرة الى التوبة، كقوله تعالى﴿فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ﴾[الطور: الآية١٦] .

وذكر صيغ اخرى للأمر في كتب البلاغة[٢] .

ثانيا: مفهوم النهي لغةً واصطلاحاً :

النهي عند اللغويين: جاء في اللغة بعدة دلالات، كالزجر، والترك والكف، والنهى جمع نهيةٍ وهو العقل؛ لأنه ينهي صاحبه عن ارتكاب القبيح[١] .

---

(١) احمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص٨٧ .
(٢) ن، م ، ص٨٧- ٨٨ .

النهي عند البلاغيين: يُعرف النهي بأنه هو (طلب الكف عن شيء على وجه الإلزام والاستعلاء)[٢]، وللنهي صيغة واحدةٌ، وهي المضارع المقرون بـ (لا الناهية)[٣] كقوله تعالى ﴿وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦]، وله صيغ أخرى تدل عليه مثل (مشتقات مادة حرم كما في قوله تعالى ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ﴾، مشتقات مادة النهي كما في قوله تعالى ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ، نفي الحل كقوله تعالى ﴿... لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ...﴾، اقتران الفعل بالوعيد والعقاب كقوله تعالى ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾، كل ما له دلالة على طلب الكف كقوله تعالى ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾)[٤]، وكذلك تخرج صيغة النهي من معناها الحقيقي الى المعنى المجازي[٥].

١- الدعاء: المبادرة الى الدعاء، كقوله تعالى ﴿رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: الآية٢٨٦] .

٢- الإرشاد: المبادرة الى الترك، كقوله تعالى ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ [المائدة: الآية ١٠١] .

٣- الدوام: المبادرة الى الترك، كقوله تعالى ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ [ابراهيم: الآية٤٢] .

٤- بيان العاقبة: كقوله تعالى ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: الآية ١٦٩] .

٥- التيئيس: المبادرة الى التوبة، كقوله تعالى ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: الآية٦٦] .

---

(١) السمين الحلبي، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، ٢٢٦/٤ .
(٢) أيمن أمين عبدالغني، الكافي في البلاغة، ص٣٣٦ .
(٣) احمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص٩٢ .
(٤) ضرغام كريم الموسوي، البلاغة في سؤال وجواب، ص٥٦ .
(٥) احمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص٩٤ .

وغيرها من الصيغ يمكن الرجوع إليها في الكتب اللغة[١] .

ويذكر السكاكي(ت٦٢٦هـ): الأمر والنهي حقهما الفور، لأنه الظاهر من الطلب ولتبادر الفهم عند ما أمر المولى سبحانه عبده بالقيام، ثم أمره قبل أن يقوم بالاتكاء الى تغيير الأمر دون تقدير الجمع بينهما في الأمر، ولاستحسان العقلاء، ذم العبد لترك المبادرة[٢] .

(١) ظ، احمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص٩٤- ٩٥ .
(٢) ظ، السكاكي، مفتاح العلوم، ص٣٢٠ .

المبحث الثاني : التأصيل القرآني لمفهوم المبادرة :

المطلب الأول: المبادرة في كينونة الذات المقدسة :

عند التأمل في الخطاب القرآني نلمس من قراءة الآيات التي وردت فيها ألفاظ (أرسلنا، أنزلنا، استجبنا، أعطيناك) وغيرها من الألفاظ التي وردت بهذه الصيغ نلاحظ فيها مبادرات إلهية بيد أنها تختلف عن مبادرات بني آدم، لان الله عزّ وجل بقدرته وارادته إذا اراد أن يحدث أمراً ويوجد الأشياء ويخرجها من العدم الى الوجود ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس: الآية ٨٢]، لأن الباري عزّ وجل يبادر بالخير رحمةً منه للبشر، ومن مبادراته تعالى إرسال الانبياء والرسل ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا﴾ [النحل: الآية ٣٦]، وقوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: الآية ٢٨]، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: الآية ١٠٧]، لأداء وظيفته التي اختارها الله له ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة: الآية ٢]، وإنزال الكتب أيضا لما فيها من تشريعات تنظم حياة الناس ولتنقدهم من براثن الظلام والجهل المقيت الى واحة النور المزدهرة والزاهرة بإشراقة الحياة الندية بالإيمان بالله تعالى وتوحيده قال تعالى ﴿الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [ابراهيم: الآية ١]، وشفاء وهدى وموعظةً {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ} [يونس: الآية٥٧]، وكذا أنزل الميزان والحديد لما لهما من منفعة لبني آدم بتحقيق العدالة والمساواة بينهم قال تعالى ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: الآية ٢٥]، والأخبار الواردة في القران عن الاقوام السابقة وما جرى لها، من أجل الموعظة والعبرة قال تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي

بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف الآية١١١]، ومن أحسن القصص الهادفة الى المعاني الرفيعة ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [يوسف: الآية ٣]، وكما في استجابة الدعاء قال تعالى ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ...﴾ [غافر: الآية ٦٠]، ومنها استجابةً الدعاء للأنبياء (عليهم السلام) قال تعالى ﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾ [الصافات: الآية ٧٥] وقوله تعالى ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [يوسف: الآية ٣٤]، والمؤمنين أيضاً يبادر المولى عز وجل بالاستجابة لدعواتهم في قبول الأعمال الصالحة منهم ونصرهم على عدوهم الذي قام بتعذيبهم وتهجيرهم من ديارهم، ووعدهم بالثواب والجزاء الاوفى يوم الحساب ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ [آل عمران: الآية ١٩٥]، فتُعَدّ هذه الآيات وغيرها من خلال سياقها مبادرة من الله العزيز الحكيم .

المطلب الثاني: مبادرة الانبياء في القرآن الكريم :

_ النموذج الاول: مبادرة نبي الله موسى (عليه السلام) مبادرة اجتماعية لفعل الخير والعمل الصالح :

إن المتتبع لقصة نبي الله موسى (عليه السلام) يجد فيها الكثير من العِبر والدروس منها، لما خرج موسى (عليه السلام) هارباً من مصر بلد فرعون توجه الى مدين قرية شعيب، إذ يذكر القران الكريم الاحداث التي جرت معه أنه لما وصل الى مدين كما في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ۝ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ۝﴾ [القصص: الآية ٢٣-٢٤]، رأى موسى (عليه السلام) بئراً عليها مجموعة

من الرعاة يسقون مواشيهم، و امرأتين ضعيفتين على مسافة من البئر تنتظران أن يفرغ الرعاة للتتقدما في سقي اغنامهما، انتهز موسى (عليه السلام) الفرصة ليبادر إلى فعل الخير رغبةً واحتساباً، فسقى لهما[١] .

_ النموذج الثاني: مبادرة النبي ابراهيم (عليه السلام) مبادرة اجتماعية في إكرام الضيف:

أشار القران الكريم في موردين الى كرم وسخاء نبي الله إبراهيم (عليه السلام) مع ضيوفه، وهذا ما امتازَ به جميع أنبياء الله وأوليائه، ففي قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ [هود: الآية ٦٩]، و قوله تعالى ﴿فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ [الذاريات: الآية ٢٦]، يتضح من الآيتين أن نبي الله إبراهيم بادر الى إحضار الطعام بسرعة وهو عجل مشوي وتقديمه الى ضيوفه وهم رُسل الله من الملائكة، ولذلك صار من السنة أن يعجل للضيف الطعام والشراب بدون إعلامه[٢] ..

_ النموذج الثالث: مبادرة نبي الله يوسف (عليه السلام) مبادرة اقتصادية في استلام المنصب الذي فيه مصلحة العباد والبلاد، فحينما تبين للملك براءة يوسف وأمانته أمر بإحضاره ليستخلصه لنفسه ليستشيره في أمور مملكته، وجعله ذا مكانة في المنزلة والقدر[٣] ، فبادر يوسف لاغتنام الفرصة المتاحة له في تطبيق النظام الالهي العادل ونشر دعوته، كما في قوله تعالى ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: الآية ٥٥]، عندما عهد الملك ليوسف بالقول إنك اليوم لدينا مكين أمين وأطلق القول، فسأله يوسف (عليه السلام) أن ينصبه على خزائن الارض ويفوض إليه أمرها[٤]، لأنه كان على (علم بالأزمة الاقتصادية الشديدة التي

---

(١) ظ ، الزمخشري، الكشاف، ٣/ ٣٨٧، عبدالله شبر، جوهر الثمين، ١٤/٥ .
(٢) ظ، الطبرسي، مجمع البيان، ٢٣٧/٥، محمد تقي المدرسي، من هدى القرآن، ٦٣/٤ ، محسن قرائتي، تفسير النور، ٢٤٥/٩ .
(٣) الطبرسي، مجمع البيان، ٣٢٢/٥ .
(٤) محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن ، ٢٠٠/١١ .

سوف تعصف بالبلاد، فإن إنقاد حياة الأمة والاحتفاظ بأرواح شعب بريء يقتضي أن يستفيد يوسف من هذه الفرصة التي أتيحت له ويستغلها لأجل خدمة جميع أفراد الشعب، وبخاصة المحرومين منهم حيث إنهم عادة ما يكونون أول ضحايا الازمة الاقتصادية وأكثر المتضررين)[١] .

المطلب الثالث: مبادرة البشر في القرآن الكريم :

_ النموذج الأول: المبادرة لنصرة الحق، فقد ورد في سورة يس قوله تعالى ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى﴾ [يس: الآية٢٠]، بإجماع المفسرين أن هذا الرجل هو (حبيب النجار مؤمن آل ياسين) وكان مؤمناً ثابت القدم في إيمانه، حينما أدرك أن الرسالة والرسل في خطر، بادر مسرعاً الى المدينة لنصرة الرسل الذين كانوا يدعون الناس الى توحيد الله وعبادته، ودافع عن الحق بما أمكن واستطاع، بنطق كلمة الإيمان أمام كلمة الكفر[٢] .

_ النموذج الثاني: مبادرة دينية لتقديم النصيحة: فقد ذكر الله عزّ وجل في موردين من كتابه الكريم رجلاً تميز بالحكمة سمي بـ (لقمان الحكيم) وقد منّ الله عليه بالحكمة والمعرفة الواسعة حيث يبادر في توجيه وتقديم بعض الارشادات والمواعظ لأبنه، منها التوحيد وحساب الاعمال والمعاد وهما أساس كل الاعتقادات الدينية، و الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر، وعدم التكبر[٣].

_ النموذج الثالث: مبادرة أخلاقية في التقرب الى الله تعالى بتقديم الخدمة للمحتاجين، يشير القران الكريم الى نموذج فريد من نوعه في تاريخ الإسلام لقضاء حوائج الناس حيث ورد في سورة المائدة بقوله تعالى ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ

(١) ناصر مكارم الشيرازي، الامثل، ٢٧٦/١١ .
(٢) ظ، الطبرسي، جوامع الجامع، ١٣٥/٣، مرتضى المهري، الهادي في القرآن الكريم، ٤٠٥/١، محمد حسين فضل الله، من وحي القران، ١٤٠/١٩.
(٣) ظ، هاشم البحراني، البرهان في تفسير القرآن، ٤٧٥/٦، محمد جواد مغنية، الكاشف، ١٦٠/٦ .

وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة: الآية ٥٥] حيث تؤكد الروايات الواردة من الطرق العامة والخاصة أن سبب النزول والمعنِيّ في هذه الآية هو أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام)، لما قام به بالمبادرة بالتصدق بخاتمه في حال الركوع[١] .

_ النموذج الرابع: المبادرة لإنقاذ حياة الآخرين: بعد أن تشاور فرعون مع أشراف آل فرعون لِما قام موسى ببعض ما يزعج السلطة الحاكمة فقرروا أن يقتلوه ، وكان في قصر فرعون رجل معروف ب(مؤمن آل فرعون) يدعى (حزقيل) إذ ذكره في القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ [القصص: الآية ٢٠] حيث انطلق هذا الرجل مبادراً بسرعةٍ لإنقاذ حياة نبي الله موسى (عليه السلام) لينذره بالخطر المحدق به[٢] .

المطلب الرابع: مبادرة الحيوان في القرآن الكريم :

عند التأمل في كتاب الله العزيز تجد أن هناك بعض الشواهد التي حررها في نصوصه المباركة والمتعلقة بمبادرة بعض المخلوقات الحيوانية والحشرات منها مبادرة النملة، قال تعالى ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: الآية١٨]، فحينما سار سليمان (عليه السلام) وجنوده حتى اشرفوا على وادي النمل، بادرت النملة مخاطبةً بتحذير شديد سائر النمل من الخطر قالت منادية ً ادخلوا مساكنكم لا

(١) ظ، الطوسي، التبيان في تفسير القران، ٣٦٣/٥ ، الطبرسي، مجمع البيان، ٣/ ٢٩٧، الحاج سلطان محمد الجنابذي، بيان السعادة في مقامات العبادة، ٩١/٢.
(٢) ظ، علي بن الحسين بن ابي جامع العاملي، الوجيز في تفسير القران العزيز، ص٤٧-٤٧٢ ناصر مكارم الشيرازي، الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج٩/ ٤٨٨ .

يَحْطِمَنّكُمْ أي _لا يَكْسَرُنكّم _ سليمان وجنوده وهم لا يشعرون[١]، ولهذا المعنى أشار صاحب مجمع البيان في قوله (فانتهى إليها وهي تأمر النمل بالمبادرة)[٢]، وفي سورة النمل وردت مبادرة الطير هدهد النبي سليمان (عليه السلام) قال تعالى ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ۝ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ۝ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [سورة النمل: الآية ٢٢-٢٤]، ووصف مكثه بمدة وجيزة تدل على قِصر المدة التي مكثها وذلك للإسراع[٣]، حيث نلاحظ في هذه الآيات أن طائر الهدهد بعد أن أجرى استطلاع على إحدى بقاع الارض بادر مسرعاً بالإخبار بما لم يحط به نبي الله سليمان (عليه السلام) عن ما رأته من مدينة عامرة يحكمها امرأة واوتيت بكل ما هو من لوازم الملك العظيم، وأنهم يعبدون الشمس من دون الله[٤] .

المطلب الخامس: اقسام المبادرة :

يتبلور للناظر في النصوص القرآنية التي حملت مضامين الفهم الدلالي الى المبادرة، إذ يرى الإنسان أن ما يسعى لأجله في هذه الدنيا يناله يوم القيامة ولهذا يشير قوله تعالى ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ﴾ [النجم: الآية ٣٤-٣٥]، والسَّعْيُ: يراد به المشي السّريع، وهو كناية عن بذل الجهد للوصول الى هدف ما، ويستعمل للجدّ في الأمر، خيراً كان أو شرّاً، وهو من الأصول الثابتة

(١) ظ، الطبرسي، مجمع البيان، ٢٦٩/٧، محمد حسين الطباطبائي، الميزان في القرآن، ٣٥٣/١٥، ابي حيان الأندلسي، بحر المحيط، ٥٩/٧ .
(٢) الطبرسي، مجمع البيان، ٢٧٠/٧ .
(٣) الزمخشري، الكشاف، ٣٤٨/٣ .
(٤) ظ، الزمخشري، الكشاف، ٣٤٨/٣- ٣٥٠، ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٤٥٨/٨- ٤٦٢، ناصر مكارم الشيرازي، تفسير الأمثل، ٩/ ٣٧٨/٣٧٩ .

الذي نبهت عليها الكتب السماوية، أن الإنسان لا يكسب شيئاً يوم القيام إلا ما كان له فيه سعي وجهد[١]، وحركة الإنسان في هذه الدنيا يقسم الى قسمين:

القسم الاول:- المبادرة الى الخيرات :

إنّ الابرار هم المبادرين الأولين في فعل الخير لأن نتائج أعمالهم واسعة في المجتمع لما يتميزون به من الصفات الفاضلة، من ذلك الوفاء بالنذر واطعام الطعام للمحتاجين وغيرها من الأفعال السامية التي يرون وجوب التزامها في حياتهم اخلاصاً لله تعالى في ذلك، قال تعالى ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ۝ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلا شُكُورًا﴾ [الإنسان: الآية ٧- ٨]، وخير الابرار من الإنس والجن هم آل بيت النبوة ومهبط الرسالة (علي وفاطمة والحسن والحسين) (عليهم السلام)، بهم نزلت سورة الانسان وهذه الآيات الكريمة وما فيها من ذكر لصفات الابرار الذي تدل على فضل أهل البيت عليهم السلام في تكريم الله لهم[٢]، فهذه الصفات (فإنها لا تختص بهم في الإيحاء الأخلاقي العام للشخصية المسلمة التي تقدم النموذج القدوة، بل تنطلق لتتحرك في خط الأخلاقي في كل زمانٍ ومكان)[٣]، ويبدوا أن من يتحلى بأخلاقهم ويقتدي بمنهجهم وسلوكهم اليومي في الحياة سينال ما يناله في الدنيا والأخرة فقد روي عن أبي سعيد الخدري أن النبي قال: (صلى الله عليه وآله) قال (ما من مسلم أطعم مسلما على جوع، إلا أطعمه الله من ثمار الجنة، وما من مسلم كسا أخاه على عري، إلا كساه الله من خضر الجنة، ومن سقى مسلما على ظمأ، سقاه الله من الرحيق)[٤]، وفي قوله تعالى ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا

(١) ظ، الراغب الاصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص٤١١، سيد مرتضى المهري، الهادي في تفسير القرآن الكريم، ج٥/ ٢١٠.
(٢) الطبرسي، مجمع البيان، ١٦٤/١٠، محسن قرائتي، تفسير النور، ٣٠١/١٠، محمد تقي المدرسي، من هدى القرآن، ٤١٣/١١ .
(٣) محمد حسين فضل الله، من وحي القرآن، ٢٧٣/٢٣.
(٤) علي القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ج٣٤٢/٤ .

وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: الآية٩٠]، فهذه من موجبات العطاء ونزول النعم من الله عز وجل على العباد، وهو المبادرة في الخيرات من الاعمال، والاجتهاد في أداء كل قول وفعل أمرهم الله به رغبةً ورهبةً[١]، وغيرها من الآيات التي تشير لهذا المعنى... [٢].

القسم الثاني: المبادرة الى الشرور:

أشار الله تعالى في كتابه العزيز إلى صنفين من البشر وهم (المؤمن والمنافق) فكان (المؤمن) موصوفاً بفعل الخيرات وسعيه نحوها بشكل حثيث كما تبين ذلك في الشاهد السابق وهنا نجد أن الصنف الاخر وهو (المنافق) إذ يسعى الى الإفسادٍ في الارض، كما في قوله تعالى ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾ [البقرة: الآية ٢٠٥]، والسعي هو العمل والإسراع في المشي، أي إذا ما أعرض المنافق أو إذا ما تولى أمر الناس وأوتي سلطاناً، سعى في الأرض جاهداً ليظهر الفساد ويعمل المعاصي ويتلف الحرث والنسل بسبب فساده ، انقياداً لأهوائهِ وشهواتهِ، وإرضاءً لمقاصده الدنيوية الحقيرة، فيتسبب في هلاك الحرث والنسل، والقضاء على مقومات الحياة[٣]، وكذلك لما ارسل الله موسى (عليه السلام) واخيه هارون الى فرعون لأنه تجاوز الحد في الكفر والتجبر والتكبر والتمرد والعتو، فدعاه الى الحق، وأراه الآيات الكبرى، فكذب فرعون بما جاء به موسى وعصى الله بعد ما علم صحة الأمر، ﴿فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ﴾ [النازعات: الآية ٢٠/٢١/٢٢]، أدبر بمعنى تولى عن الإيمان، أو أقبل مسرعاً يسعى سعياً مجتهداً بالفساد في الأرض وإبطال ما جاء به موسى عليه

---

(١) الزمخشري، الكشاف، ١٣٠/٣، محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ٣١٦/١٤، محمد سيد طنطاوي، تفسير الوسيط، ٢٤٧/٩ .

(٢) سورة الأنبياء: الآية ٧٣، سورة النمل: الآية ٤٨/١٩ .

(٣)ظ ، الطوسي، التبيان، ٢٧٠/٣، الطبرسي، مجمع البيان، ٤٦/٢، محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ٩٦/٢، وهبة الزحيلي، التفسير المنير، ٥٩٦/١، سليمان ابراهيم عبدالله، عون الرحمن في تفسير القرآن، ١٩٦/٣.

السلام[1]، من هنا أن هذه الآيات وغيرها تشير إلى المبادرة نحو الكفر والعدوان والظلم وتجاوز حدود الله، كما جاء في قوله تعالى ﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: الآية ٦٢]، فضلاً عن آيات أخرى تشير الى مبادرة الكفار الى عدم الإيمان بالله تعالى وفعل المعاصي والموبقات[2] .

المطلب السادس: المبادرة لاجتناب إتباع وساوس الشيطان :

بعد أن ذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم الاحداث التي جرت مع ابليس لعنه الله بعد خلق آدم، منها امتناعهِ عن السجود، واغوائهِ لآدم وزجته، وتوعده لبنيه بالغواية وحرفهم عن الطريق القويم، يخبرنا الله عزّ وجل في آيات كثيرة محذراً من وساوس الشيطان واساليبهِ في تضليل الانسان وابعاده عن الصراط المستقيم، فيما يأمر به من الظلم والفسق والكفر والعصيان كما يحذرنا الله تعالى في قوله تعالى ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ وَأَنِ اعْبُدُونِي هَٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [يس: الآية ٦٠/٦١]، فهذا تذكير لبني آدم من أجل تحفيزه ويجعله متأهباً لمواجهة ومجابهة هذا العدو اللدود الظاهر، ولأهمية التحذير والنهي تكررت عبارة ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ خمس مرات في القرآن الكريم، و ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: الآية ١٦٨]، تكررت عشر مرات بعد الحديث عن الشيطان، أي أن الله سبحانه وتعالى ينهى الناس والمؤمنين من اتباع وساوس الشيطان واثاره ومسالكه التي زينها بعد أن اظهر عدواته لهم لأنه يريد للإنسان أن ينحرف عن دينه من خلال تحريم الحلال واحلال الحرام، ويبين القرآن

(1) الطبرسي، مجمع البيان، ١٩٨/١٠، الزمخشري، الكشاف، ٦٨٢/٤، البغوي ،معالم التنزيل، ٣٢٩/٨، محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط، ٢٧١/١٥ .

(2) سورة البقرة: الآية ، سورة آل عمران: الآية ١٧٦/٢١، سورة المائدة: الآية ٤٢/٤١، سورة النمل: الآية ٤٦/ ٤٨ .

أن منهج الشيطان يتركز في ثلاثة أبعاد هي: السوء، والفحشاء، والتقول على الله[١]، حيث ورد في قوله تعالى ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: الآية ١٦٩] أي (السوء متناول جميع المعاصي من أفعال الجوارح وأفعال القلوب، والفحشاء هي التي جاوزت الحد في القبح)[٢]، والامر الثالث (هو نسبة الاحكام أو العقائد أو الأعمال الى الله باعتبارها شيئاً موحى به من قِبلهِ)[٣]، وفي موضع أخر يذكر القرآن اسلوب من أساليب الشيطان في غواية الانسان في قوله تعالى ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: الآية ٢٦]، إذ أن الشيطان يغر الانسان بالفقر إذا ما أنفق في سبيل الله، بخلاف المقتضى الالهي الذي يعد الانفاق مغفرة وكفارة للذنوب [٤]، ويذكر أيضا أن وظيفة الشيطان هو ايقاع العداوة والبغضاء بين الناس قال تعالى ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ [المائدة: الآية ٩١]، فبعد أن حذر الله تعالى بني آدم من وساوس الشيطان واساليبهِ في التضليل، والسبل للتخلص من وساوسهِ، لذا على الإنسان أن يبادر باللجوء الى الله تعالى مستعيذاً به، قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [فصلت: الآية ٣٦]، فالقرآن الكريم يبين أحد اسباب الفوز والنجاح هو اجتناب اتباع الشيطان وذلك بالتأني عن مسببات الإيقاع في شراك الرذيلة الشيطانية والمتمثلة بالخمر والميسر والانصاب والأزلام كونها ممارسات سلوكية قد يعملها الإنسان فتوقعه في مستنقع الرجس الشيطاني لذا نهانا الخطاب القرآني بوجوب اجتنابه، لكي ينال الفلاح منه سبحانه في الدنيا والآخرة، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: الآية ٩٠]، وأن يتحصن بحصن التقوى ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ [البقرة: الآية١٩٧]

---

(١) ظ، الإيجي، جامع البيان في تفسير القرآن، ١٤٤/١ ، ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل، ٣٢٢/١، أ. د سليمان ابراهيم عبدالله، عون الرحمن في تفسير القرآن، ٨/٣ .

(٢) النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ٤٦٥/١ .

(٣) محمد حسين فضل الله، من وحي القرآن، ١٦٧/٣ .

(٤) ظ، الزمخشري، الكشاف، ٣١٠/١، النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ٢٢٠/١.

الفصل الأول: المبادرة في نطاق الآيات العقدية

المبحث الأول: المبادرة في نطاق آيات الدعوة الإلهية / الخطاب الإلهي :

المبحث الثاني: المبادرة في نطاق آيات التوحيد:

المبحث الثالث: المبادرة في نطاق آيات التقوى:

المبحث الرابع: المبادرة الى الاستغفار والتوبة :

المبحث الخامس: المبادرة في نطاق آيات الدعاء :

توطئة:

للعقيدة أهمية كُبْرى في حياة الإنسان، وهي المدخل للإسلام وهي مِحْوره والروح التي تسري فيه، لذلك فالدِّين الإسلاميُّ بناءٌ متكامل يَشمل جميع حياة المسلم منذ ولادته وحتى مماته، ثم ما يَصير إليه بعد موته، وهذا البناء الضخم يقوم على أساس متين، هو العقيدة الإسلامية التي تتخذ مِن وحدانية الخالق جل وعلا مُنطلَقًا لها، وإن لموضوع العقيدة أهمية كبرى في حياة الإنسان المسلم وفي صقل شخصيته الإيمانية الرسالية، لما لها من أثر على صعيد حياته الأخروية ومسلكيته الدنيوية .

المبحث الأول: المبادرة في نطاق آيات الدعوة الإلهية / الخطاب الإلهي :

مما يجب على الإنسان المبادرة إليه هو الاستجابة الى النداء الإلهي، لأن الخطاب الإلهي المتمثل بـ (يا أيها الناس، يا أيها الذين آمنوا) هي الصفة الغالبة في كتابه الكريم، حيث وردت آيات كثيرة بهذه الصيغ، لما في الامر ما يقتضي الاعتناء والحث منه سبحانه وتعالى، وفي مقام النداء والخطاب الإلهي يذكر السيوطي (والمقام يناسب المبالغة والتأكيد، لأن كل ما نادى له عباده – من أوامره ونواهيه، وعظاته وزواجره، ووعده ووعيده، ومن اقتصاص أخبار الأمم الماضية وغير ذلك، ومما أنطق الله به كتابه – أمور عظام، وخطوب جسام، ومعانٍ واجب عليهم أن يتيقظوا لها، ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم إليها وهم غافلون، فأقتضى الحال أن ينادوا بالآكد الأبلغ)[١]، فابتداء الآيات بأسلوب خطابي، فهو نداء يفتح شغاف القلب، ويرفع معنويات الإنسان، ويشحذ همته، وما في النداء من لذة، إذ قال الإمام الصادق (عليه السلام) (لذة ما في النداء - أي يا أيها الذين آمنوا - أزال تعب العبادة والعناء)[٢]، وقال حسن البصري (إذا سمعت الله، عز وجل، يقول (يا أيها الذين آمنوا) فارع لها سمعك، فإنها لأمر تؤمر به، أو لنهي تنهى عنه)[٣] .

وأول آية قرآنية بدأت بالنداء الإلهي، قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: الآية ٢١]، فهذا نداء عام وشامل من الباري عز وجل الى البشرية عامةً بالمبادرة الى عبادة الله الواحد الأحد وتوحيده والالتزام بشرائع دينه، ورفض كل ألوان الشرك والانحراف[٤]، لكي تتقوا السخط والغضب والعذاب الإلهي بعبادته وطاعته سبحانه وتعالى فيما أمركم به ونهاكم عنه[٥]، أو بمعنى بادروا – أيها الناس – بعبادة ربكم الذي خلقكم وخلق أباكم

(١) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ص٥٨٤ .
(٢) الطبرسي، مجمع البيان، ٥/٢ .
(٣) م، ن، ٥/٢ .
(٤) ظ، ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل، ٨١/١ .
(٥) ظ، الطبري، تفسير الطبري، ١/ ٣٦٤، الثعالبي، تفسير الثعالبي، ١/ ١٩٥ .

وأسلافكم لعلكم بذلك تنالون مَلكة التقوى[1]، وجاء في تفسير البرهان عن الإمَام الحسن العسكري(عليه السلام) في دلالة النداء (يا أيها الناس...)قال: قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ(عَلَيْهِ السَّلاَمُ) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى (- يٰا أَيُّهَا النّاسُ - يَعْنِي سَائِرَ الْمُكَلَّفِينَ مِنْ وُلْدِ آدَمَ. - أُعْبُدُوا رَبَّكُمُ - أَطِيعُوا رَبَّكُمْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمْ، أَنْ تَعْتَقِدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَلاَ شَبِيهَ لَهُ وَ لاَ مِثْلَ، عَدْلٌ لاَ يَجُورُ، جَوَادٌ لاَ يَبْخَلُ، حَلِيمٌ لاَ يَعْجَلُ، حَكِيمٌ لاَ يَخْطَلُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ، وَبِأَنَّ آلَ مُحَمَّدٍ أَفْضَلُ آلِ النَّبِيّينَ، وَأَنَّ عَلِيّاً(عَلَيْهِ السَّلاَمُ)أَفْضَلُ آلِ مُحَمَّدٍ، وَأَنَّ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُمْ أَفْضَلُ صَحَابَةِ الْمُرْسَلِينَ، وَأَنَّ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ أَفْضَلُ أُمَمِ الْمُرْسَلِينَ، ثُمَّ قَالَ عَزَّ وَ جَلَّ: - اَلَّذِي خَلَقَكُمْ - اعْبُدُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نُطْفَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ، فَجَعَلَهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ، إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ، فَقَدَّرَهُ فَنِعْمَ الْقَادِرُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَوْلُهُ: - أُعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ - أَيْ اعْبُدُوا بِتَعْظِيمِ مُحَمَّدٍ وَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ(عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ) اَلَّذِي خَلَقَكُمْ نَسَماً، وَسَوَّاكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ، وَصَوَّرَكُمْ، فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ، ثُمَّ قَالَ عَزَّ وَ جَلَّ: - وَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ - قَالَ: وَخَلَقَ اللَّهُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنْ سَائِرِ أَصْنَافِ النَّاسِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ قَالَ: لَهَا وَجْهَانَ: أَحَدُهُمَا: وخَلَقَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ-كُلَّكُمْ- تَتَّقُونَ، أَيْ لِتَتَّقُوا كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ: وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلاّ لِيَعْبُدُونِ، وَ الْوَجْهُ الْآخَرُ: أُعْبُدُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ، وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ، لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ، أَيْ اعْبُدُوهُ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ النَّارَ)[2] .

وكذلك الآيات الأخرى في القرآن الكريم التي يبلغ عددها عشرون آية[3]، مخاطبًا الناس عامة:

قال تعالى ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ

(1) ظ، عبدالله الجوادي الآملي، تسنيم في تفسير القرآن، ٤٢٧/٢ .
(2) هاشم البحراني، البرهان في تفسير القرآن، ١/ ١٥١ .
(3) ظ، البقرة/ ١٦٨، النساء/ ١، يونس/ ٢٣- ٥٧- ١٠٤- ١٠٨، الحج/ ١- ٥- ٤٩- ٧٣، النمل/١٦، لقمان/٣٣، فاطر/٣- ١٥، الحجرات/ ١٣ .

وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: الآية ١٥٨]، إذ أمر الله سبحانه وتعالى نبيه ورسوله محمد (صلى الله عليه وآله) أن يخاطب الناس كافة من العرب والعجم، قل يا محمد أني رسول الله إليكم جميعاً بشيراً ونديراً، لا الى بعض الناس دون البعض كما الرسل من قبل رسالته (صلى الله عليه وآله)[١]، وفي تفسير الصافي ورد حديث عن الإمام الحسن المجتبى(عليه السلام) قال (جاء نفر من اليهود إلى رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) فقالوا: يا محمّد، أنت الذي تزعم أنّك رسول الله، وأنّك الذي يوحى إليك كما يوحى إلى موسى بن عمران؟ فسكت النّبي ساعة ثمّ قال: (نعم أنا سيد ولد آدم ولا فخر، وأنا خاتم النّبيين، وإمام المتقين، ورسول ربّ العالمين). قالوا: إلى من، إلى العرب أم إلى العجم، أم إلينا؟ فأنزل الله هذه الآية)[٢]، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَّكُمْ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: الآية ١٧٠]، وقيل أن – الحق – الدين الذي ارتضاه الله سبحانه وتعالى لعباده[٣]، وقيل كما أورده العياشي في تفسيره عن أبي جعفر (عليه السلام) الحق هو ولاية علي (عليه السلام) والإيمان بولايته[٤] .

يوجه الباري عزَّ وجلّ خطابه إلى الناس كافة، يبين أنه بعث لهم من جانبه نبياً ورسولاً يحمل معه الدلائل الواضحة والبراهين القاطعة، وبعث معه النور المبين المتجسد في القرآن الكريم[٥]، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء: الآية ١٧٤]، وقيل البرهان محمد (صلى عليه وآله وسلم) والنور ولاية علي (عليه السلام)[٦]، فهذه الخطابات الإلهية صرّحت بأنّ رسالة النّبي محمد (صلى الله عليه وآله) رسالة عالمية يدعوا الناس بالمبادرة إلى

(١) ظ ، الطبرسي، مجمع البيان، ٢٧٧/٤، الطبري، تفسير الطبري، ١٧٠/١٣ ،
(٢) محسن الكاشاني، تفسير الصافي، ٢٥٤/٣- ٢٥٥ .
(٣) ظ ، الطبرسي، مجمع البيان، ٢٠٤/٣ .
(٤) ظ ، العياشي، تفسير العياشي، ٤٥٦/١ .
(٥) ظ ، ناصر مكارم الشيرازي، تفسير الأمثل، ٣٣١/٣ .
(٦) ظ، العياشي، تفسير العياشي، ٤٥٧/١ .

الإيمان بالله سبحانه وتعالى وتوحيده وطاعته والإيمان برسوله وأوصيائه وكتابه المنير واليوم الآخرة، والإيمان بما جاء به الرسول بالحقِّ من الله عز وجل .

فمن الخطاب الإلهي ما تضمن النهي لبعض القضايا في حياة المؤمنين لمنفعة تعود لهم، فأوجب على المؤمنين المبادرة في امتثال عما نهاهم الله سبحانه تعالى عنه، حيث وردت آيات كثيرة ينهى المؤمنون من تولي من غضب الله تعالى عليهم، وهم اليهود والنصارى والكفار، منها:

قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: الآية ٥١]، فعلى المسلمين والمؤمنين بالخصوص في كل زمان ومكان، بالمبادرة لامتثال ما نهاهم الله سبحانه عنه من اتخاذ اليهود والنصارى أولياء وخصهم بالذكر لأن سائر الكفار بمنزلتهما في وجوب معاداتهم والتبري منهم وعدم الاستعانة بهم[١]، (فهم حلفاء بعضهم يقفون صفاً واحداً في مواجهة الحق وإعلان الحرب عليه، إنهم يد واحدة في حبك المؤامرات ودس الدسائس وزرع الفتن، فالكفر ملة واحدة في مواجهة الإسلام وأهله)[٢]، وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾ [النساء: الآية ١٤٤]، قال ابن كثير (ينهى الله تعالى عباده المؤمنين عن اتخاد الكافرين أولياء من دون المؤمنين يعني مصاحبتهم ومصادقتهم، ومناصحتهم وإسرار المودة إليهم، وإفشاء أحوال المؤمنين الباطنة إليهم)[٣] .

حيث نهى سبحانه وتعالى عن صيرورة وجعل أعدائه أولياءَ، لأن من صفاتهم الاستهزاء بالإسلام وبأحكامه وتعاليمه وشعائره قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: الآية ٥٧]، وقدم (وصفهم باتخاذهم دين

(١) ظ، الطبرسي، مجمع البيان، ٢٩٢/٣، محسن قرائتي، تفسير النور، ٢٩٢/٢ .
(٢) عباس علي الموسوي، الواضح في التفسير، ٥/ ١٣٦ .
(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٤٤١/٢.

المؤمنين هزواً ولعباً للتنفير منهم ومن موالاتهم)[١]، وفي ذيل الآية قصدَ الباري عز وجل بـ - اتقوا الله إن كنتم مؤمنين – استنهاض همم المؤمنين فيما نهاهم عنه بترك موالاة أعدائهم على وجه السرعة وعدم التكاسل في الأمر[٢] .

وفي سورة الممتحنة إذ ابتداء الله تعالى بالتوكيد على قطع كل علاقة بأعداء الله، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ...﴾ [الممتحنة: الآية ١]، وختمها بآية أخرى تؤكد المفهوم والموقف نفسه من أعداء الله، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ [الممتحنة: الآية ١٣]، والغرض من التأكيد في النهي هو تحذير المؤمنين من أعداء الله والدين الحق، وأن لا يأمنوهم على شيء، ولا يركنوا الى أكاذيبهم ودسائسهم[٣] .

فهذه الآيات التي وردت فيها النهي واجب على المؤمنين المبادرة في الالتزام بالأمر في أنْ لا يتخذوا اليهود والنصارى والكافرين أولياء من دون المؤمنين لأنها مخالفة لقواعد الإيمان وكذلك مما توجب الخزي والذل في الدنيا والعذاب الأليم في الآخرة .

وقد حذر الباري عز وجل في كتابه المبين، من الاستماع والإصغاء الى أعداء الإسلام من أهل الكتاب وقبول قولهم لما يسعون في اضلال المؤمنين وفتنتهم عن دينهم، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ [آل عمران: الآية ١٠٠]، فهذه الآية وإن كانت خطابها تضمن سبباً في نزولها كحادثة حصلت في صدر الإسلام، إلا أنها تحذير عام للمؤمنين بعموم اللفظ[٤]، حيث لا ينفك أعداء الإسلام من إيقاظ الفتنة بين المسلمين وتمزيق وحدتهم بعد أن وحدها الله على الإسلام، يذكر الشيخ محمد جواد مغنية (١٤٠٠هـ)، أن هذه الآية تنطبق في هذا العصر على محاولة بعض أهل الكتاب

(١) أ .د. سليمان ابراهيم عبدالله، عون الرحمن في تفسير القرآن، ٤٨٠/٧ .
(٢) ظ، محمد سيد الطنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ٢٠٤/٤ .
(٣) محمد جواد مغنية، تفسير الكاشف، ٣١٠/٧ .
(٤) ظ، الطبرسي، مجمع البيان، ٢٨٤/٢ .

وغيرهم الى تفريق وحدة المسلمين وتفتيت كلمتهم، وصرف اهتمامهم عن دينهم، واشعارهم بالحرية والوطنية الكاذبة، ليقعوا فريسة سائغة لكل ناهب وغاصب[١] .

وتنطبق أيضاً، كما يقول الشيخ محمد جواد مغنية، (على تقليد نسائنا للغرب في التهتك والتبرج، واستخفاف شبابنا بالدين والأخلاق، وعلى كل عادة مضرة ومحرمة اقتبسناها من الأجانب...، إن الآية ظاهرة في النهي عن اطاعة اهل الكفر في الكفر والارتداد عن الإسلام، ولكن السبب الموجب عام يشمل كل تقليد ومتابعة تغضب الله والرسول)[٢] .

وكذلك حذر الله سبحانه وتعالى المؤمنين من الكفار أيضاً، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: الآية ١٤٩]، فإن الإصغاء الى الكفار واطاعتهم في (وساوسهم وتلقيناتهم، والإصغاء الى دعاياتهم تعني العودة إلى النقطة الأُولى وهي الكفر والفساد والسقوط في حضيض الانحطاط، وفي هذه الصورة يكونون قد ارتكبوا إثما كبيراً ستلازمهم تبعاته، وآثاره الشريرة، فأية خسارة أكبر من أن يستبدل الإنسان الإيمان بالكفر، والنور بالظلام، والهدى بالضلال والسعادة بالشقاء)[٣] .

وفي مقابل ذلك فقد ورد في القرآن الكريم منّ يجب على المسلمين والمؤمنين إطاعتهم واتباع نهجهم، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ... ﴾ [النساء: الآية ٥٩]، أي أيها المؤمنين إن كنتم ترغبون بصلاح الدنيا والفوز بجنة الآخرة عليكم أن تلزموا طاعة الله عزَّ وجلّ في ما أمركم به ونهاكم عنه، وطاعة رسوله لأنه طاعة الله، وامتثال أوامر الرسول هو امتثال أوامر الله، أي العمل بكتاب الله وسنة نبيه[٤]، وأما أولي الأمر الذين فرض الله طاعتهم، فقد وردَ في تفسير العياشي عن أبان أنه دخل على أبي الحسن الرضا

(١) ظ، محمد جواد مغنية، تفسير الكاشف، ١٢٠/٢ .
(٢) محمد جواد مغنية، تفسير الكاشف، ١٢١/٢ .
(٣) ناصر مكارم الشيرازي، تفسير الأمثل، ٣٨٢/٢ .
(٤) ظ، الطبرسي، مجمع البيان، ٩٥/٣ .

(عليه السلام) قال: (فسألته عن قول الله " يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم " فقال: ذلك علي بن أبي طالب عليه السلام ثم سكت، قال: فلما طال سكوته قلت: ثم من قال: ثم الحسن، ثم سكت فلما طال سكوته قلت: ثم من قال: الحسين، قلت: ثم من قال: ثم علي بن الحسين وسكت، فلم يزل يسكت عند كل واحد حتى أعيد المسألة، فيقول حتى سماهم إلى آخرهم (عليهم السلام))[١] .

وكذلك في التفسير العياشي عن سليم بن قيس الهلالي، قال سمعت علياً (عليه السلام) يقول (...، فقلت: يا رسول الله ومن شركائي من بعدي؟ قال: الذين قرنهم الله بنفسه وبي فقال: " أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم " الأئمة، فقلت: يا رسول الله ومن هم؟ فقال الأوصياء مني إلى أن يردوا على الحوض كلهم هاد مهتد لا يضرهم من خذلهم، هم مع القرآن، والقرآن معهم، لا يفارقهم ولا يفارقونه، بهم تنصر أمتي، وبهم يمطرون وبهم يدفع عنهم، وبهم يستجاب دعاؤهم، فقلت: يا رسول الله سمهم لي، فقال لي: ابني هذا ووضع يده على رأس الحسن، ثم ابني هذا ووضع يده على رأس الحسين، ثم ابن له يقال له على، وسيولد في حياتك فأقرأه منى السلام، ثم تكمله إلى اثنى عشر من ولد محمد، فقلت له: بأبي وأمي أنت سمهم فسماهم لي رجلاً رجلاً، فيهم والله - يا أخا بني هلال - مهدي أمة محمد، الذي يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملأت جورا وظلما، والله انى لأعرف من يبايعه بين الركن والمقام، واعرف أسماء آبائهم وقبائلهم)[٢] .

وفي كتاب علل الشرائع، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال (إنما الطاعة لله، ولرسوله، ولولاة الأمر، وإنما أمر بطاعة أولي الأمر لأنهم معصومون مطهرون ولا يأمرون بمعصيته)[٣]، وجاء في تفسير الصافي (لا طاعة لمن عصى الله، وإنما

---

(١) العياشي، تفسير العياشي، ٤١٠/١ .
(٢) م. ن، ٤١٢/١ .
(٣) الصدوق، علل الشرائع، ١٢٤/١ .

الطاعة لله، ولرسوله، ولولاة الأمر، إنما أمر الله بطاعة الرسول لأنه معصوم مطهر لا يأمر بمعصية)[١] .

ويشير السيد محمد تقي المدرسي أن (أولي الأمر هم الامتداد الطبيعي للرسول (صلى الله عليه وآله) وهم أهل بيته (عليهم السلام) من بعده، والعلماء بالله الأمناء على حلاله وحرامه، الأكفاء على القيام بأمره، الصابرون المتقون، وبالتالي هم أكثر الناس طاعة لله، وأقربهم الى نهج رسوله، ويتحقق اليوم في حملة رسالة الله في الأرض أنى كانوا)[٢] .

ومن مصاديق الطاعة الاستجابة لندائه سبحانه وتعالى ونداء رسوله، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: الآية ٢٤]، أي أيها المؤمنين بادروا في اجابة وطاعة الله والرسول فيما يأمران به، فدعوتهم هي الدعوة للعيش والحياة على جميع الأصعدة، المعنوية، والمادية، والثقافية، والاقتصادية، والسياسية، والأخلاقية والاجتماعية، أن تعيش الحياة بالعلم والحرية والنشاط[٣]، فالطاعة والتسليم لأوامرهم هي السبيل للوصول الى الحياة الطيبة، الذي تتلخص في الإيمان والعمل الصالح[٤]، كما قال تعالى ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: الآية ٩٧]، (وهذا هو النداء للمؤمنين، الذي يريد أن يثير فيهم روح الإيمان ومعناه وحركته في داخلهم، ليوحي إليهم بأنه ليس مجرّد فكرٍ مجرّد...، لأن الإسلام هو دعوةٌ الى الحياة، في ما أراده للإنسان من حركةٍ ووحيٍ ونموٍّ، وانطلاق من خلال مفاهيمه الواسعة الشاملة التي تفتح آفاقه على الكون كله...، مما يجعل منه طاقةً حيةً متحركةً في أكثر من اتجاه، من خلال

(١) فيض الكاشاني، تفسير الصافي، ٢٥٩/٢ .
(٢) محمد تقي المدرسي، من هدى القرآن، ٧٣/٢ .
(٣) ظ، ناصر مكارم الشيرازي، تفسير الأمثل، ٣٣/٥ .
(٤) ظ، محسن قرائتي، تفسير النور، ٢٧٧/٣ .

شريعته التي تنظم له حياته)[1]، وقيل الاجابة إذا دعاكم على نحو الخصوص الى الجهاد أو الإيمان أو القرآن والعلم في الدين أو الجنة[2] .

لذلك فمن أراد العزة والكرامة والصلاح والنجاة من الظلمات أن يبادر في التمسك بحبل الله المتصل بين السماء والأرض، والالتزام بنهج من أمر الله سبحانه وتعالى بطاعتهم، كونها من طاعة الرسول فهم بمثابة أولي الامر الواجب التزام طاعتهم، لأن طاعة غيرهم تؤدي الى الإنحراف والضلال .

ومن الأوامر الإلهية على نبيه ورسوله (صلى الله عليه وآله) التي تعد من المبادرات النبوية في حركته الرسالية، قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝ قُمْ فَأَنذِرْ﴾ [المدثر: الآية ١- ٢]، أي قم يا محمد قيام عزم وتصميم وجدّ، بالمبادرة الى تحذير وإنذار الناس من عذاب الله إن لم يستجيبوا فيما تدعوهم إليه، لإيقاظ الناس من غفلتهم يجب إنذارهم لا تبشيرهم[3]، والأولى في هذه المبادرة هو إندار الأقرباء من الرحم، لأن المنطق القرآني يدعو الى التدرج في مراحل الدعوة انطلاقاً من الأقرب الى جميع الناس، إذ يأمر الباري عزَّ وجلّ نبيه محمد (صلى الله عليه وآله) بقوله ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: الآية ٢١٤]، لأن الحركة الرسالية للنبي محمد (صلى الله عليه وآله) في بدايتها كانت سرية، فجاءه الأمر من المولى عزَّ وجلّ لإعلان دعوته ابتداءً بالأقربين، ومن الجدير هنا أن نذكر لمحة عن كيفية إبلاغهم وإنذارهم، فبعد أن نزل الأمر الإلهي بادر رسول الله (صلى الله عليه وآله) بدعوة أقربائه من العشيرة، يبلغ عددهم حوالي أربعين رجلاً الى بيت عمهِ أبي طالب، بعد أن تناولوا الطعام خاطبهم (ﷺ) قائلاً (يا بني عبد المطلب، إني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم بخير الدنيا والأخرة... وقد أمرني الله أن ادعوكم إليه فأيكم يؤازرني على أمري هذا، على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم، فأحجم القوم عنه غير علي ابن أبي طالب (عليه السلام) وكان أصغرهم سناً، فقال : يا نبي

(1) محمد حسين فضل الله، من وحي القرآن، ١٠/٣٥٥- ٣٥٦ .
(2) ظ، الطبرسي، مجمع البيان، ٤/٣٣٣ .
(3) ظ، الزمخشري، الكشاف، ٤/٦٣٣، الطهراني، مقتنيات الدرر، ١١/٣٥٨ .

الله أنا أكون وزيرك عليه، فأخذ رسول الله برقبته، وقال : إن هذا وصييّ وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا، فقام القوم يضحكون، ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع)[1]، حيث بادر الرسول في حركته الرسالية الى تزكية الناس وتعليم ما في القرآن من الأحكام والمعارف، والتبشير بالجنة ونعيمها والانذار من النار وعذابها، والتبليغ بأهم القضايا الإسلامية التي تعود بالمنفعة للأمة الإسلامية .

فمن أهم هذه الأمور والقضايا التي أمر الله عزَّ وجلّ نبيه الكريم (صلى الله عليه وآله) بها حيث بلغت من الأهمية حداً يوازي تبليغه تبليغ الرسالة كلها، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: الآية ٦٧]، إذ يقول الشيخ محسن قرائتي صاحب تفسير النور أن (هذه الآية هي الوحيدة في القرآن الكريم التي تخاطب النبي الكريم (صلى عليه وآله) بلغة تهديدية إن هو كتم أو لم يبلّغ ما أُنزل إليه، فإن جهوده في الدعوة الى دين الله طيلة ٢٣ سنة ستذهب هباء. إذن يجب سبر فحوى الرسالة المهمة التي يريد إيصالها بهذه الطريقة الملفتة)[2] .

وهناك من مفسري الشيعة الإمامية، الذين يستندون الى الروايات الواردة عن أهل البيت (عليهم السلام) وبعض مفسري أهل السنة، أن من أسباب نزول هذه الآية يعود الى تنصيب علي ابن أبي طالب (عليه السلام) لولاية وخلافة وإمامة المسلمين في واقعة غدير خم المعروفة .

وفي تفسير العياشي، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال (لما أنزل الله على نبيه ﴿يا أيها الرسول بلغ ما انزل إليك من ربك فإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ان الله لا يهدى القوم الكافرين﴾ قال: فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيد علي فقال: يا أيها الناس انه لم يكن نبي من الأنبياء ممن كان قبلي الا وقد عمر ثم دعاه الله فأجابه وأوشك ان ادعى فأجيب، وأنا مسؤول وأنتم مسؤولون فما

(1) ناصر مكارم الشيرازي، تفسير الأمثل، ٩/ ٣٣٨ .
(2) محسن قرائتي، تفسير النور، ٣١٥/٢ .

أنتم قائلون؟ قالوا نشهد انك قد بلغت ونصحت وأديت ما عليك، فجزاك الله أفضل ما جزى المرسلين، فقال: اللهم اشهد ثم قال: يا معشر المسلمين ليبلغ الشاهد الغايب أوصى من آمن بي وصدقني بولاية على الا إنّ ولاية على ولايتي [وولايتي ولاية ربى] ولا يدرى عهداً عهده إلى ربى وأمرني ان أبلغكموه ثم قال: هل سمعتم - ثلث مرات يقولها - فقال قائل: قد سمعنا يا رسول الله صلى الله عليه وآله)[1] .

(1) العياشي، تفسير العياشي، ٦٥/٢ .

المبحث الثاني: المبادرة في نطاق آيات التوحيد:

إن شعار التوحيد وعبادة الله، هو شعار جميع الأنبياء والمرسلين والأوصياء الإلهيين، حيث نشاهد في القرآن الكريم آيات متعددة من السور القرآنية، على أن أول ما يبادر به الأنبياء في حركتهم الرسالية كخط واحد هي الدعوة الى دين التوحيد، كمنهج للفكر والعمل للحياة .

فالدين هو التوحيد وهو عقيده إلهية بُعِث له الأنبياء والرسل الى الناس كافة لغرس نفوسهم في الإيمان بالله سبحانه، ليكون وسيلة لأيقاظ الفطرة الإنسانية، وإنها ختمت ببعثة نبي الرحمة الى البشرية كافة محمد (صلى الله عليه وآله) ويتكون من ركنين أساسين هما: العقيدة والنظام، وعلى الانسان أن يتحرك ويسعى ويبادر في تحديد دين يعيش في ظله بسعادة، قال صاحب تفسير الميزان العلامة الطباطبائي (ت١٤٠٢هـ): (فإن الإنسان لا مناص له عن الدين، وأحسن الدين إسلام الوجه لله الذي له ما في السموات وما في الأرض، والخضوع له خضوع العبودية، والعمل بما يقضتيه ملّة إبراهيم حنيفاً وهو الملة الفطرية)[١]، وفي قول النبي محمد (صلى الله عليه وآله) لليهود والنصارى بأمر من الله أن هذا الدين هو الدين الوحيد الذي يهدي الإنسان الى طريق الحق[٢]، كما في قوله تعالى ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة: الآية١٣٥] ، وكما في قصة اصحاب الكهف قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ فالآية الكريمة تبين أن الايمان بالله والدين الحق، تطهير للنفس والفكر والعقل من الأوهام والمعتقدات الباطلة .

فأصوب طريق وأهدى سبيل، لمن أراد إسلام وجهه لذات الله تعالى، هو إتباع ما كان عليه ابراهيم (عليه السلام) من دين التوحيد، مستقيماً على منهاجه وسبيله[٣]،

---

(١) محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ٨٨/٥ .
(٢) ظ، الطبرسي، مجمع البيان، ١/ ٢٩٩، محمد جواد مغنية، تفسير الكاشف، ١/ ٢١١، ناصر مكارم الشيرازي، تفسير الأمثل، ١/ ٢٧٢ .
(٣) ظ، الطوسي، التبيان، ٥/ ٩٨- ٩٩، الطبرسي، مجمع البيان، ١٦٦/٣ .

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: الآية ١٢٥] .

طالما أن أول عمل للأنبياء والرسل هو تعريف الناس ولفت نظرهم إلى صانع الكون وخالق الموجودات، كمال قال أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) (أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ)[١]، باعتبارها أساس الدين، وفي هذا المضمون يقول مرتضى المطهري (الإيمان بالذات المقدسة التي هي أساس الإيمان بجميع حقائق العالم)[٢]، والايمان لا يقف على الايمان بالذات المقدسة بل يمتد الى الملائكة والرسل والانبياء والكتب المقدسة، قال تعالى ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: الآية٢٨٥] .

وفي (الفكر الإسلامي لا يراد من الموحد أن يؤمن بـ (التوحيد) قهراً وجبراً، بل يُراد منه أن يؤمن بها تسليماً بما تقتضيه القواعد الفطرية والبراهين العقلية، واللازم أن يؤخذ بنحو (اليقين) المبني على البرهان والدليل وليس (التلقين) الذي يمكن أن يصنعه التعصب والهوى)[٣]، وإن آيات الكون تحرك العقل بالتفكر والتأمل في خلق الله وتحثه على الإيمان به وتوحيده، قال تعالى ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: الآية ١٦٤]، ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: الآية٥٣]، وسئل أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب (عليه السلام)عن اثبات الصانع؟، فقال (البعرة تدل على البعير،

---

(١) نهج البلاغة، ج١، خ١، ص١٣ .
(٢) مرتضى المطهري، كلمات في الطريق، ص٤٣ .
(٣) حسن النمر الصائغ الموسوي، دور التوحيد في بناء الحضارات والمجتمعات رؤية قرآنية، ص٣٣ .

والروثة تدل على الحمير، واثار القدم تدل على المسير، فهيكل علوي بهذا اللطافة، ومركز سفلي بهذه الكثافة كيف لا يدلان على اللطيف الخبير؟!)[1] .

وبما أن لكل شيء بداية تحتاج الى موجد، وطالما هذا الكون موجود ويتحرك بنظام دقيق ، فالمنظم والمحرك والصانع هو الله عزّ وجلّ، ومن الموجودات التي أوجدها هو الإنسان، فهو خُلِقَ من أجل هدف عالٍ وهو عبادة الله سبحانه قال تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: الآية ٥٦] .

والعبودية لا تتحقق من دون المعرفة التي هي معرفة طريق الحق والتسليم لله[2]، وعلى ذلك يقول السيد محمد تقي المدرسي (العبودية هي طاعة بلا قيد ولا شرط والامتثال للأوامر الإلهية في جميع المجالات، لأنها قمة التكامل وأوج بلوغ الإنسان واقترابه من الله)[3]، وكذلك يبينها السيد محمد حسين فضل الله (ت ١٤٣١هـ) بقوله (هو الخضوع لله والالتزام بالخط الإلهي الذي جاء به الرسل في ما يتعلق بإقامة العدل المرتكز على النظام التفصيلي الكامل الذي يضع لكل ذي حق حقه، ويثير الحياة في جوٍّ من الالتزام والانضباط بأوامر الله ونواهيه... وهذا ما يجعل من الدعوة الى عبادة الله دعوةً الى بناء الحياة على أساس إسلام الأمر لله في كل شيء)[4] .

والى هذا المعنى يشير الشيخ محمد جواد مغنية، من أن الغاية في خلق الجن والإنس أن يحيوا حياة طيبة دائمة في دار الله وجواره شريطة أن يتحرروا من العبودية بشتى أنواعها، ويعملوا صالحاً، ومن قَصَرَّ أو أهمل فلا يلومنَّ إلا نفسه و ما ربك بظلام للعبيد[5]، وإن الله عزَّ وجلّ لم يفرض العبادة إنما أراد أن يعبدوه مختارين، بعد أن بيّن لهم الطريق حتى يتمكنوا من معرفة الحق والباطل قال تعالى ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ

(١) محمد الريشهري، ميزان الحكمة، ج٧٨٣/١ .
(٢) محسن قرائتي، تفسير النور، ٩/ ٢٥٨- ٢٥٩ .
(٣) ناصر مكارم الشيرازي، تفسير الأمثل، ١٣/ ٢١٨ .
(٤) محمد حسين فضل الله، من وحي القرآن، ١٥٧/١٠ .
(٥) محمد جواد مغنية، تفسير الكاشف، ٧/ ١٥٨ .

السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: الآية ٣]، إما أن يختار صراط المستقيم فيصيب الحظ أو سبيل الطاغوت فيكون ضالاً عن الصواب[١]، وفي هذا الصدد يقول مرتضى المطهري إن الانسان مخلوق عجيب يحمل في أعماق ذاته مختلف الاستعدادات إضافة الى امتلاكه الحرية والاختيار، وعليه أن يبادر لكشف طريق الحق ويميزها عن مسالك الباطل ومهاوي السقوط والانحراف[٢] .

والهدف المنشود لا يتحقق بصورة كاملة إلا بعد معرفة الركنيين اللذين تقوم عليها العبادة (العقيدة والتشريع) والعمل بهما، لأن الله عالم بمكنونات الإنسان وما يتطابق مع عقله وفطرته، فوضع له برنامج شامل ومنهاج متكامل لتنظيم حياة الانسان وتحقيق السعادة له في الدارين، وارسلها بأيدٍ أُمناء من عباده وخلقه معصومون ومطهرون هم الأنبياء والرسل[٣]، والله عزّ وجل خلق الإنسان وهيأه للطاعة والعبادة، ووفّر له كل وسائل المساعدة من قبيل العقل والعواطف والقوى المختلفة في الداخل، وأرسل الأنبياء وأنزل الكتب السماوية والمناهج التشريعية في الخارج[٤] .

بعد تحديد دين الحق والعقيدة السليمة والنهج القويم، على الإنسان بعد الإيمان، المبادرة بالعمل الصالح - العمل بالتشريعات التي جاء بها الانبياء- فقيل : إن السعادة المرجوة التي تليق بمقام الانسان قائمة على ركنين: هما الإيمان والعمل، وليس مطلق الايمان ولا مطلق العمل، بل الإيمان بأقدس وأسمى الحقائق، التي يكون الإيمان بها إيماناً حقيقاً، وهو الإيمان بالذات الأحدية التي هي مبدأ العلم والقدرة والنظام والحكمة والحياة والسعادة، ومن ثم العمل الصالح الذي يدفع الإنسان نحو الأمام في طريق التكامل[٥] .

---

(١) ظ، الطبرسي، مجمع البيان، ١٦٣/١٠، الزمخشري، الكشاف، ٣٩٦/٤ .
(٢) مرتضى المطهري، كلمات في الطريق، ص ١٠ .
(٣) صادق الحسيني الشيرازي، المسائل الاسلامية، ص١٢ .
(٤) ناصر مكارم الشيرازي، تفسير الأمثل، ١٣/ ٢٢٤، ٢٢٥ .
(٥) مرتضى المطهري، كلمات في الطريق، ص٤٦ .

وكثيراً ما ورد في القرآن الكريم صيغة ﴿آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ لأن إقران الإيمان بالعمل الصالح مستمر دائماً باعتباره اللبنة والأساس الذي تنهض عليه السعادة الإنسانية، ويظهر أنه يُراد من ذلك أن الرؤية القرآنية تؤكد على أن الباري عزّ وجلّ يحب الخير لعباده، ومن الخير أن يكون هؤلاء العباد مؤمنين عاملين بمقتضى إيمانهم، فالتوحيد اذا استقر في وجدانهم سيكون عنصراً هاماً في تحويله إلى طاقة هائلة تعمل في جميع الاتجاهات ليُساهم في التأسيس لحضارة المجتمع – أي عامل مثابر للعمل الصالح – وإلا كان ظالماً)[1] .

فالإيمان والعمل الصالح وحدهما اللذان يخرجان الانسان من الخسارة، كما هو واضح في سورة العصر ﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [العصر: الآية ١- ٣]، لذا نجد أنه لا يتحقق صدق ومضمون الإيمان إلا بالعمل الصالح، (لأن الإيمان بلا عمل مجرد فكرة ونظرية)[2] .

إذ وصف الله سبحانه جماعة من أهل الكتاب من الذين آمنوا لهم علامات ومميزات في قوله تعالى ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ۝ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ۝ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: الآيات١١٣- ١١٥]، أي (أمة قائمة... ثابتة على أمر الله عاملة بإرادته يقرؤون آيات الله... في ساعات الليل والنهار. وهم يسجدون... أي يقرؤون آيات الله حال سجودهم أو يتذلّلون لله. إنهم يؤمنون بالله واليوم الآخر، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، يبادرون إلى فعل الخيرات مما فيه نفع الناس وقد وصفهم الله بالصلاح ووضعهم مع الصالحين وهي مرتبة

(1) حسن النمر الصائغ الموسوي، دور التوحيد في بناء الحضارات والمجتمعات رؤية قرآنية، ص٤٢ .
(2) محمد جواد مغنية، التفسير الكاشف، ٧/ ٦٠٦ .

رفيعة عالية)[1]، وإن الخسران الحقيقي يكون إذا لم يصنع الإنسان نفسه حسب ما يقتضيه الإيمان والعمل لأنهما ركنا سعادته[2] .

(1) ظ، عباس علي الموسوي، الواضح في تفسير القرآن، ٣/ ٢٢٧ .
(2) مرتضى المطهري، الفكر الإسلامي وعلوم القرآن، ص١٠٨ .

المبحث الثالث: المبادرة في نطاق آيات التقوى:

تتجلى صفات الإيمان بالله واليوم الأخر وسائر الأصول الحقة، بالمبادرة نحو اكتساب تقوى الله عزّ وجلّ، كونها الأساس الأمثل لتهذيب النفس عن الذنوب والمعاصي والصفات الذميمة، وسوقها وارتقائها الى الأخلاق الحميدة، التي بها تنال مرتبة القرب من الله عزّ وجل قال تعالى ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: الآية ١٣] .

والتقوى بالأصل من الوِقَايَةُ: هو حفظُ الشيءِ ممّا يؤذيه ويضرّه[١]، أي صيانة الشيء من الضرر ومحلها في الشرع (هي المحافظة على النفس مما قد يجرها الى ارتكاب الممنوعات والمحرمات)[٢]، لذا فهي تعد من جوانب الإيمان الظاهرة، والتي تصون الجانب الخفي منه، بل إنها تستدعيه وتستوجبه[٣] .

إنّ الأوامر الإلهية تضمن السعادة المعنوية والمادية للإنسان في ظلّ منظومة التقوى الواردة من تلك الأوامر الإلهية، لذلك جاءت في هذه الآية الكريمة للتأكيد على أهميتها وأثارها في مصير الإنسان ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الأنفال: الآية ٢٩] .

لأنّ للتقوى أثر عجيب في معرفة الواقع وادراك الحقائق، لتميزها بمنح الوعي والبصيرة للمؤمن المتقي في الفصل والتمييز بين الحق والباطل، في ظل مجتمع يسود فيه الظلم والفساد والرذيلة والانحراف الفكري أو الأخلاقي على حد سواء، وإن انعدام التقوى يكون سبباً لفقدان القدرة على هذه المعرفة مما يسبب التخلف التقافي والعلمي والانحراف الفكري والاخلاقي، وإن كان متقدماً في المجال الصناعي والمادي، ويلحظ أن الآية المذكورة آنفاً أثمر مضمونها بعض النتائج ففي قوله تعالى ﴿إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ أي بصيرة، وقوله تعالى ﴿وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ

(١) الراغب الاصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص٥٣٠ .
(٢) مرتضى المطهري، الفكر الإسلامي وعلوم القرآن الكريم، ص١٦٤ .
(٣) محمد تقي المدرسي ، العرفان الاسلامي ، ص٣٣١ .

سَيِّئَاتِكُمْ﴾ أي يمحو الذنوب، أما قوله تعالى ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ بمعنى يشملكم أي المتقين بالمغفرة الالهية الواسعة، وقوله ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ أي يحيطكم بالفضل منه وهذا الفضل لا يعلمه إلا هو العظيم سبحانه[١]، وفي هذا الواقع تعد التقوى الارتكاز الرئيسي والحقيقي في حفظ القيم والنعم والكرامة للإنسان في الدنيا والآخرة، إذ تحفظه وتصونه من الخسارة في الدارين[٢] .

ومن الدلالات التطبيقية على اثارها ما جاء في سورة الطلاق من التأكيد على صفة التقوى إذ تكررت البشائر التي تثبت قلب المؤمن، وتحثه على الحرص في كل أحواله ووجوب طاعة الله سبحانه، قال تعالى ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: الآية ٢]، أي من يتق الله في كل تحركاته وسكناته في العلن والخفاء يجعل له سبحانه وتعالى مخرجاً من هموم الدنيا وضيقها ومتاعبها ومن شدائد الموت وغمراته ومن أهوال الآخرة وعذابها، ويرزقه الفوز بخير الدارين، من طرق لا تخطر على بال، ولا ترد له خاطر، فإن ابواب رزقه لا يعلمها أحد إلا هو عزّ وجلّ[٣]، وروى أبا ذر الغفاري، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) (إني لأعلم آية لو أخذ بها الناس لكفتهم ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ﴾ فما زال يقولها ويرددها)[٤] ومن كلام لأمير المؤمنين عندما ودع أبا ذر قال له (وَلَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرَضِينَ كَانَتَا عَلَى عَبْدٍ رَتْقاً ثُمَّ اتَّقَى اللَّهَ لَجَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْهُمَا مَخْرَجاً)[٥]، وفي ذات المدار للآية أنفة الذكر جاء، قوله تعالى ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق: الآية ٤]، نجد أن الباري عزَّ وجلّ يربط بين التشريع والإيمان الملازم للتقوى، فمن يتق الله بالطاعة في جميع أوامره والاجتناب عن معاصيه، باعتبار ان الأمور بيده سبحانه وتعالى يتكفل بتسهيل أمور الدنيا والآخرة، بفرج عاجل وعوض

(١) ظ، ناصر مكارم الشيرازي، تفسير الأمثل، ٤٢/٥- ٤٤ .
(٢) ظ، علي الخامنئي، القرآن كتاب الحياة، ص١٣٩ .
(٣) الطنطاوي، تفسير الوسيط، ١٤/ ٤٤٩ .
(٤) الطبرسي، مجمع البيان، ١٠/ ٣٣ .
(٥) محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص٦١ .

آجل، إذا كان منطلق الإنسان في خط التقوى التي تحكم الضمير والوجدان[١]، وقوله تعالى ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ [الطلاق: الآية ٥]، فمن يتق الله في التزام حدود احكامه ولا يتعداها، يكفر عنه سيئاته أي يمحو الله ذنوبه، ويزيد له في الأجر ويضاعفه له اضعافاً كثيراً[٢]، وبصدد تكرار التقوى وما يترتب عليه من اثار يقول الشيخ محمد جواد مغنية (ولا نعرف غرضاً من هذا التكرار إلا المزيد من الحث على التقوى والترغيب فيها... ولا حصر لمنافع التقوى وفوائدها)[٣]، وجاء عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) في نهج البلاغة حول التقوى وأثرها ودورها في حياة الانسان (ان تقوى الله مفتاح سداد وذخيرة معاد، وعتق من كل ملكة، ونجاة من كل هلكة)[٤]، ومعنى هذا الكلام (أن التقوى مفتاح للتسديد والتوفيق في حياة الأنسان، وان كنوز التوفيق والتسديد ليس بيد الأنسان، وانما هي بيد الله تعالى، ومفتحاها التقوى، فمن يتقي الله يهديه الله ويسدده، ويوفقه ويجعله على بصيرة من امره، ويبلغه حيث يرتضيه له من خير الدنيا والاخرة، والتقوى ذخيرة معاد، ولا يذخر الانسان ليوم القيامة افضل من التقوى، ولا يأخذ الانسان معه الى الله تعالى بضاعة افضل من التقوى، وان ضوابط التقوى ليس قيد للإنسان، وانما هو الانعتاق والانطلاق من قيود الهوى والشهوات في حياة الإنسان)[٥]، فالنتيجة المرجوة من التقوى هي الهداية والفلاح، من استقامة في العقل والروح، والسعادة في الدنيا والأخرة[٦]، وحصر الله سبحانه وتعالى الهدى بالتقوى ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ أي لا يهتدي بهدى القرآن إلا من كان تقياً، واتخذ التقوى ديدناً وشعاراً[٧]، لأن (هي أساس الاهتداء وهي الوسيلة المؤدية الى صراط المستقيم. والتقوى أن لا يراك الله حيث نهاك، وأن لا يفقدك حيث أمرك. فمن اجتنب

---

(١) ظ، الطبرسي، مجمع البيان، ٣٤/١٠، الطهراني، مقتنيات الدرر، ٢١٦/١١، علي عباس الموسوي، الواضح في التفسير، ١٧٩/١٦ .
(٢) ظ، البغوي، معالم التنزيل، ١٥٣/٨، محمد جواد مغنية، تفسير الكاشف، ٣٥٢/٧ .
(٣) محمد جواد مغنية، تفسير الكاشف، ٣٥٢/٧ .
(٤) نهج البلاغة ، خ٥٢، ص٢٨٥ .
(٥) محمد مهدي الآصفي، سلسلة في رحاب القرآن، ١/ ٣٧-٣٨ .
(٦) ظ، محمد تقي المدرسي، من هدي القرآن، ص١٥٩ .
(٧) ظ، الطبرسي، مجمع البيان، ١/ ٤٨ .

المحرمات وأطاع الله تعالى في السر والعلن... فهو واصل لا محالة الى الطريق السوّي الذي ارتضاه الله لعباده)[١]، والملفت أن المتتبع لسيرة الانبياء في دعوة أقوامهم يبتدئون بالدعوة الى وحدانية الله بكلمة ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ إلا أنه في سورة الشعراء كانت بداية دعوتهم ﴿ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ والحق أنهما تعودان الى نتيجة واحدة، لأن طلب الحق هي أدنى مراتب التقوى إذا لم توجد في الإنسان ، فلا يؤثر فيه شيء، لا الدعوة الى التوحيد ولا غيرها[٢]، ولهذا الأمر يقول السيد علي الخامنئي أن التقوى (هي الوصية الأولى والأخيرة للأنبياء إذ أنكم تقرؤون في القرآن الكريم بأن أول كلام الأنبياء للناس، هو الوصية بالتقوى، فإن تواجدت التقوى، تواجدت الهداية الإلهية، وإذا لم تتواجد التقوى، عندها سوف لا يتمكن الإنسان والمجتمع أن يستفيد من الهداية بصورة كاملة)[٣]، فالأنبياء هم بمنزلة الاطباء المشفيين، الذين جاؤوا بكل لطف ومحبة لمعالجة المرضى، بأنواع العلاج المناسب لدائهم، وقاموا بهدايتهم الى طريق الرشاد[٤] .

وحصر الله سبحانه وتعالى الهدى بالتقوى ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ أي لا يهتدي بهدى القرآن إلا من كان تقياً، واتخذ التقوى ديدناً وشعاراً[٥]، لأنها الأساس للاهتداء و الوسيلة المؤدية الى صراط المستقيم. والتقوى أن لا يراك الله حيث نهاك، وأن لا يفقدك حيث أمرك. فمن اجتنب المحرمات وأطاعه سبحانه في السر والعلن... فهو واصل لا محالة الى الطريق السوّي الذي ارتضاه لعباده [٦]، (فلا يعتبر بآيات الله تعالى ويقوي بها إيمانه ويقينه إلا المتقون، وكم في الغرب من تعمق في الفلك والميكانيك السماوي وما أودع الله في السماء من معادلات وقوانين وتعمق في علم طبقات الارض وعلم الأنواء ولكنه ومع الأسف ضعيف الإيمان أو

---

(١)احمد أمين، التكامل في الإسلام، ٤-٧/ ٥٩٨ .
(٢) ناصر مكارم الشيرازي، تفسير الأمثل، ٩/ ٢٢٢ .
(٣) علي الخامنئي، القرآن كتاب الحياة، ص١٢٥ .
(٤) الخميني، الأربعون حديثاً، ص٢٥٤ .
(٥) ظ، الطبرسي، مجمع البيان، ١/ ٤٨ .
(٦)احمد أمين، التكامل في الإسلام، ٤-٧/ ٥٩٨ .

مسلوب الإيمان لعدم كونه من المتقين، فالتقوى أساس الهداية. التقوى تنير القلب ويكون إذ ذاك محلاً للفيوضات الربانية فيبلغ مرتبة اليقين بلطفه تعالى)[1] .

وعدّها القرآن خير الزاد للأخرة قال تعالى ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: الآية ١٩٧]، فهذا أمر من العلي القدير الى الناس بالمبادرة لطاعته بأوامره ونواهيه وبالعمل الصالح و ترك المحرمات باعتبار ذلك خير الزاد للدنيا والآخرة، أو أن يسعى الانسان برفع منزلته في الأخر بكل عمل صالح في الدنيا[2] .

هناك جملة من الأعمال يصل الإنسان بها الى درجة التقوى[3]، على النحو الآتي:

أولاً: الصيام وبه يصل الى التقوى، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: الآية ١٨٣] .

تانياً: العدل وسيلة للوصول الى التقوى، قال تعالى ﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: الآية ٨] .

ثالثاً: العفو يقرب الى التقوى، قال تعالى ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: الآية ٢٣٧] .

رابعاً: تعظيم شعائر الله جزء من التقوى، قال تعالى ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: الآية٣٢] .

خامساً: ترك الشهوة يوصل الإنسان الى المرتبة الاعلى، قال أمير المؤمنين علي (عليه السلام): (رأس التقوى ترك الشهوة) .

---

(١) احمد أمين، التكامل في الإسلام، ٤-٧/ ٥٩٨ .

(٢) ظ، الطوسي، التبيان، ٣/ ٢٥٧، الطبرسي، مجمع البيان،٣٨/٢، القرطبي ، جامع الأحكام، ٣/ ٣٢٩، الزحيلي، تفسير المنير، ١/ ٥٧٥، عباس علي الموسوي، الواضح في التفسير، ١٣٧/٢ .

(٣) الشيخ نعيم قاسم، مفاتيح السعادة، ص١٧٤ .

سادساً: الجهاد بكونه باب من أبواب التقوى، قال أمير المؤمنين علي (عليه السلام): (أما بعد فإن الجهاد باب من ابواب الجنة، فتحه الله لخاصة أوليائه، وهو لباس التقوى، ودرع الله الحصينة وجُنَّتُه الوثيقة) .

فلو بحثنا عن رابط بين هذه النقاط الستة لوجدناها معبرة عن الأوامر الإلهية التي ترفع من مقام ومكانة الإنسان، وقد تكون هذه الأعمال جميعها مرتبطة بالتقوى، إلا أنها لا تعكس ولا تفسر التقوى بشكل كامل وشامل، بل إنها تعني (أن يكون الإنسان مراقباً على نفسه، وكذلك أن يكون الانسان على علم بما يقوم به وبما يفعله أو يقوله ، ثم يختار كل حركة تصدر منه تحت إشراف إرادته وفكرته وتصميمه)[1].

كما قلنا آنفاً أن للتقوى أثر عجيب في معرفة الواقع وادراك الحقائق، لتميزها بمنح الوعي والبصيرة للمؤمن المتقي في الفصل والتمييز بين الحق والباطل، والمبادرة في الإتباع القدوة الصالحة، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: الآية ١١٩]، يذكر الشيخ محمد جواد مغنية في تفسير هذه الآية (ليس المراد بالصدق هنا مجرد عدم الكذب في الحديث، لأن الكثير من لا يكذبون، ومع ذلك لا يجوز الاقتداء بهم في كل شيء، وإنما المراد به الصدق في القول والعلم والعمل الذي يؤهل صاحبه لإمامة الناس واقتدائهم به)[2]، وهل هناك أصدق من محمد وآل بيته الطاهرين، الذي أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ليكونوا مناراً وقدوة للمؤمنين، وفي مجمع البيان، (عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) في قوله ﴿كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ قال: مع آل محمد (ﷺ))[3]، وفي تفسير البرهان، إنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) (كان له يوماً كلام مع جمع من المسلمين، ومن جملة ما قال: فأنشدكم الله أتعلمون أن الله أنزل: (يا أيّها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين)، فقال سلمان: يا رسول الله أعامّة هي أم خاصّة؟ قال: أمّا المأمورون فالعامّة من المؤمنين أُمروا بذلك، وأمّا الصادقون فخاصّة لأخي علي والأوصياء

(1) ظ، علي الخامنئي، القران كتاب الحياة، ص١٦٢ .
(2) محمد جواد مغنية، تفسير الكاشف، ١١٥/٤ .
(3) الطبرسي، مجمع البيان، ١٠٧/٥ .

من بعده إلى يوم القيامة، قالوا: اللّهم نعم)[١]، وعن الرضا (عليه السلام) (الصادقون هم الائمة (عليهم السلام) والصديقون بطاعتهم)[٢] .

بعد أن عرفنا ما للتقوى من أهمية في الحياة، على الإنسان أن يبادر ويسعى لتحصيلها وأن يجعلها ملكة راسخة ينطلق منها في حركة الحياة، لآنها العامل الرئيسي والسبب الحقيقي في حفظ القيم لأنها تصون الإنسان من الخسارة[٣]، والتأكيد على التقوى والتزام به مع مراعاة التشريع الالهي، هذا كله لئلا يختل الوضع الاجتماعي ويكثر الفساد[٤] .

من هنا يتضح أن حركة الإيمان هو الاندفاع الداخلي لذات الإنسان نحو الرقي والسمو في الحياة ويتمثل ذلك بالتقوى ابتداءً ونيل رضى الله تعالى انتهاءاً، فالمؤهلات الروحية للنفس التقية هي خط الشروع في إيغالها نحو الإيمان والانشداد نحوه والولوج فيه يعد مفتاح الكرامة للإنسان في الدار الدنيا والآخرة .

(١) هاشم البحراني، البرهان في تفسير القرآن، ٥١٦/٣ .
(٢) الفيض الكاشاني، تفسير الصافي، ٤٨٠/٣ .
(٣) ظ، علي الخامنئي، القرآن كتاب الحياة، ص١٣٩ .
(٤) ظ، علي عباس الموسوي، الواضح في التفسير، ١٧٩/١٦ .

المبحث الرابع: المبادرة الى الاستغفار والتوبة :

يمثل الاستغفار المأوى للمذنب وباب توبته في كل زمان، وخصوصاً في عصرنا الحاضر الذي اغرورق فيه الناس والخطايا، فنسوا الله فأنساهم أنفسهم، فتكاثرت عليهم مغريات الشر، والمعوقات عن الخير وتكالبت في صدهم عن سبيل الله وإغرائهم بوسائل وأجهزة الشيطان، تُقرأ وتُسمع وتُشاهد، وتعاونت على ذلك شياطين الإنس والجن وساعدت على ذلك النفس الأمارة بالسوء، وركون النفس الى الدنيا وغفلتها عن ربها وخالقها، فلا عجب إذا أضاعوا الصلوات واتبعوا الشهوات، وفرطوا في حدود الله وحقوق الناس، والانسان الغارق في الشهوات عليه المبادرة الى الاستغفار والتوبة قبل فوات الأوان قبل أن يأتي يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم .

والاستغفار يعني طلب المذنب العاصي من الله عزَّ وجلّ العفو والمغفرة .

والتوبة هي الإنابة الى الله تعالى والالتزام بتعاليم القرآن والاستقامة عليها .

والله سبحانه وتعالى يدعو المذنبين ليسارعوا الى المغفرة من دون إبطاء للتخلص من أعباء الذنوب والمعاصي، وفتح صفحة جديدة يملئها الأمل بالتوبة والاستقامة وزيادة رصيد الاعمال الصالحة[١]، إذ أن الاستغفار يمثل حالة متقدمة على التوبة وهو الإحساس القلبي بالخطأ والرجوع عنه، وهو العملية الكلية لإصلاح ما أفسده الذنب[٢]، وهذا ما تظهره الآيات الواردة في القرآن الكريم قال تعالى ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكم ثُمَّ تُوبُوا﴾ [هود: الآية ٣][٣]، إذ تؤكد الآية الكريمة على الوجوب الفوري لطلب المغفرة والتوبة، قال تعالى ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [الحديد: الآية ٢١]، وقوله تعالى ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [آل عمران: الآية ١٣٣]، أي بادروا

(١) ظ، نعيم قاسم، مفاتيح السعادة، ص١١٨ .
(٢) ظ، حسين البيات، سيكولوجية المعصية – التوبة - النرفزة ، ص٩٢ .
(٣) يمكن أن نلحظ هذا المعنى من الآيات/ ٥٢، ٦١، ٩٠ الواردة في سورة هود .

الى الاستغفار وسارعوا للتوبة بالقيام بالأعمال الصالحة التي توجب المغفرة وتمحو الذنوب والمعاصي وهذا ما يوصل الى الجنة[١] .

وفي هذا المعنى وردت روايات واحاديث عن النبي الأكرم (صلى الله علي ه وآله) وآل بيته الطيبين الطاهرين، حول (وجوب الاستغفار من الذنب والمبادرة به قبل سبع ساعات)، فقد روي عن فضل بن عثمان المرادي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (أربع من كن فيه لم يهلك على الله بعدهن إلا هالك: يهم العبد بالحسنة فيعملها فإن هو لم يعملها كتب الله له حسنة بحسن نيته، وإن هو عملها كتب الله له عشراً، ويهم بالسيئة أن يعملها فإن لم يعملها لم يكتب عليه شيء، وإن هو عملها أُجل سبع ساعات، وقال: صاحب الحسنات لصحاب السيئات، وهو صاحب الشمال: لا تعجل عسى ان يتبعها بحسنة تمحوها فان الله عز وجل يقول: ان الحسنات يذهبن السيئات " أو الاستغفار فان قال: " أستغفر الله الذي لا إله الا هو عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم الغفور الرحيم ذا الجلال والاكرام وأتوب إليه لم يكتب عليه شئ وإن مضت سبع ساعات ولم يتبعها بحسنة واستغفار قال صاحب الحسنات لصاحب السيئات: اكتب على الشقي المحروم)[٢] . ووردت روايات مستفيضة بهذا المعنى وبإسناد صحيح منها، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (من عمل سيئة اجل فيها سبع ساعات من النهار فان قال أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ثلاث مرات لم تكتب عليه)[٣]، يتبين من الروايات أن الله سبحانه وتعالى يمنح الفرصة للمذنب سبع ساعات للمبادرة بالاستغفار والإنابة اليه، ليمحو ما صدر منه أي سوء

.

---

(١) ظ، أبي حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج/٢٢٣ ، د. وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ٣٤٨/١٤، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٢٠/ ٢٦٢ .
(٢)الكليني، الكافي، ٤٠٧/٢ .
(٣) ن، م، ٤١١/٢ .

وعن حفص قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول (ما من مؤمن يذنب ذنبا إلا أجله الله سبع ساعات من النهار، فان هو تاب لم يكتب عليه شيء، وإن هو لم يفعل كتب عليه سيئة، فأتاه عباد البصري فقال له: بلغنا أنك قلت: ما من عبد يذنب ذنبا الا أجله الله سبع ساعات من النهار، فقال: ليس هكذا قلت، ولكني قلت ما من مؤمن وكذلك كان قولي)[١]، وفي هذه الرواية يبدو أن الإمام اشترط الإيمان في هذا التأجيل، ذلك لأن المؤمن قد يخدعه الشيطان فيذنب، إذ يؤمل من المؤمن أن يتوب الى الله خلال سبع ساعات أو يعمل عملاً صالحاً يمحو به السيئة[٢] .

ذلك وأن الاستغفار فرصة اضافية يمنحه الله سبحانه وتعالى للمذنب، وهذا ما يدفعنا الى أن نتمسك ونأتمر بأوامر الله تعالى ونواهيه، وأن نسلم عقولنا ونفوسنا وجوارحنا لطريق الهدى لتحقيق رضوانه[٣] .

فقد ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) (كان في الأرض أمانان من عذاب الله؛ وقد رفع أحدهما، فدونكم الأخر فتمسكوا به، أما الأمان الذي رُفِع فهو رسول الله (ص) وأما الأمان الباقي فالاستغفار ثم تلا قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [٤] من هنا حري بالإنسان التمسك بهذا الأمان الإلهي والمحافظة عليه لا مجرد بالقول بل يجب تجسيد ذلك بالأفعال والسلوك والتعامل[٥]، وإن أنبياء الله ورسله هم أسرع الناس الى الى الاستغفار- بترك الأولى - وأحرصهم على الالتزام بطاعة المولى عز وجل لأنهم الصفوة من خلقه، وهم معصومون بعصمة الله عزَّ وجلّ لهم، وعلى الرغم من مكانتهم ومنزلتهم وقدرهم عند ربهم، إلا أنهم تضرعوا إلى ربهم بالدعاء والاستغفار طمعاً في مغفرة ربهم، وفي هذا المنحى هناك الكثير من المصاديق التي عرضها القرآن الكريم، يورد البحث بعضاً منها :

---

(١) الكليني، الكافي، ٤١٣/٢ .
(٢) ظ، محمد تقي المدرسي، جهاد النفس بصيرة العقل واستقامة السلوك، ص٢٢٢ .
(٣) ظ، نعيم قاسم، مفاتيح السعادة، ص١٢٢ .
(٤) محمد الريشهري، ميزان الحكمة، ٢٢٧٥/٣ .
(٥) ظ، علي الخامنئي، خمس مقالات في التوبة والاستغفار، ص١٨ .

قال تعالى عن آدم وزوجته (عليهما السلام) ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: الآية٢٣] .

قال تعالى عن نبي الله نوح (عليه السلام) ﴿رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [نوح: الآية ٢٨] .

قال تعالى نبي الله ابراهيم (عليه السلام) ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ [ابراهيم: الآية ٤١] .

وقال الله عزَّ وجلّ عن نبيه داود (عليه السلام) ﴿فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص: الآية٢٤] .

وقال الله عزَّ وجلّ عن نبيه سليمان (عليه السلام) ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [ص: الآية٣٥] .

وقال عزَّ وجلّ عن نبيه موسى (عليه السلام) ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [القصص: الآية١٦] .

وكذلك الحال بالنسبة الى النبي محمد (صل الله عليه وآله وسلم) وما إنماز به من خصال في كونه أفضل الرسل وخير البشر، اصطفاه الله واجتباه، ورفع ذكره وأعلى قدره، وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ومع كل هذا الشرف العظيم والمقام الأمثل إلا أنه، كان يستغفر ربه، ويتوب إليه، ويتضرع بين يديه امتثالاً لأمر الله عزَّ وجلّ في آيات كثير قال تعالى ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: الآية٣]، وبعد أمر السماء بوجوب التسبيح لله تعالى، كذلك أمره تعالى بالاستغفار له (ﷺ) والمؤمنين والمؤمنات، قال تعالى ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [محمد: الآية١٩] .

وكذلك أمره تعالى بوجوب الصبر وفي كل الحالات التي يمر بها لأنها ضرورة في ان تكون صفة ملازمة لكل إنسان في مجريات حياته، قال تعالى ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ [غافر: الآية ٥٥] .

والله تعالى أمر عباده بالاستغفار والتوبة والإنابة إليه، والأمر الوارد في هذا المجال تمثل بقوله تعالى ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: الآية٥٣] أي قل يا محمد، لعبادي الذين أفرطوا وأسرفوا في المعاصي واستكثروا منها، لا تيأسوا من مغفرة الله تعالى ورحمته، فإنه يغفر كل الذنوب إلا الشرك الذي لم يتب منه صاحبه[١]، قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ [النساء: الآية ٤٨]، إن الله كثير المغفرة والرحمة، فلا يعاقب بعد التوبة، وإضافة العباد الى الله تعالى للتشريف والتكريم[٢] .

ولكن الله عزَّ وجلّ قيد هذه المغفرة بشرطين: الأول الإنابة والطاعة، قال تعالى ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [الزمر: الآية ٥٤] أي بادروا بالرجوع الى الله بالتوبة والطاعة، والانقياد لأمره، والخضوع لحكمه، قبل الموت ومجيء العذاب، إذ بعد ذلك لا تجدون ناصراً ولا معيناً بمنع العذاب، قبل حلول النقمة[٣]، والثاني: إتباع القران، قال تعالى ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الزمر: الآية ٥٥]، أي إتباع تعاليم القرآن بالتزام أوامر الله واجتناب نواهيه، قبل أن يأتيكم العذاب فجأة، والقرآن كله حسن[٤]، وبعد هذا القيد، يحذر سبحانه وتعالى من التحسر على الماضي مما عملت من الذنوب والتعلل بـالأماني، قال تعالى ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾ [الزمر: الآية ٥٦]، بمعنى بدل أن تجلس وتتحسر على ما فرطت في حق الله وقصرت في

(١)ظ ، الطبرسي، مجمع البيان، ٣٠٩/٨ .
(٢) ظ ، الطنطاوي، التفسير الوسيط، ٢٣٧/١٢، أ . د سليمان ابراهيم عبدالله، عون الرحمن في القران، ٩٠/١٩- ٩٢، د . وهبة الزحيلي، التفسير المنير، ٣٥١/١٢ .
(٣) ظ، د . وهبة الزحيلي، تفسير المنير، ٣٥٣/١٢ .
(٤) ظ، السمرقندي، بحر العلوم، ١٥٥/٣، البغوي، معالم التنزيل، ١٢٨/٧ .

الطاعة وأسرفت في المحرمات، عليك المبادرة الى العمل بالقرآن، والمبادرة والمسارعة الى التوبة والإنابة والعمل الصالح[١] .

لكي يأخذ الاستغفار دوره الفاعل في حياة الإنسان، عليه التصميم الجاد والعزم الصادق على عدم العودة الى الذنب، فالاستغفار الواعي الصادق، يعبر عن مفارقة حقيقية للذنوب والمعاصي، وهذه المفارقة الحقيقة تفرض العزم الدائم، والإصرار المستمر على مجانبة وساوس الشيطان والاستقامة على التوبة في خط الطاعة لله تعالى، وإذا لم يكن الاستغفار كذلك فهو كلمات فارغة خاوية راكدة[٢] .

وباعتبارها منهج الأنبياء في بداية دعوتهم لتطهير باطن الانسان مما يخالف أمر الله تعالى، قال تعالى ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ [هود: الآية ٣]، وهذا الأمر في طلب المغفرة من الذنوب والرجوع إليه بالتوبة والإخلاص في العبادة لله سبحانه وتعالى وإخلاص العمل في سبيله والاستقامة عليه، فهذا ما يجعل التائب المستغفر موضعاً لرحمة الله، ولاستقبال فيوضاته وألطافه عليه، والإنسان الملتزم بالاستغفار والتوبة يهيئ ويوفر له في الدنيا حياة سعيدة، ويمتعه بالنعم السابغة في خفض والدعة، والأمن والسعة، الى الوقت الذي قدر له أجل الموت فيه[٣] .

والنتائج المترتبة للاستغفار والتوبة حافلٌ بالعطاء الجزيل والرحمة والغفران، فقد روي عن الرسول (ص) (من أكثر الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً، ومن كل ضيقٍ مخرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب)[٤] .

ونلمس في كثير من آيات القرآن الكريم أن هناك علاقة متقاربة تربط بين المسائل المعنوية والمادية، من هذه الآيات ما ورد على لسان نبي الله نوح (عليه السلام)،

---

(١) ظ، عباس علي الموسوي، الواضح في التفسير، ٤٨٠/١٣ .
(٢) ظ، عبدالله الغريفي، الجفاف الروحي الاسباب والعلاجات، ص١١٠ .
(٣) ظ، الطبرسي، مجمع البيان، ١٨٦/٥، الزمخشري، الكشاف، ٣٦٤/٢، مير علي الحائري الطهراني، مقتنيات الدرر، ٣٦٧/٥، أبي حيان الاندلسي، البحر المحيط، ٢٠٢/٥ .
(٤) الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، ٢٧٧/٥ .

قال تعالى ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۝ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح: الآية١٠- ١٢] وجرى الطلب كذلك على لسان هود (عليه السلام) ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ [هود: الآية ٥٢]، إذ يدعون أقوامهم الى الإيمان بالله، وإصلاح أنفسهم بطلب المغفرة من الله تعالى، وإظهار الندم من الذنوب السابقة والعودة الى التشريعات الإلهية وتطبيقها، وإذا فعلوا ذلك فإن ابواب رحمة الله سوف تفتح لهم، فالاستغفار من الذنب يُعدّ اساس العمران والخصب والخضرة والنضرة وزيادة في القوة والاقتدار[١]، وغيرها من البركات والفوائد الجمة التي لا تحصى ومنها أنها تمحي الذنوب وتفني السيئات قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [التحريم: الآية ٨] .

وتبدل السيئات بالحسنات، كما ورد في قوله تعالى ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: الآية ٧٠]، والتائب الحقيقي ينال محبة الله، قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: الآية ٢٢٢]، فهذا من ثمرات وفوائد الاستغفار والتوبة، وقد ورد في الروايات أن من يكتفي من الاستغفار بالإسم، مع كثرة الذنوب والمعاصي، ولا يسعى ويبادر في تحصيل أركانه وشروطه فكأنه قد استهزأ بنفسه، وبالتوبة والاستغفار[٢]، وفي ذلك يقول محمد بن سنان عن يوسف بن أبي يعقوب عن جابر عن ابي جعفر (عليه السلام) (التائب من الذنب كمن لا ذنب له، والمقيم على الذنب وهو مستغفرٌ منه كالمستهزئ)[٣]، (ومالم ينجلِ عن القلب والروح صدأ الذنوب، ويتحرك الإنسان لتطهير النفس من مخلفات المعصية بماء التوبة فلن يشرق القلب بنور ربه، ولن يتمكن هذا الإنسان من السير على خط الإيمان، والسلوك الى الله

(١) ظ، محمد تقي المدرسي، من هدى القرآن، ٥٢/٤، ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل، ٨٤/٦.
(٢) ظ، ناصر مكارم الشيرازي، الأخلاق في القران الكريم، ٢٠٢/١ .
(٣) الكليني، الكافي، ٤١٠/٢ .

تعالى والفوز بجواره، ولن يذوق طعم التجليات العرفانية، في حركة الحياة المعنوية)[1] .

فسبحان الذي فتح باباً الى عباده سماه التوبة ولم يقنط أحداً من المغفرة .

(1) ناصر مكارم الشيرازي، الاخلاق في القران الكريم، ٢١٣/١ .

المبحث الخامس: المبادرة في نطاق آيات الدعاء :

يمثل الدعاء الثمرة الروحية للعبادة للإنسان المؤمن ووسيلة للتقرب لله عزَّ وجلّ، وموجبة من موجبات تلبية حاجاته؛ لأنه مفتاح الرحمة الإلهية، والسلامة من الشيطان، فكان الأنبياء والأولياء من المبادرين الى الدعاء والمناجاة الله سبحانه وتعالى كثيراً، لما فيه من عطاء وبركات جمة في حياة الإنسان الفردية والاجتماعية، حيث وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم بتأكيدات كثيرة وتعابير متنوعه تدعو الناس الى الدعاء، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: الآية ٦٠]، وحذرهم من الكسل والضعف في المبادرة لاغتنام هذا المفتاح، وهو مفتاح الرحمة والسعادة، (فأمر تعالى بالدعاء، وحضَّ عليه، وسماه عبادة، ووعدَ بأن يستجيب لهم)[١] .

ففي بيان دلالة كلمة (ادعوني) يذكر الشيخ فاضل الصفار بأنها (وفي كلمة – ادعوني – أمر لنا بالدعاء، والحكيم إذا أمر بالطلب منه وجب أن يستجيب ويلبي الحاجة وإلا كان الأمر لغواً، والأمر يفيد الوجوب ظهوراً أو دلالة عقلية إن لم تكن في البين على الاستحباب)[٢]، إذ أمر الباري عز وجل عباده كافة بدعائه، كما في قوله تعالى ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: الآية ٥٥] باعتبار أن الدعاء أحد وسائل الارتباط بين العبد والمعبود سبحانه وتعالى، باعتقاد العبد بأن مُوجد الكون قريب منه، بل لا يوجد من هو أقرب منه، وهذا هو القرب المعنوي، فقد روي[٣] أن رجلاً سأل النبي محمد (ﷺ) أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه فنزل قوله تعالى ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: الآية ١٨٦]

وقد ورد عن الإمام علي (عليه السلام) قوله (فاحترسوا من الله عز ذكره بكثرة الذكر، واخشوا منه بالتقى، وتقربوا إليه بالطاعة فإنه قريب مجيب، قال الله عز

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٧٨/٣ .
(٢) فاضل الصفار، مواهب الليل في شرح دعاء كميل، ٧٣/١ .
(٣) ظ ، الطبرسي، مجمع البيان، ١٥/٢ .

وجل: وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون)[١] .

إذ أن في الآية إشارة الى شرطين في إجابة الله عزَّ وجلّ لدعوة الداعي، الأول: (إذا دعان) أن تكون الدعوة خالصة لله وحده، بمعنى أن لا تدعو الله بلسانك وقلبك منشغل بشيء آخر، والشرط الثاني: الإيمان بالله تعالى والاستجابة لتعاليمه وتكييف كل شؤون حياته وفق إرادة الله أو بمعنى ليبادروا الى إجابة دعائي الى الايمان والاعمال الصالحة، و(لعلهم يرشدون) أي لعلهم يصيبون طريق الحق، ويهتدون إليه في مسيرة حياتهم[٢]، أو كما قال العلامة الطباطبائي في تفسير هذه الآية فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي (تفريع على ما يدل عليه الجملة السابقة عليه بالالتزام: ان الله تعالى قريب من عباده، لا يحول بينه وبين دعائهم شيء، وهو ذو عناية بهم وبما يسئلونه منه، فهو يدعوهم الى دعائه، وصفته هذه الصفة، فليستجيبوا له في هذه الدعوة، وليؤمنوا به في هذا النعت، وليقنوا بأنه قريب مجيب لعلهم يرشدون في دعائه)[٣]، وفي تفسير العياشي، عن ابن أبي يعفور عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي أي (يعلمون انى أقدر على أن أعطيهم ما يسألون)[٤] .

ولخطورة ترك الدعاء والاستخفاف به والإعراض عنه هو إعراض عن الله سبحانه وتعالى، لقوله تعالى ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: الآية ٦٠]، إذ الآية تتضمن في نهايتها تهديداً قوياً للذين يستكبرون ويستنكفون عن الدعاء، فالعبادة في هذه الآية الدعاء، لأنها باب من ابواب العبادة ومن أفضل أبوابها[٥]، وفي هذا روى زرارة عن أبي جعفر (عليه السلام) أنه قال: (إن الله عز وجل يقول: إن الذين يستكبرون عن

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ٣٦٩/٧٤ .
(٢) ظ ، محمد تقي المدرسي، الدعاء معراج الروح ومنهاج الحياة، ص ١٥- ١٦ .
(٣) محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ٣٥/٢ .
(٤) العياشي، تفسير العياشي، ١/ ١٨٨.
(٥) ظ ، الطبرسي، مجمع البيان، ٣٤١/٨، الزمخشري، الكشاف، ١٧٠/٤

عبادتي سيدخلون جهنم داخرين. قال: هو الدعاء وأفضل العبادة الدعاء)[١]، عن حنان بن سدير، عن أبيه قال: قلت لأبي جعفر (عليه السلام): (أي العبادة أفضل؟ فقال ما من شئ أفضل عند الله عز وجل من أن يسئل ويطلب مما عنده وما أحد أبغض إلى الله عز وجل ممن يستكبر عن عبادته ولا يسأل ما عنده)[٢] .

وقد أوصى أئمة الإسلام من أهل بيت النبوة (عليهم السلام) بالمبادرة الى الدعاء في كل الأحوال، لأنها جند من جنود العقل، كما قال الإمام الصادق (عليه السلام) في بيانه وتقسيمه لجنود العقل والجهل (والدعاء وضده الاستنكاف)[٣]، فالعقل يدعو الإنسان الى عبودية الكمال المطلق لما يرى فيه من الحاجة المطلقة، ليظفر بعنايته ورحمته، لذا قال أمير المؤمنين (عليه السلام) (تقدموا بالدعاء قبل نزول البلاء)[٤] وحث عليها النبي (صلى الله عليه وآله) (افزعوا إلى الله في حوائجكم، والجئوا إليه في ملماتكم، وتضرعوا إليه وادعوه، فان الدعاء مخ العبادة، وما من مؤمن يدعو الله إلا استجاب، فإما أن يعجله له في الدنيا، أو يؤجل له في الآخرة، وإما أن يكفر عنه من ذنوبه بقدر ما دعا، ما لم يدع بمأثم)[٥] كونها جوهر العبادة وروحها، إذ روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) (الدعاء مخ العبادة ولا يهلك مع الدعاء أحد)[٦] أحد)[٦] ، وفي رواية عنه أيضاً (صلى الله عليه وآله) (الدعاء سلاح المؤمن وعماد الدين)[٧]، وإنما كان الدعاء عماد الدين؛ (لأنه قوام الدين وهو التحرك إلى الله، والدعاء إقبال على الله. ولما كانت حقيقة الدعاء هي الاقبال على الله كان الدعاء أحب شيء الى الله واكرم شيء عنده)[٨]، وكذلك روي عن رسول الله (صلى الله

---

(١) الكليني، الكافي، ٤٦٦/٢ .
(٢) م، ن ، ٤٦٦/٢ .
(٣) م، ن ، ٢٣/١ .
(٤) المجلسي، بحار الأنوار، ٣٨٠/٩٠ .
(٥) م، ن، ٣٠٢/٩٠ .
(٦) المجلسي، بحار الأنوار، ٣٠٠/٩٠ .
(٧) م، ن، ٢٨٨/٩٠ .
(٨) محمد مهدي الآصفي، الدعاء عند أهل البيت، ص١٦ .

عليه واله وسلم) (ما من شيء أكرم على الله تعالى من الدعاء)[١]، فحقيقة الدعاء تتبين من خلال التأمل في الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة، فدعاء الإنسان أمام الباري عز وجل في حقيقة الأمر أنه يعتبر نفسه عبداً لله ويرى نفسه فقيراً محتاجاً مطلقاً إليه، فبذلك ينتظر الإنسان عنايته سبحانه وتعالى ورحمته بدعائه وعبادته[٢] .

.

وجاءت روايات أخرى عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) تبين دور الدعاء كسلاح للمؤمنين، عن أحمد بن محمد، عن ابن فضال، عن بعض أصحابنا عن الإمام الرضا (عليه السلام) أنه كان يقول لأصحابه (عليكم بسلاح الأنبياء، فقيل وما سلاح الأنبياء؟ قال الدعاء)[٣]، وعن سهل بن زياد، عن جعفر بن محمد الأشعري، عن ابن القداح، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام) (الدعاء ترس المؤمن)[٤]، وكذلك ورد في الروايات أن الدعاء يرد البلاء والقضاء الإلهي، عن عمر بن يزيد قال سمعت أبا الحسن (عليه السلام) يقول (إن الدعاء يرد ما قد قدر وما لم يقدر، قلت وما قد قدر عرفته فما لم يقدر؟ قال: حتى لا يكون)[٥]، و عن سهل بن زياد، عن الحسن بن علي الوشاء، عن أبي الحسن (عليه السلام) قال: كان علي بن الحسين (عليهما السلام) يقول (الدعاء يدفع البلاء النازل وما لم ينزل)[٦]، وعن عبد الله بن سنان قال سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول (الدعاء (الدعاء يرد القضاء بعد ما ابرم إبراما، فأكثر من الدعاء فإنه مفتاح كل رحمة ونجاح كل حاجة ولا ينال ما عند الله عزَّ وجلّ إلا بالدعاء وإنه ليس باب يكثر قرعه إلا يوشك أن يفتح لصاحبه)[٧] .

---

(١) محمد الريشهري، ميزان الحكمة، ٨٦٩/٢
(٢) ظ، محمد الريشهري، نهج الدعاء، ص١٧ .
(٣) الكليني، الكافي، ٤٦٨/٢ .
(٤) م. ن، ٢/ ٤٦٨ .
(٥) الكليني، الكافي، ٢/ ٤٦٩ .
(٦) م. ن، ٢/ ٤٦٩ .
(٧) م. ن، ٤٦٠/٢ .

فمن جملة الارشادات والتوجيهات التي يطرحها القرآن الكريم فيما يخص مسألة الدعاء[1]، هي :

١- أن يكون دعاء العبد خالصاً لله سبحانه وتعالى، قال تعالى ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [غافر: الآية ١٤] .

٢- أن يكون الدعاء مقرون بخشية الله والأمل برحمته، قال تعالى ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [الأعراف: الآية ٥٦] .

٣- أن يكون نداء العبد الداعي خافتاً، قال تعالى ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَآءً خَفِيّا﴾ [مريم: الآية ٣] .

٤- أن يكون الدعاء في الخفاء بأسلوب التوسل والتضرع، قال تعالى ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: الآية ٥٥] .

وقد ذكر في القرآن الكريم آيات، كقوله تعالى ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ۝ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنبياء: الآية ٧٥ - ٧٦] .

قال تعالى ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ۝ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: الآية ٨٣ - ٨٤] ويقول العلامة الطبرسي، يعد دعاء نبي الله أيوب (عليه السلام) في إزالة ما به، لما ناله من الضر وأصابه الجهد، من لطيف الكنايات في طلب الحاجات[2] .

قال تعالى ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ۝ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: الآية ٨٧ - ٨٨] .

---

(١) ظ، محسن القرائتي، تفسير النور، ١/ ٢٨٠ .
(٢) ظ ، الطبرسي، مجمع البيان، ٧٧/٧ .

قال تعالى ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ۝ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: الآية ٨٩ - ٩٠] .

فهذه الآيات تحث على المبادرة في طلب الدعاء؛ لأن فيه استجابة من الله عزَّ وجلّ، حيث كان أنبياء الله (عليهم السلام) يتوجهون عند حدوث أي مشكلة أو مصيبة الى الله تعالى، يبادرون في طلب العون والفرج من ربهم في ما أصابهم، وفي الآيات التالية سنذكر نماذج من أدعيتهم وحاجاتهم ومطالبهم، ورعاية الله عزَّ وجلّ لهم، كونها تمثل دروس وعبر للمسلمين، ليعلموا أن المشاكل والابتلاءات والضغوطات كلما زادت، فإنها جميعاً تحل وترفع وتكشف ما أصابهم .

وعند النظر في محتوى النصوص يُلحظ أن استجابة أدعية الأنبياء لا تأخير ولا تأجيل فيها وإنما سريعة الإجابة فجاءت مقترنة بالنجاة، وكشف الضر، والهبة، والمغفرة، فهذه من أكبر العبر بأن يقتدي المؤمنين بهؤلاء الكرام من الأنبياء العظام. وبالخصوص خاتم الانبياء والمرسلين (صلى عليه وآله وسلم)، وبناءاً على ما تقدم من الآيات يتضح أن القرآن الكريم اشتمل على أنواع متعددة لأدعية الأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين والمؤمنين و... [1] .

ومما يبدو أن الدعاء من أحب الأعمال الى الله عزَّ وجلّ ومن أهم الحاجات الضرورية في حياة الإنسان على الأرض، فهو سلاح المؤمن، ووسيلة لنجاة الفرد، فإذاً يجب المبادرة في الدعاء والطلب والسؤال مَنْ بيده خزائن السموات الأرض، كما في وصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب لأبنه الحسن (عليهما السلام) (واعلم أن الذي بيده خزائن السماوات والأرض، قد أذن لك في الدعاء، وتكفل لك بالإجابة، وأمرك أن تسأله ليعطيك، وتسترحمه ليرحمك، ولم يجعل بينك وبينه من يحجبك عنه ولم يلجئك إلى من يشفع لك إليه، ولم يمنعك إن أسأت من التوبة، ولم

(1)ظ ، الأسراء/ ٨٠، المؤمنون / ٩٤، طه /١٤، المؤمنون / ٩٧، الفرقان/٣ ،المؤمنون/٨٨، الأعراف/٢٣ ، القمر/١٠، المؤمنون/٢٦ ... .

يعاجلك بالنقمة ولم يفضحك حيث الفضيحة ولم يشدد عليك في قبول الإنابة، ولم يناقشك بالجريمة ولم يؤيسك من الرحمة، بل جعل نزوعك عن الذنب حسنة، وحسب سيئتك واحدة وحسب حسنتك عشرا، وفتح لك باب المتاب، وباب الاستعتاب فإذا ناديته سمع نداءك، وإذا ناجيته علم نجواك، فأفضيت إليه بحاجتك وأبثثته ذات نفسك، وشكوت إليه همومك، واستكشفته كروبك، واستعنته على أمورك، وسألته من خزائن رحمته مالا يقدر على إعطائه غيره، من زيادة الاعمار وصحة الأبدان، وسعة الأرزاق ثم جعل في يديك مفاتيح خزائنه بما أذن لك فيه من مسألته، فمتى شئت استفتحت بالدعاء أبواب نعمه، واستمطرت شآبيب رحمته فلا يقنطنك إبطاء إجابته فان العطية على قدر النية، وربما أخرت عنك الإجابة، ليكون ذلك أعظم لاجر السائل، وأجزل لعطاء الآمل، وربما سألت الشيء فلا تؤتاه، وأوتيت خيرا منه عاجلا وآجلا، أو صرف عنك لما هو خير لك، فلرب أمر قد طلبته فيه هلاك دينك لو أوتيته، فلتكن مسألتك فيما يبقى لك جماله، وينفى عنك وباله، والمال لا يبقى لك ولا تبقى له)[1]

(1) المجلسي، بحار الأنوار، ٣٠١/٩٠ .

الفصل الثاني: المبادرة في نطاق آيات الاحكام

المبحث الأول: المبادرة في نطاق آيات فريضة الصلاة

المبحث الثاني: المبادرة في نطاق آيات الصوم

المبحث الثالث: المبادرة في نطاق آيات الزكاة

المبحث الرابع: المبادرة في نطاق آيات الحج

المبحث الخامس: المبادرة في نطاق آيات الجهاد في سبيل الله

توطئة :

إن كل ما يصدر من الإنسان المسلم من قولٍ أو فعلٍ استجابةً لأمر الله تعالى فهو يعد عبادة، ما دام الداعي إلى فعلها هو الاستجابة لأمره تعالى، لذا لا بد من وجوب المبادرة إلى أداء ما أوجبه الشارع المقدس من الفرائض التكليفية التي يتقرّب بها العبد إلى الباري عزَّ وجلّ، كالصلاة، والصوم، والزكاة، والحج، والجهاد، فقد فرض الله تعالى الصلاة تنزيها عن الكبر، والزكاة تسبيباً للرزق، والصيام ابتلاء لإخلاص الخلق، والحج تقوية للدين، والجهاد عزا للإسلام، فهذه العبادات هي تزكية للنفس والبدن، وتطهيراً للذات، وتنمية للروح والإرادة، وتصحيحاً لنشاط الجسد والغريزة، لما لهذه العبادات من أثر تكاملي على الذات ومردود عملي على المجتمع بهدف إصلاحه وتحسين أوضاعه، لما لها من تأثير على بناء الشخصية الإنسانية، والارتقاء بها إلى المستوى الأمثل، وتخليصها من كل المعوقات التي تمنع رقيها .

المبحث الأول: المبادرة في نطاق آيات فريضة الصلاة :

فَالصَّلَاةُ لغةً: هي الدُّعَاءُ[١] .

الصلاة اصطلاحاً: (عبارة عن أركان مخصوصة وأذكار معلومة بشرائط محصورة في أوقات مقدرة)[٢] .

هي عبارة عن أفعال مخصوصة من قيام وركوع وسجود

ويعرفه الشيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ) : (هي عبارة عن أفعال مخصوصة من قيام وركوع وسجود)[٣] .

شرّع الدين الإسلامي الأذان ليكون إعلاماً وإخباراً للمكلفين بدخول وقت الصلاة، فحينما يترنم المؤذن بعبارات (حي على الصلاة) و(حي على الفلاح) و(حي على خير العمل)، ففيها إشارة الى الاسراع في الإقبال والتوجه للصلاة إذ أن لفظة (حيَّ) اِسْمُ فِعْلٍ لِلأَمْرِ بِمَعْنَى أَقْبِلْ، عَجِّلْ، هَلُمَّ مُسْرِعاً[٤]، وهذا يعني أن المخاطب يطلب الإقبال على الأمر بتوجه واهتمام، وهذا يعد من مصاديق المبادرة والمسابقة الى الخير والمسارعة الى أسباب الرحمة والمغفرة، وهو بمثابة اعلان للمسلم لإتيان فريضة الصلاة في أول وقتها والحضور بين يدي الله تعالى، وكذلك إيقاظ الفطرة الانسانية لسرٍّ من أسرار النجاح والفلاح، التي بها يصل الإنسان للسعادة والكمال والراحة المطلقة، باعتبارها خير الأعمال التي يقوم به المسلم[٥] .

فسماع الأذان، هو إعلان القرب لساعة اللقاء، كما ورد في الروايات، أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان ينادي حين حلول وقت الصلاة قائلاً (أرحنا يا بلال)، فهذا الاندفاع الذاتي، والميل الباطني وترقب الوقت وعدّها لحظةً بلحظة شوقاً

---

(١) ظ، ابن فارس، مقاييس اللغة، ٣٠٠/٣ .
(٢) الجرجاني، التعريفات، ص١١٤ .
(٣) الطوسي، المبسوط، ج٧٠/١.
(٤) ظ، ابن منظور، لسان العرب ٢٢٢/١٤.
(٥) ظ، روح الله الخميني، الآداب المعنوية للصلاة، ص٢٦٧- ٢٦٨ .

للمحبوب[١]، والحكمة الكامنة في تشريع الأذان الإعلامي، إنما هو لتهيئة الفرد المؤمن على الإتيان بفريضة الصلاة في وقتها المحدد له بنظام إلهي حكيم، وكذلك تعدّ كتمرين للمكلف على الانتظام في حياته العملية، ليحفظ وقته من الضياع وحياته العملية من الفوضى[٢] .

فالمبادرة لتلبية النداء الالهي لا بدّ أن يكون المسلم على طهارة اذ قال الإمام الباقر(عليه السلام) (لا صلاة إلا بطهور)[٣]، فالوضوء هو الأرضية الممهدّة للصلاة وهو أمر واجب على المصلي قبل شروعه بالصلاة، قال تعالى ﴿يا أَيهَا الَّذينَ آمَنُوا إذا قُمْتُمْ إِلَي الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَ أَيدِيكُمْ إِلَى الْمَرافِقِ وَ امْسَحُوا بِرُؤُسِكُمْ وَ أَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَين﴾ [المائدة: الآية ٦]، وهو من الإيمان، والوضوء نور وصفاء باطني، له مزايا متعددة، فالوضوء يمنح الإنسان المسلم النظافة في الجسم والنفس، ونشاطاً يدفع عنه الكسل والفتور، لذا يستحب للمسلم أن يكون على وضوء دائم، لأنه كفارة للذنوب الصغيرة[٤] .

وأي مبادرة عبادية لا بد من أن تتوفر فيه النية التي هي الدافع والمحرك للإنسان في القيام بعملٍ ما، ولا بد أن يكون النية بدافع إلهي خالص، بقصد القربة ورضى الله وإطاعة أمره، لأنه السبيل للفلاح والنجاح وخلود الأعمال الصالحة وإذا لم تؤدي الصلاة والعبادة بهدف القربة الى الله تعالى بتمامها وكمالها فهي عبادة باطلة ممحوقة لا فائدة ولا قيمة منها[٥]، قال الإمام علي (عليه السلام) (الإخلاص أعلى الإيمان)[٦]، وروي عن الإمام علي (عليه السلام) (طوبى لمن أخلص لله عمله وعلمه، وحبه وبغضه، وأخذه وتركه، وكلامه وصمته، وفعله وقوله)[٧] .

---

(١) ظ، محسن قراءتي، أسرار الصلاة، ص٨ .
(٢) ظ، حسن طراد، فلسفة الصلاة في الاسلام، ص٨٩ .
(٣) الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ١/ ٣٣ .
(٤) ظ، محسن قرائتي، أسرار الصلاة، ص ٣٧ .
(٥) ظ، م. ن، ص٤٣/ ٤٦ .
(٦) محمد الريشهري، ميزان الحكمة، ٧٥٤/١ .
(٧) م. ن، ٧٥٥/١ .

ولذلك فالصلاة أول ما ينظر من عمل العبد، روي عن علي (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) (إن عمود الدين الصلاة وهي أول ما ينظر فيه من عمل ابن آدم فإن صحت نظر في عمله وإن لم تصح لم ينظر في بقية عمله)[1]، وعن جابر عن أبي جعفر (عليه السلام) قال (الصلاة عمود الدين، مثلها كمثل عمود الفسطاط، إذا ثبت العمود ثبت الأوتاد والاطناب، وإذا مال العمود وانكسر لم يثبت وتد ولا طنب)[2] .

فالآيات الدالة على وجوب الصلاة كثيرة، وأنها كتاب واجبٌ على المؤمنين[3]، منها منها قوله تعالى ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: الآية ١٠٣]، أي بمعنى (أمراً ثابتاً، ومقدراً في أوقات محددة، والشيء لا يكون ثابتاً إلا لأهميته، كما لا يكون محدداً تحديداً دقيقاً إلا لأهميته أيضاً)[4]، فلا بد بد من المبادرة لإقامة الصلاة، بالمداومة عليها، ومراعاة أوقاتها وشرائطها وحدودها[5]، قال تعالى ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: الآية ٢٣٨]، وقال تعالى ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الحَسَنَاتِ يُذهِبنَ السَّيِّئَاتِ ذلِكَ ذِكرى لِلذّاكِرِينَ﴾ [هود: الآية ١١٤]، قال تعالى ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمسِ إلى غَسَقِ اللَّيلِ وَقُرآنَ الفَجرِ إِنَّ قُرآنَ الفَجرِ كانَ مَشهودًا﴾ [الإسراء: الآية ٧٨] .

قال تعالى ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: الآية ٣-٤] .

---

(١) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ٣٥/٤ .
(٢) م، ن، ٢٧/٤ .
(٣) ظ، العياشي، تفسير العياشي، ٤٣٩/١- ٤٤١، الطوسي، التبيان، ٦٧/٥، الطبرسي، مجمع البيان، ١٤٩/٣، الزمخشري، الكشاف، ٥٤٩/١ .
(٤) محمد تقي المدرسي، من هدى القرآن، ١١١/٢ .
(٥) ظ، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٧٤/٤، محمد بن عبدالرحيم النهاوندي، نفحات الرحمن، ٤٨٤/١، عبدالله شبر، الجوهر الثمين، ١٧٤/١ .

ولأهمية الصلاة، يوصي أمير المؤمنين علي (عليه السلام) قائلا (أوصيكم بالصلاة التي هي عمود الدين، وقوام الاسلام، فلا تغفوا عنها)[١]، حيث عُدّ الصلاة في عِداد الأركان الأساسية للدين، أي أن بعد ركن الأول وهو الايمان بالغيب الذي يتعلق بالنظام الفكري والعقائدي للإنسان المسلم، يأتي الركن الثاني وهو إقامة الصلاة التي تقوم ببناء الذات، لارتباطه المستمر مع عالم الغيب[٢]، قال تعالى ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِين ۝ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: الآية ٣]، ولأجل المحافظة على التقوى، لا بد من تواصل ضروري وارتباط دائم بالله عزَّ وجلّ، ليستمد منه العزيمة والقوة في مواجهة الأهواء والشهوات، لتثمر الإيمان والتقوى في الحياة العملية للفرد المسلم، وهي وسيلة ليقظة الإنسان وخير وقاية من الذنوب، لأن الصلاة أغنى مدرسة للتربية الإنسانية في تهذيب النفس وسمو روحه[٣] .

فمن أثار الصلاة على المجتمع، عند مداومة ومحافظة المؤمنين عليها في أدائهم لها ترفعهم الى درجات الإيمان السامية، نلحظ هذا الأثر جلياً في سورة المعارج الآيات التالية ﴿إِنَّ ٱلإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ۝ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۝ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ۝ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ۝ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِم قَائِمُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝ أُوْلَـٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ﴾ [المعارج: الآية ١٩- ٣٥]، حيث أن هذه الآيات تبين أن الانسان غير المؤمن بالله، كثير الجزع والضجر عند المصيبة والحرص والبخل عند الغنى،

---

(١) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ٢٣٢/٧٩ .
(٢) ظ، مرتضى المطهري، طهارة الروح، ص ١٦٣ .
(٣) ظ، محمد رضا الشيرازي، التدبر في القرآن، ص٣٥٢، ناصر مكارم الشيرازي، تفسير الأمثل، ٨/ ٣٩٩ .

بينما المؤمن المداوم والمحافظ على الصلاة بجد واهتمام، تجنبه طبائع الذميمة والأخلاق السيئة، وتمنحه الاستقرار روحياً ومادياً، والاهتمام بالمسائل الاجتماعية كالمحرومين الذي يعتبر أن جزءاً من أمواله حقٌ لهم، والاهتمام بالمسائل العقدية بجعل التقوى تتحكم بأفكاره و أقواله، وأفعاله، لإيمانه بالمعاد وخوفه من الحساب، وكذلك يحفظُ الأمانات ويؤدي العهود، ويتبع الطريق الحلال لإرضاء غريزته الجنسية وتشكيل العائلة والسلالة الطاهرة[1]، فمن أثار الفلاح في الدارين إتيان الصلاة بخشوع التي هي من صفات المؤمنين، قال تعالى ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: الآية ١- ٢] .

والصلاة أساس كل الكمالات التي ينتهي إليها الانسان لأنها معراج المؤمن الى الفضيلة، والوسيلة للتزكية والتربية الذاتية للتخلص من الهلع والصفات السيئة، لأن جوهرها هو الاتصال الدائم مع الله بلا انقطاع في كل ساعة ولحظة، كونها برنامج متكامل يتصل بكل شؤون الحياة الفردية والاجتماعية والتربوية والأخلاقية والاقتصادية والقضائية، ...[2]، وهي رمز التعبد لله والتسليم لأمره في كافة حقول الحياة، فالمؤمن الحقيقي هو الذي ينعكس الإيمان في أفعاله، وأنها حلقة الوصل بين الإيمان والحقائق التي تتجلى في الواقع .

فإقامة الصلاة شعار الدعاة وهدفهم الأساس من بث الدعوة الى الله، نستلهم هذا الأمر من قصة نبي الله إبراهيم (عليه السلام) الذي أسكن ذريته عند البيت الحرام بهدف إقامة الصلاة، قال تعالى ﴿رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: الآية٣٧]، وقال تعالى لرسوله محمد (صلى الله عليه وآله) أن يأمر أهل بيته بالصلاة ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: الآية ١٣٢]، (لما نزلت هذه الآية، كان رسول الله صلى الله عليه وآله يأتي باب فاطمة وعلي تسعة أشهر، عند كل صلاة فيقول: الصلاة رحمكم الله، إنما يريد

(1) ظ، محسن قرائتي، تفسير النور، ١٠/١٩٦- ٢٠٠ .
(2) ظ، محمد تقي المدرسي، من هدى القرآن، ١١/٢٣٣ .

الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ... ، وقال أبو جعفر (عليه السلام): أمره الله تعالى أن يخص أهله دون الناس ليعلم الناس أن لأهله عند الله منزلة ليست للناس، فأمرهم مع الناس عامة ثم أمرهم خاصة)[1] .

وهي من العبادات التي لم تخلُ منها شريعة من الشرائع السماء بمعناها العام والشامل، فكل منها لها صلاتها الخاصة بها[2]، فقد ورد في التنزيل العزيز أن الصلاة كانت من عبادات أنبياء الله، كإبراهيم (عليه السلام) قال تعالى ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ [ابراهيم: الآية ٤٠]، وموسى (عليه السلام) قال تعالى ﴿فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: الآية ١٤]، وزكريا (عليه السلام) قال تعالى ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ﴾ [آل عمران: الآية ٣٩]، وعيسى (عليه السلام) قال تعالى ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم: الآية ٣١]، وشعيب (عليه السلام) قال تعالى ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ﴾ [هود: الآية ٨٧]، وكذلك النبي إسماعيل كان يأمر أهله بالصلاة، فقال تعالى عنه ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ﴾ [مريم: الآية ٥٥]، وهي وصية لقمان لإبنه قال تعالى ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ [لقمان: الآية ١٧] .

فمن تجليات الصلاة على الانسان الذي يحافظ عليها ويقيمها بشروطها، تنعكس على ابعاد حياته، إذ تورثه التقوى في نفسه وتنهاه عن مرديات الهوى، قال تعالى ﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: الآية ٤٥] (فالفحشاء إشارة للذنوب الكبيرة الخفية التي تنتج بغلبة القوى الشهوانية، وأما المنكر فهو الذنوب الكبيرة الظاهرة نتيجة أثر القوى الغضبية)[3]، فالصلاة لها الدور الكبير والعظيم في صنع الشخصية الرافضة للفحشاء والمنكر، بحضور الله في نفس المؤمن التي تتولد في داخله القوة الروحية الناهية عن كل ما يتجاوز حدود الله، فالصلاة في عمقها

(١)الطبرسي، مجمع البيان، ٥٠/٧، المجلسي: بحار الأنوار، ١٩٦/٧٩.
(٢) ظ، مرتضى المطهري، طهارة الروح، ١٦٦ .
(٣) ناصر مكارم الشيرازي، تفسير الأمثل، ٥٦/١٠ .

التشريعي تكون عملاً تربوياً عبادياً يعمل على صنع الشخصية الرافضة لكل معاصي الله[١]، روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال (من لم تنهه صلاته عن الفحشاء و المنكر لم يزدد من الله إلا بعدا)[٢]، والآية المذكورة آنفاً تبين أن الصلاة فيها حكمة وغاية أخرى، وهي تذكير الإنسان بربه، وهذا الذكر هو أساس السعادة والخير بل العامل التأصيلي للنهي عن الفحشاء والمنكر، وكونه أكبر العلل والأساس للصلاة... ، ولاريب أن روح العبادة بجميع أقسامها تحيي ذكر الله في قلب الإنسان، وإشارة لهذه الحكمة الأساسية من الصلاة، خطاب الله تعالى لموسى (عليه السلام) قائلاً ﴿فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: الآية ١٤]، فروح الصلاة وأساسها وهدفها وحكمتها هي ذكر الله، الذي يكون مقدمة للفكر، والفكر يكون باعثاً على العمل، فقد ورد عن الصادق(عليه السلام) في تفسير ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ قال (عليه السلام) (ذكر الله عندما أحل وحرم) أي على أن يتذكر الله فيتبع الحلال ويغضي أجفانه عن الحرام[٣] .

فإقامة الصلاة خير محفز لتزكية النفس وتربيتها على الفضائل الخلقية والتكامل المعنوي للإنسان، فهو الوسيلة لتحطيم الأنانية والكبر لدى الانسان، قالت فاطمة الزهراء (عليها السلام) في خطبتها (فرض الله الايمان تطهيرا من الشرك، والصلاة تنزيها عن الكبر)[٤]، وهي وسيلة لتهيئة الإنسان لطاعة الرسول (صلى الله عليه وآله) أو طاعة القيادة قال تعالى ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور: الآية ٥٦] .

فالصلاة معيار لمعرفة المؤمن من المنافق، فمن حافظ على صلاته وخشع فيها واتقى وانفق وأحسن، فإنه مؤمن قد أقام الصلاة، بينما من يسهوا عنها وتلهيه التجارة والبيع عن الصلاة، وإذا قام إليها قام كسلانً، فهذه علامات المنافق، فترى

(١) ظ، محمد حسين فضل الله، من وحي القرآن، ٦٠/١٨ .
(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ١٩٨/٧٩ .
(٣) ظ، ناصر مكارم الشيرازي، تفسير الأمثل، ٥٩/١٠ .
(٤) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ٢٢/١ .

المؤمنون يبادرون ويسارعون الى الصلاة ويسعون إليها سعياً، بينما المنافقون لا يأتونها إلا وهم كسالى .

قال تعالى ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّـهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّـهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: الآية ١٤٢] .

قال تعالى ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ۝ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ [الماعون: الآية ٤-٧] .

قال تعالى ﴿ وَلا يَأتونَ الصَّلاةَ إِلّا وَهُم كُسالى وَلا يُنفِقونَ إِلّا وَهُم كارِهونَ﴾ [التوبة: الآية ٥٤] .

فالتزام المنافق بالأحكام الدينية لا تتعدى حدود العبادات القشرية الفارغة، في حين أن الصلاة هي أهم الشعائر العبادية التي يؤديها المنافق بروح الكسل متظاهراً أمام الناس فكيف بسائر الواجبات، فذكرها لا يتجاوز حدود ألسنتهم؛ لأنه ساهيٍ عن أصل الصلاة وحقيقتها، فهم بهذه الصفة بعيدون عن رحمة الله، لذا ترى المنافقون يعيشون في حالة من التردد والتذبذب، وفي حيرة دائمة دون أي هدف أو خطة لطريقة حياة معينة فلا هم مع المؤمنين حقاً ولا هم يقفون الى جانب الكفار ظاهراً[1]، كما قال تعالى ﴿مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ﴾ [النساء: الآية ١٤٣] .

وفي تفسير العياشي (أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سئل فيما النجاة غدا؟ فقال: النجاة لا تخادعوا الله فيخدعكم، فإنه من يخادع الله يخدعه ويخلع منه الايمان ونفسه لو يشعر، فقيل له: فكيف يخادع الله؟ قال: يعمل بما امره الله ثم يريد به غيره، فاتقوا الله فاجتنبوا الرياء فإنه شرك بالله، ان المرائي يدعى يوم القيمة بأربعة

(1) ظ، محمد تقي المدرسي، من هدى القرآن، ١٤٥/٢، محسن قرائتي، تفسير النور، ١٨٠/٢، ناصر مكارم الشيرازي، تفسير الأمثل، ٢٩١/٣- ٢٩٢ .

أسماء: يا كافر، يا فاجر، يا غادر، يا خاسر، حبط عملك وبطل أجرك، ولا خلاق لك اليوم فالتمس أجرك ممن كنت تعمل له)[1] .

وجزاء الذين يتركون الصلاة أو يضيعونها هو فقدان المناعة عن الشهوات، قال تعالى ﴿فَخَلَفَ مِن بَعدِهِم خَلفٌ أَضاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَواتِ فَسَوفَ يَلقَونَ غَيًّا﴾ [مريم: الآية ٥٩]، وذكر الله سبحانه وتعالى الصلاة دون سائر التشريعات (لما لهذه الفريضة من أثر مهم وصلة بين الله والإنسان، وما لها من إيجابيات طيبة بين الإنسان والإنسان)[2] .

وقد يؤدي ترك الصلاة الى التكذيب والانحراف والابتعاد عن الصراط المستقيم، والصدّ عن سبيل الله ونهي المؤمنين عن اقامة الصلاة، قال تعالى ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ۝ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [القيامة: الآية ٣١-٣٢]، وقال تعالى ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ۝ عَبْدًا إِذَا صَلَّى﴾ [العلق: الآية ٩- ١٠] .

ونتيجة كل ذلك كما ورد في القرآن الكريم على لسان المجرمين حيث يعترفون بتركهم الصلاة تركوا كل إحسان ومعروف، وكان مصيرهم النار، قال تعالى ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۝ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ۝ فِي جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ۝ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ۝ قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ۝ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ۝ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ۝ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [المدثر: الآية ٣٨- ٤٦] .

وللصلاة بركات لا تحصى في حياة الإنسان، وبالخصوص صلاة الليل لها فضل عظيم وكثير يعود بالفائدة على الإنسان، فعلى الإنسان المؤمن أن يبادر ويسعى لإحياء وقيام صلاة الليل، لما لها من أثرٌ بالغ في تصفية الروح وتهذيب النفوس والتربية المعنوية للإنسان وطهارة القلب وإيقاظه، وكذلك في تقوية الإيمان

(1) العياشي، تفسير العياشي، ١/ ٢٨٢ .
(2) عباس علي الموسوي، الواضح في التفسير، ١٠/١٧٠ .

والإرادة، وتوكيد أركان التقوى في الروح والقلب[١]، قال الله تعالى ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [الإسراء: الآية ٧٩] .

وقال تعالى في سورة المزمل ﴿يا أيها المزمل ۝ قم الليل إلا قليلا ۝ نصفه أو انقص منه قليلا ۝ أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا﴾ [المزمل: الآية ١- ٤] .

فقيام الليل هو(برنامج متكامل للجسم والروح والعقل، وذلك بما يتضمنه من صلاة ومناجاة وتلاوة للقرآن، يعرج من خلالها القائمون بالليل الى أفاق الإيمان والمعرفة، وبالذات منها ترتيل القرآن الذي يحقق تسامى الروح وانفتاح العقل معاً، مما يسبب في آن واحد عروج الإنسان الى مراتب الكمال)[٢]، فصلاة الليل عبادة الأنبياء والأولياء والصالحين، فهي سلامة للبدن وضياء في القبر ونور في القيامة، وتمحو ذنوب النهار، وتؤثر في الرزق والأخلاق، وترفع الهم والغم وتساعد في أداء الدين وتنور البصر ولها أثار كثيرة[٣] .

وقد أولت الروايات الواردة عن أهل البيت (عليهم السلام) إهتماماً عظيماً لصلاة الليل، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) (خيركم من أطاب الكلام وأطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام)[٤] .

قال الإمام علي (عليه السلام) (قيام الليل مصحة للبدن، ومرضاة للرب عز وجل وتعرض للرحمة، وتمسك بأخلاق النبيين)[٥]، وعن ابراهيم الكرخي عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال (إن الحسنات يذهبن السيئات قال: صلاة الليل تكفر ما كان من ذنوب النهار)[٦] .

---

(١) ظ، ناصر مكارم الشيرازي، تفسير الأمثل، ٤٨١/١٤ .
(٢) محمد تقي المدرسي، من هدى القرآن، ١١/ ٣١٢ .
(٣) ظ، محسن قرائتي، تفسير النور، ٩٦/٥ .
(٤) الصدوق، عيون أخبار الرضا، ٧١/١ .
(٥) محمد الريشهري، ميزان الحكمة، ١٦٥٤/٢ .
(٦) المجلسي، بحار الأنوار، ١٥٥/٨٤ .

عن عبدالله بن سنان قال سمعت أبا عبد الله الصادق (عليه السلام) يقول (ثلاثة هن فخر المؤمن وزينه في الدنيا والآخرة: الصلاة في آخر الليل، ويأسه مما في أيدي الناس، وولاية الامام من آل محمد (صلى الله عليه وآله))[١] .

عن عاصم بن حميد، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال (ما من عمل حسن يعمله العبد إلا وله ثواب في القرآن إلا صلاة الليل فان الله لم يبين ثوابها لعظيم خطرها عنده، فقال: تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون)[٢] .

وخيرُ ما أقيمت من الصلوات هي صلاة الجمعة لأهميتها العظيمة وبركاتها الكثيرة على الفرد والمجتمع، وهي نداء ودعوة إلهية للالتزام بها وإقامتها، لتميزها بفروضها وخطبتها ومظهرها الإجتماعي، إذ ينادي المنادي من يوم الجمعة بالسعي بالروح والجسد لذكر الله، والتحرر من القيود المادية والمعنوية، وترك شؤون الدنيا[٣] ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الجمعة: الآية ٩] والسعي هو الإسراع، (أن يكون في المشي خفة وبدارا)[٤]، والدلالةُ الظاهرةُ على وجوب السعي لإقامة الصلاة الجمعة، كتاباً وسنة واجماعاً[٥]، والمسائل كثيرة فيما ترتبط بصلاة الجمعة تدخل في إطار البحوث الفقهية .

فوجوب المبادرة لهذا التجمع الكبير والعظيم الذي هو منشأ البركات والنعم الإلهية، لما لها من أهمية في إزالة صدأ المعاصي من القلوب وتطهير الروح من الذنوب، وتجديد الروح الدينية وتصعيد المعنويات، والانسجام والتعاون لحل المشكلات

---

(١) الصدوق، الأمالي، ص ٦٣٨ .
(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ١٤٠/٨٤ .
(٣) ظ، محمد تقي المدرسي، من هدى القرآن، ٤٧١/١٠ .
(٤) أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ٨/ ٢٦٤ .
(٥) ظ، الطبرسي، مجمع البيان، ١٠/ ١١، محمد حسين الطباطبائي، تفسير الميزان، ٢٧٤/١٩، محمد جواد مغنية، تفسير الكشاف، ٣٢٧/٧، الطهراني، تفسير مقتنيات الدرر، ١٧٨/١١- ١٧٩ .

العامة التي تواجه المسلمين، بعد توعية الناس من قِبل الخطيب على الثقافة والمعارف والمفاهيم الإسلامية والأحداث السياسية والاجتماعية المهمة[١] .

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) (لما أسري بي إلى السماء ليلة المعراج، رأيت تحت العرش سبعين ألف مدينة، كل مدينة كدنياكم، وملائكة ناشري أجنحتهم، يسبحون الله، ويهللونه، ويقولون: اللهم اغفر للذين يحضرون صلاة الجمعة، اللهم اغفر للذين يغتسلون يوم الجمعة)[٢]، وقال النبي (صلى الله عليه وآله) في خطبة طويلة نقلها المخالف والمؤالف (إن الله تبارك وتعالى فرض عليكم الجمعة فمن تركها في حياتي أو بعد موتي استخفافاً بها أو جحوداً لها فلا جمع الله شمله، ولا بارك له في أمره، ألا ولا صلاة له، ألا ولا زكاة له، ألا ولا حج له، ألا ولا صوم له، ألا ولا بر له، حتى يتوب)[٣]، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام (عليه السلام) قال (صلاة الجمعة فريضة، والاجتماع إليها فريضة مع الامام، فإن ترك رجل من غير علة ثلاث جمع فقد ترك ثلاث فرائض ولا يدع ثلاث فرائض من غير علة إلا منافق)[٤] .

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) (من أتى الجمعة إيمانا واحتسابا استأنف العمل)[٥] .

وفي بيان حكمة الصلاة وفلسفتها وأسرارها جاء الحديث عن الإمام الرضا (عليه السلام) إذ سئل عنها فأجاب بما يلي (إن علة الصلاة انها إقرار بالربوبية لله عز وجل وخلع الأنداد، وقيام بين يدي الجبار جل جلاله بالذل والمسكنة، والخضوع والاعتراف والطلب للإقالة من سالف الذنوب، ووضع الوجه على الأرض كل يوم خمس مرات اعظاما لله عز وجل وأن يكون ذاكرا غير ناس ولا بطر ويكون خاشعا

(١) ظ، ناصر مكارم الشيرازي، تفسير الأمثل، ١٦٩/١٤ .
(٢) الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، ٩٠/٦ .
(٣) البروجردي، جامع أحاديث الشيعة، ٦٠/٦ .
(٤) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ٢٩٩/٧ .
(٥) الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ٤٢٧/١ .

متذللا راغبا طالبا للزيادة في الدين والدنيا مع ما فيه من الانزجار والمداومة على ذكر الله عز وجل بالليل والنهار لئلا ينسى العبد سيده ومدبره وخالقه فيبطر ويطغى ويكون في ذكره لربه وقيامه بين يديه زاجرا له عن المعاصي ومانعا من أنواع الفساد)[1] .

([1]) الشيخ الصدوق، علل الشرائع، ٣١٧/٢ .

المبحث الثاني: المبادرة في نطاق آيات الصوم :

الصوم لغة: الإمساك والامتناع عن شيء[١].

الصوم اصطلاحاً: هو (إمساك عن أشياء مخصوصة، على وجه مخصوص ممن هو على صفات مخصوصة في زمان مخصوص)[٢] .

وقال القرطبي: (الإمساك عن المفطرات مع اقتران النيةِ به من طلوع الفجر الى غروب الشمس، وتمامه وكماله باجتناب المحظورات، وعدم الوقوع في المحرمات)[٣] .

ويعرفه الجرجاني: بأنه (عبارة عن إمساك مخصوص، وهو الإمساك عن الأكل والشرب والجماع من الصبح الى المغرب مع النية)[٤] .

فالصوم من العبادات التشريعية وأحد ركائز أركان الإسلام التي يريد الله من عباده المؤمنين المبادرة الى أدائها؛ لأنه من أهم العبادات وأفضل القربات، لما له من بركات وآثار كبيرة في عروج النفس الإنسانية الى مدارج الكمالات الروحانية والرتب المعنوية بالصيام تسمو نفس العبد الى التقوى، وهي الغاية التي لأجلها وجب الصيام[٥] .

قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: الآية ١٨٣]، كتب عليكم أي فرض عليكم الصيام، والأمر يقتضي الوجوب من وجهين، الأول (كتب) وهو في الشرع يفيد الإيجاب، والثاني

(١) ابن فارس، مقاييس اللغة، ٣٢٣/٣ .
(٢) الطبرسي، مجمع البيان، ٥/٢ .
(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٢٣/٣ .
(٤) الجرجاني، التعريفات، ص ١١٦.
(٥) ظ ، فاضل الصفار، العبادات في الفقه الإسلامي، ص٩٢ .

(عليكم) فهو يبنى على الإيجاب أيضاً، فالجمع بينهما دلالة على الإيجاب أوكد وأوجب[١]، وفي الآية (توكيد للحكم وترغيب في الفعل وتطييب على النفس)[٢] .

واختص المؤمنين بالخطاب مع عدم اختصاص الحكم بهم، تشريفاً وإكراما وإشعاراً بأن القيام بأداء التكاليف من وظائف الإيمان ولوازمه، ولما في التكليف من مشقة وجه الخطاب بكلمة النداء كي يهون عليهم العناء، كما روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) (لذة ما في النداء أزالت تعب العبادة والعناء) لأن المكلف إذا شعر بالمحبة والحنان من المخاطِب ينسى تعب العبادة وعناءها[٣] .

وهذه الفريضة لم تختص بها إمة محمد (صلى الله عليه وآله)، وانما هو فريضة اشتركت فيها جميع الأديان والرسالات السماوية وإن اختلفت في بعض تفاصيلها[٤]، فالأحكام العبادية التشريعية ليس عبثية لا مصلحة فيها، وإنما أحكامه تابعة لمصالح تعود نفعها على المكلفين من العباد لا عليه سبحانه وتعالى، فقد ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله (خلق الخلق حين خلقهم غنيا عن طاعتهم، آمنا من معصيتهم؛ لأنه لا تضره معصية من عصاه، ولا تنفعه طاعة من أطاعه)[٥]، وهذه ما يشير اليه القرآن الكريم بإرجاع آثار الطاعات والمعاصي الى الإنسان الذي لا شأن له إلا الفقر والحاجة، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: الآية ١٥]، المصلحة المقتضية من الصيام يحددها الباري عزَّ وجلّ بـ (لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) فالنتيجة المرجوة من الصيام هي التقوى، لما يثير الصيام في داخل الإنسان من الرقابة الذاتية التي تمنعه من ممارسة كثير من الأشياء المعتادة له

(١) ظ، قطب الدين الراوندي، فقه القرآن، ١٧٢/١ .
(٢) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ١٢٣/١ .
(٣) ظ، مجمع البيان، الطبرسي، ٥/٢، محمد عبدالرحيم النهاوندي، نفحات الرحمن في تفسير القرآن، ٣٩٩/١.
(٤) ظ، مجمع البيان، الطبرسي، ٥/٢، محمد حسين الطباطبائي، الميزان، ٧/٢، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٢٦/٣، ابن العربي، أحكام القرآن، ١٠٧/١ .
(٥) المجلسي، بحار الأنوار، ٣١٥/٦٤.

من شهواته ومطاعمه ومشاربه، والانضباط أمام ما يريده الله عز وجل منه وما لا يريده[١] .

فالغاية من الصيام كما قيل هو تنمية ملكة التقوى في نفس الإنسان، فمن لم يتورع عن محارم الله واجتناب معاصيه، فحين إذاٍ لا فائدة مرجوة من صيامه، لذا قال الإمام علي (عليه السلام) (كم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والظمأ)[٢]، لماذا؟ فيجيب عنه أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام) قائلاً (الصيام اجتناب المحارم كما يمتنع الرجل من الطعام والشراب)[٣] .

لأن الصيام (تضعف القوى الشهوانية والغرائز التي تضل البشر وتنحدر به الى المهاوي والمنزلقات، لأنه يغلب الشهوة، ويكسر شوكتها، وبالصيام يصفو العقل والفكر فيرتقي في درجات المعرفة والاستقامة في الأفكار والمواقف)[٤]، وللصيام أثار وابعاد متعددة مادية ومعنوية في وجود الإنسان، فأهم الأثار في بعدها التربوي والأخلاقي والاجتماعي والصحي، ففي الجانب الأخلاقي والتربوي يترفع الإنسان من عالم البهيمية الى عالم الملائكة بعد أن يسيطر على غرائزه الجامحة، أما من الجانب الإجتماعي يروي عن الإمام الصادق (عليه السلام) في جواب سؤال هشام بن الحكم عن علة الصيام فقال (عليه السلام) (إنما فرض الله عز وجل الصيام ليستوي به الغني والفقير، وذلك أن الغني لم يكن ليجد مس الجوع فيرحم الفقير لان الغني كلما أراد شيئا قدر عليه فأراد الله عز وجل أن يسوي بين خلقه وأن يذيق الغني مس الجوع والألم ليرق على الضعيف فيرحم الجائع)[٥] .

ومن الجانب الصحي فهو ثابت في الطب القديم والحديث أن الإمساك علاج لكثير من الأمراض، فكثير من المواد الذهنية والسكرية وأنواع من الميكروبات تتراكم في

---

(١) ظ ، محمد حسين الطباطبائي، تفسير الميزان، ٨/٢، محمد حسين فضل الله، من وحي القرآن، ٢٢/٤ .
(٢) محمد الريشهري، ميزان الحكمة، ١٦٨٦/٢ .
(٣) م. ن ، ١٦٨٦/٢ .
(٤) فاضل الصفار، العبادات في الفقه الإسلامي، ص ٩٢ .
(٥) الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ٧٣/٢ .

جسم الإنسان، وتحصل الكثير من الأمراض نتيجة الإسراف في تناول الأطعمة المتنوعة المختلفة، فالإمساك أفضل طريقة لمكافحة والقضاء على هذه الأمراض المتراكمة في الجسم[١]، ولذلك قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) (صوموا تصحوا)[٢]، وقال الإمام علي (عليه السلام) (الصيام أحد الصحتين)[٣] .

وقد وردت روايات كثيرة عن رسول الله وآل بيته (عليهم السلام) في فضل الصوم منها، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (الصوم جنة من النار)[٤] .

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أيضاً (من منعه الصوم من طعام يشتهيه، كان حقا على الله أن يطعمه من طعام الجنة ويسقيه من شرابها)[٥] .

عنه (صلى الله عليه وآله) كذلل (إن للجنة بابا يدعى الريان لا يدخل منه إلا الصائمون – وإنما سمي هذا الباب الريان لان الصائم يجهده العطش أكثر مما يجهده الجوع، فإذا دخل الصائم من هذا الباب تلقاه الذي لا يعطش بعده أبدا)[٦] .

قال الإمام علي (عليه السلام) (نوم الصائم عبادة، وصمته تسبيح، ودعاؤه مستجاب، وعمله مضاعف، إن للصائم عند إفطاره دعوة لا ترد)[٧] .

فبعد ذلك يبين الله سبحانه وتعالى أيام الصيام بعد أن أردف وجوب الصوم وأكده، بقوله تعالى ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: الآية ١٨٥]، فمن شهد منكم أيها المؤمنون شهر رمضان فليبادر لامتثال أمر الله عزَّ وجلّ في أداء الصوم، ومزيَّة هذا الشهر أنه نزل فيه القرآن، الذي يفصل الصالح عن الطالح ويضمن السعادة

---

(١) ظ ، ناصر مكارم الشيرازي، تفسير الأمثل، ٣٥٤/٢- ٣٥٥ .
(٢) محمد الريشهري، ميزان الحكمة، ١٦٨٦/٢ .
(٣) م. ن، ١٦٨٦/٢ .
(٤) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ٤٠٠/١٠ .
(٥) محمد الريشهري، ميزان الحكمة، ١٦٨٦/٢ .
(٦) الصدوق، معاني الأخبار، ص٤٠٩ .
(٧) محمد الريشهري، ميزان الحكمة، ١٦٨٦/٢ .

للبشرية، يقول شيخ محمد جواد مغنية نقلاً عن صاحب مجمع البيان (لما خص الله سبحانه وتعالى الصوم بشهر رمضان، بيّن أن الحكمة في ذلك أن القرآن نزل فيه، وعليه مدار الدين والإيمان)[١] .

حيث ورد في الروايات أن كل الكتب السماوية نزلت في هذا الشهر، قال النبي (صلى الله عليه وآله) (نزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من شهر رمضان، وأنزلت التوراة لست مضين من شهر رمضان، وأنزلت الإنجيل لثلاث عشر ليلة خلت من شهر رمضان وأنزل الزبور لثماني عشرة من رمضان، وأنزل القرآن لأربع وعشرين من رمضان)[٢]، فهذا الشهر إذن شهر التربية والتعليم، من هنا يظهر أن شهر رمضان هو منهج تربويٌ تعليمي لتطهير الإنسان من كل إثم، وما على المسلمين إلا المبادرة الى تلبية النداء الإلهي في صيام شهر رمضان، وقد ألقى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في آخر جمعة من شهر شعبان، خطبة أعد فيها المسلمين للمبادرة والسعي الجاد لاستقبال شهر رمضان المبارك قال فيها (أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ قَدْ أَقْبَلَ إِلَيْكُمْ شَهْرُ اللَّهِ بِالْبَرَكَةِ وَ الرَّحْمَةِ وَ الْمَغْفِرَةِ ، شَهْرٌ هُوَ عِنْدَ اللَّهِ أَفْضَلُ الشُّهُورِ ، وَ أَيَّامُهُ أَفْضَلُ الْأَيَّامِ ، وَ لَيَالِيهِ أَفْضَلُ اللَّيَالِي ، وَ سَاعَاتُهُ أَفْضَلُ السَّاعَاتِ ، هُوَ شَهْرٌ دُعِيتُمْ فِيهِ إِلَى ضِيَافَةِ اللَّهِ ، وَ جُعِلْتُمْ فِيهِ مِنْ أَهْلِ كَرَامَةِ اللَّهِ ، أَنْفَاسُكُمْ فِيهِ تَسْبِيحٌ ، وَ نَوْمُكُمْ فِيهِ عِبَادَةٌ ، وَ عَمَلُكُمْ فِيهِ مَقْبُولٌ ، وَ دُعَاؤُكُمْ فِيهِ مُسْتَجَابٌ ، فَاسْأَلُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ بِنِيَّاتٍ صَادِقَةٍ وَ قُلُوبٍ طَاهِرَةٍ أَنْ يُوَفِّقَكُمْ لِصِيَامِهِ وَ تِلَاوَةِ كِتَابِهِ ، فَإِنَّ الشَّقِيَّ مَنْ حُرِمَ غُفْرَانَ اللَّهِ فِي هَذَا الشَّهْرِ الْعَظِيمِ ، وَ اذْكُرُوا بِجُوعِكُمْ وَ عَطَشِكُمْ فِيهِ جُوعَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَ عَطَشَهُ ، وَ تَصَدَّقُوا عَلَى فُقَرَائِكُمْ وَ مَسَاكِينِكُمْ ، وَ وَقِّرُوا كِبَارَكُمْ ، وَ ارْحَمُوا صِغَارَكُمْ ، وَ صِلُوا أَرْحَامَكُمْ ، وَ احْفَظُوا أَلْسِنَتَكُمْ ، وَ غُضُّوا عَمَّا لَا يَحِلُّ النَّظَرُ إِلَيْهِ أَبْصَارَكُمْ ، وَ عَمَّا لَا يَحِلُّ الِاسْتِمَاعُ إِلَيْهِ أَسْمَاعَكُمْ ، وَ تَحَنَّنُوا عَلَى أَيْتَامِ النَّاسِ يُتَحَنَّنْ عَلَى أَيْتَامِكُمْ ، وَ تُوبُوا إِلَى اللَّهِ مِنْ ذُنُوبِكُمْ ، وَ ارْفَعُوا إِلَيْهِ أَيْدِيَكُمْ بِالدُّعَاءِ فِي أَوْقَاتِ صَلَاتِكُمْ ، فَإِنَّهَا أَفْضَلُ السَّاعَاتِ

(١) محمد جواد مغنية، تفسير الكاشف، ١/ ٢٨٣، ظ ، الطبرسي، مجمع البيان، ١٢/٢ .
(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ٩٤/ ٢٥ .

يَنْظُرُ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ فِيهَا بِالرَّحْمَةِ إِلَى عِبَادِهِ ، يُجِيبُهُمْ إِذَا نَاجَوْهُ ، وَ يُلَبِّيهِمْ إِذَا نَادَوْهُ ، وَ يُعْطِيهِمْ إِذَا سَأَلُوهُ ، وَ يَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِذَا دَعَوْهُ)[1] .

من هنا يتبين عظمة شهر رمضان؛ لأن فيه الرحمة والمغفرة والثواب عن كل جزئية يعملها الإنسان المسلم فيه، وبذلك نلمس اهتمام النبي (صلى الله عليه وآله) في خطبته فيما يتعلق بمعالم الرحمة والمغفرة والثواب النازل في هذا الشهر، رأفةً منه سبحانه بعبارة فضلاً عن تمييز هذا الشهر بليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، ومضاعفة الثواب عن كل صغير كان أم كبير فكل هذه الامتيازات الإلهية تتجلى عنها عظمة شهر رمضان وفضل صومه .

(1) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ٣١٣/١٠ .

المبحث الثالث: المبادرة في نطاق آيات الزكاة:

الزكاة لغةً: النَّمَاءُ وَالزِيَادَةُ وَالطَّهَارَةُ[١]، وفي مفردات الراغب الأصفهاني (هو النمو الحاصل عن بركة الله تعالى)[٢] .

الزكاة اصطلاحاً: يعرفه الجرجاني (عبارة عن إيجاب طائفة من المال في مالٍ مخصوص لمالك مخصوص)[٣] .

ويعرفه محمود الهاشمي (يطلق الزكاة في الفقه على الواجب والحق المالي الشرعي المتعلق بالأموال الخاصة ضمن شروط خاصة)[٤] .

وتعرف أيضا بأنها هي (التعبد لله تعالى بإخراج حق واجب مخصوص شرعاً، من مال مخصوص، في وقت مخصوص، لطائفة مخصوصة، بشروط مخصوصة)[٥] .

و قد تسمى الزكاة صدقةً في القرآن الكريم .

قال تعالى ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: الآية ١٠٣] .

قال تعالى ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ [التوبة: الآية ٥٨] .

قال تعالى ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [التوبة: الآية ٦٠] .

والصدقة : (هي العطية التي تبتغى بها مثوبة من الله تعالى)[٦] .

---

(١) ظ ، ابن فارس، مقاييس اللغة، ج١٧/٣ .
(٢) مفردات الراغب الأصفهاني مع ملاحظات العاملي، ص ٣٦٧ .
(٣) الجرجاني، التعريفات، ص ٩٩ .
(٤) محمود الهاشمي، بحوث في الفقه كتاب الزكاة، ٩/١ .
(٥) د . سعيد علي وهف القحطاني، الزكاة في الاسلام، ص ٨ .
(٦) الجرجاني، التعريفات، ص١١٣ .

ويرى الراغب الأصفهاني أن (الصدقة ما يخرجه الإنسان من ماله على وجه القربة، كالزكاة، لكن الصدقة في الأصل تقال للمتطوع به، والزكاة للواجب، وقد يسمى الواجب صدقة إذا تحرى صاحبها الصدق في فعله)[١] .

فيتبين من التعريف أن الصدقة نوعان:

النوع الأول: صدقة التطوع .

النوع الثاني: صدقة الفرض، وهي الزكاة، ووجوبها ثابت في الكتاب والسنة والإجماع، وهي من المسلمات بين المسلمين .

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) (إن الله تبارك وتعالى قد فرض عليكم الزكاة كما فرض عليكم الصلاة)[٢]، وبما أن الزكاة فرض واجب من المولى عزَّ وجلّ كسائر العبادات، وهي إحدى التشريعات التي جعلها الإسلام لسدّ فراغ الفقر والمصالح العامة، فتجب المبادرة بطاعة الله عزَّ وجلّ وتنفيد أمره، لإخراج المقدار المخصص لها وإعطائها لمستحقيها .

هي فرض على الأغنياء من الناس، قال الإمام علي (عليه السلام) (إن الله فرض على أغنياء الناس في أموالهم قدر الذي يسع فقراءهم فإن ضاع الفقير، أو أجهد، أو عرى فبما يمنع الغني وإن الله عز وجل محاسب الأغنياء في ذلك يوم القيامة ومعذبهم عذابا أليما)[٣]، عن معتب مولى الصادق (عليه السلام) قال: قال الصادق (عليه السلام) (إنما وضعت الزكاة اختبارا للأغنياء ومعونة للفقراء، ولو أن الناس أدوا زكاة أموالهم ما بقي مسلم فقيرا محتاجا، ولاستغنى بما فرض الله عز وجل له، وإن الناس ما افتقروا، ولا احتاجوا، ولا جاعوا، ولا عروا إلا بذنوب الأغنياء)[٤] .

---

(١) مفردات الراغب الأصفهاني مع ملاحظات العاملي، ص ٤٤٣ .
(٢) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ٥٣/٩ .
(٣) م. ن، ٥٣/٩ .
(٤) محمد الريشهري، ميزان الحكمة، ١١٤٧/٢ .

(وأن الله تعالى فرض في أموال الأغنياء صدقة لمواساة الفقراء ومن في معناهم وإقامة المصالح العامة، والفائدة فيها للأغنياء تطهير أنفسهم من رذيلة البخل، وتزكيتها بفضائل الرحمة بالفقراء وسائر أصناف المستحقين، ومساعدة الدولة والأمة في إقامة المصالح العامة الأخرى، والفائدة للفقراء إعانتهم على نوائب الدهر، وسداً لذريعة الفساد في تضخم الأموال، وحصرها في أناس معدودين)[١] .

فعن الإمام علي ابن موسى الرضا (عليه السلام) (إن علة الزكاة من أجل قوت الفقراء، وتحصين أموال الأغنياء لان الله عز وجل كلف أهل الصحة القيام بشأن أهل الزمانة والبلوى كما قال الله تبارك وتعالى: " لتبلون في أموالكم وأنفسكم " في أموالكم إخراج الزكاة وفي أنفسكم توطين الا نفس على الصبر مع ما في ذلك من أداء شكر نعم الله عز وجل والطمع في الزيادة مع ما فيه من الزيادة والرأفة والرحمة لأهل الضعف، والعطف على أهل المسكنة، والحث لهم على المواساة، وتقوية الفقراء، والمعونة لهم على أمر الدين، وهو عظة لأهل الغنى وعبرة لهم ليستدلوا على فقراء الآخرة بهم ومالهم من الحث في ذلك على الشكر لله - تبارك وتعالى - لما خولهم وأعطاهم، والدعاء والتضرع والخوف من أن يصيروا مثلهم في أمور كثيرة في أداء الزكاة)[٢] .

للزكاة أهمية استثنائية في الشريعة الإسلامية، باعتبارها أحد الأدوات الرئيسية في محاربة الفقر والحرمان، ووسيلة لتحقيق العدالة الاجتماعية وملء الفواصل الطبقية، وتطهير النفس من حب الدنيا وحب المال، وهي الوسيلة الفضلى والمثلى للتقرب الى الله سبحانه وتعالى، وبتطبيق هذه الفريضة الإلهية وأدائها، ستقتلع كل المفاسد الاجتماعية والانحطاط الخلقي والاجتماعي المتولد من الفقر والتفاوت الطبقي[٣] .

وهي من التشريعات الإلهية القديمة فقد أوجب الله تعالى في شرائع من كان قبلنا، فقال عز وجل ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا

(١) د. عبدالله أكرزام، الفكر المقاصدي في تفسير المنار، ص٣١٧ .
(٢) الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ٨/٢ .
(٣) ظ ، ناصر مكارم الشيرازي، تفسير الأمثل، ١٢/ ١٣٢ .

وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾ [البقرة: الآية٨٣]، وقال سبحانه وتعالى ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: الآية ٧٣]، ومنها قوله تعالى في قول نبي الله عيسى (عليه السلام) ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم: الآية ٣١] وقصة نبي الله إسماعيل (عليه السلام) قال تعالى ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ۝ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ [مريم: الآية ٥٤-٥٥] .

لما فيه من فوائد تطهير النفس من أرجاس البخل، والشح، والحرص، والجشع، والقسوة، ولهذا أولى الإسلام اهتماماً خاصاً للزكاة، لما تعود على المجتمع الإنساني بالطهارة والنمو من جهتين (الأولى: أنها توجب طهارة المجتمع الأغنياء والفقراء، وتزيد من تعاطفهم وتآصرهم، والثانية: أنها توجب نمو المجتمع وتقدمه، لأن التكافل بين أبناء المجتمع كفيل بسد حاجاته، وإذا انسدت الحاجات الأساسية للناس أخذوا بالتقدم والنمو)[1] .

وللزكاة منزلة عظيمة في الشريعة الإسلامية، إذ تعد الفريضة من مباني الإسلام وأركانه، كما في قوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: الآية ٣]، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال (بني الاسلام على خمس: على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية)[2]، وعن عجلان أبي صالح قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) أوقفني على حدود الايمان، فقال (شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله والاقرار بما

(1) فاضل الصفار، العبادات في الفقه الإسلامي، ص ١٢٨-١٢٩ .
(2) الكليني، الكافي، ١٨/٢ .

جاء به من عند الله وصلاة الخمس وأداء الزكاة وصوم شهر رمضان وحج البيت وولاية ولينا وعداوة عدونا والدخول مع الصادقين)[1] .

ولعظمة شأنها قرن الله عزَّ وجلّ الزكاة من الناحية التشريعية بالصلاة في مواضع كثيرة في القرآن الكريم؛ لأنهما أعظم شرائع الإسلام، وأعظم أركان العبادة النفسية والمالية لذا قرنهما في النصوص، كقوله تعالى ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ و ﴿ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ﴾ وغيرها من الآيات مجموعها ما يقارب ستاً وعشرين[2]، عن أبي جعفر عليه السلام قال (إن الله تبارك وتعالى قرن الزكاة بالصلاة فقال: " أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة " فمن أقام الصلاة ولم يؤت الزكاة فكأنه لم يقم الصلاة)[3]، فمن أتى بهذين الركنين كاملةً سهُلَ عليه كل عمل صالح.

إذ امتدح واثنى الله تعالى على القائمين بالزكاة في كتابه العزيز، قال تعالى ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ [النور: الآية ٣٧] .

فإيتاء الزكاة، هو آية الإيمان، وتركها آية للنفاق والكفر والشرك، حيث ذم الله عزّ وجلّ وبيَّن عقوبة تارك الزكاة، في قوله تعالى ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝ الَّذِينَ لا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ [فصلت: الآية ٧] وقوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: الآية ٣٤-٣٥] .

---

(1) الكليني، الكافي، ١٨/٢ .

(2) ظ ، سورة البقرة: ٣٤، ٨٣، ١١٠، ١١٧، ٢٧٧، سورة النساء: ٧٧، ١٦٢، سورة المائدة: ١٢، ٥٥، سورة التوبة: ٥، ١١، ١٨، ٧١، سورة مريم: ٣١، ٥٥، سورة الأنبياء: ٧٣، سورة الحج: ٤١، ٧٨، سورة النور: ٣٧، ٥٦، سورة النمل: ٣، سورة لقمان: ٤، سورة الأحزاب: ٣٣، سورة المجادلة: ١٣، سورة المزمل، ٢٠ .

(3) الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ١٠/٢ .

وكما ورد عن الصادق عن آبائه (عليهم السلام) التشديد على مانع الزكاة في وصية النبي (صلى الله عليه وآله) لعلي (عليه السلام) قال (يا علي كفر بالله العظيم من هذه الأمة عشرة وعد منهم مانع الزكاة، ثم قال: يا علي ثمانية لا يقبل الله منهم الصلاة وعد منهم مانع الزكاة، ثم قال: يا علي من منع قيراطا من زكاة ماله فليس بمؤمن ولا بمسلم ولا كرامة، يا علي تارك الزكاة يسأل الله الرجعة إلى الدنيا وذلك قوله عز وجل: حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون)[١]، وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (من منع قيراطا من الزكاة فليمت إن شاء يهوديا أو نصرانيا)[٢] .

وبما أن الأموال التي في أيدي الناس ليس ملكاً لهم، إنما هي ملك لله عزَّ وجلّ، والإنسان أمين عليها، وهو مأذون بالتصرف فيها ضمن حدود معينة لا يجوز أن يتعداها[٣]، لذا لا يجب البخل والامتناع عن دفع الزكاة، وخاصة أن يوم القيام ميدان تجسيم الأعمال، لذا ورد حال من يمتنع عن الزكاة، بما كان يظن أن اكتناز الأموال في الدنيا وعدم صرف الحقوق الواجبة عليه، خيراً له من الإنفاق والعطاء، ففي قول الله عزَّ وجلّ وصف لمصير البخلاء، الذين يبذلون غاية الجهد في جمع المال والثروة ثم يمتنعون عن الإنفاق في سبيل الله، ولصالح عباده، قال ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آل عمران: الآية ١٨٠]، والبخل (أن يمنع الإنسان الحق الواجب عليه، فأما من منع ما لا يجب عليه فليس ببخيل)[٤]، وإن لم تتعرض الآية صراحةً لذكر الزكاة، إلا أن الأحاديث الواردة عن أهل البيت وكذا أقوال المفسرين خصصت هذه الآية وما فيها من الوعيد، بمانعي دفع الزكاة، كون أمثال هذا التشديد والتغليظ لا يتناسب مع

(١) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ١٩/٦ .
(٢) الكليني، الكافي، ٥٠٥/٣ .
(٣) ظ ، محمد جواد مغنية، تفسير الكاشف، ٢١٧/٢ .
(٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٤٤٠/٥ .

الإنفاق المندوب المستحب[1]، ففي تفسير العياشي عن الإمام الباقر (عليه السلام) (الذي يمنع الزكاة يحول الله ماله يوم القيمة شجاعاً من نار... فيطوقه إياه ثم يقال له ألزمه كما لزمك في الدنيا، وهو قول الله " سيطوقون ما بخلوا به ")[2] .

ومن صفات المؤمنين التي تتوافر فيهم شروط الإيمان، منها دفع الزكاة المستحقة في أموالهم الى الفقراء والمحتاجين لرفع العوز عنهم :

قال تعالى ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: الآية ٧١] .

قال تعالى ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [النمل: الآية ٣] .

قال تعالى ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [البقرة: الآية ٣] .

قال تعالى ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: الآية ١٧٧] .

قال تعالى ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [البقرة: الآية ٥٥]، هذه الآية وإن كانت نازلة بحق الإمام علي (عليه السلام) فهو يمثل رمز الإيمان والواجب على المؤمنين الاقتداء به والعمل بحذوه في دفع الزكاة لمن يستحقها أو قد يطلبها .

---

(1) ظ، ناصر مكارم الشيرازي، تفسير الأمثل، ٤٢٨/٤ .
(2) العياشي، تفسير العياشي، ٢٠٨/١ .

قال تعالى ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۝ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: الآية ٣-٤] .

قال تعالى ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة: الآية ١٨] .

وهي كذلك من صفات المحسنين ﴿الٓمٓ ۝ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ۝ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّلۡمُحۡسِنِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾ [لقمان: الآية ١- ٤] .

وهذه الآيات والروايات الواردة في أهمية الزكاة كفريضة إسلامية تؤكد على المبادرة للقيام بها؛ لأنها الوسيلة المثلى للتقرب الى الله سبحانه وتعالى، بمحاربة الفقر والمحرومية، وملء الفواصل الطبقية، وتحقيق العدالة الاجتماعية، وتطهير النفس من حب الدنيا وحب المال، فالأجدر للإنسان أن يبادر للانتفاع من أثار الزكاة المعنوية، لا أن يتحمل وزرها وعنائها، وحسرتها وتبعاتها .

المبحث الرابع: المبادرة في نطاق آيات الحج :

يعد الحج من أركان الإسلام كما ورد في الأحاديث، وهو من أهم الواجبات الالهية وربما أعظمها وأفضلها، لأنه تكليف شاقٌ جامع بين كسر النفس وإتعاب البدن وصرف المال والتجرد عن الشهوات والإقبال على الله[١] .

فالحج لغة: هو القصد[٢] .

الحج إصطلاحاً: (قصد لبيت الله تعالى بصفة مخصوصة في وقت مخصوص بشرائط مخصوصة)[٣] .

وهو فريضة واجبة في الكتاب والسنة والاجماع ولا خلاف فيه، وهو من ضروريات الدين، ومما يدل على وجوبه، قوله تعالى ﴿وَلِلَّـهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: الآية ٩٧]، إذ جعل الله سبحانه وتعالى الحج واجب عيني في ذمة المستطيع من الناس[٤]، إذ يقول القرطبي (اللام في قوله (ولله) لام الإيجاب والإلزام، ثم أكده تعالى بـ (على) التي هي أوكد ألفاظ الوجوب عند العرب، فإذا قال العربي: لفلان عليّ كذا، فقد وكده وأوجبه، فذكر الله تعالى الحج بأوكد ألفاظ الوجوب تأكيداً لحقه وتعظيماً لحرمته)[٥]، وفي قوله تعالى ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: الآية ١٩٦]، (ووجوب الاتمام يدل على أنه واجب)[٦]، وجاء في الحديث عن الفضل أبي العباس، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿وأتموا الحج والعمرة لله﴾ (قال هما مفروضان)[٧] .

---

(١) ظ، السيوري، العرفان في فقه القران، ٢٥٧/١ .
(٢) ظ، ابن فارس، مقاييس اللغة، ٢٩/٢ .
(٣) الجرجاني، التعريفات، ص٧٣ .
(٤) جعفر السبحاني، الحج في الشريعة الاسلامية الغراء، ٢٠/١ .
(٥) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ص٥ .
(٦) قطب الدين الراوندي، فقه القرآن، ٢٦٣/١ .
(٧) الحر العاملي، وسائل الشيعة ج ١١ ص٢٥ .

فمع تحقق شروط المستطاع للحج، يكون الوجوب فوري وبذلك يجب المبادرة على أدائه صوناً للذمة عن الاشتغال[١]، قال النبي محمد (صلى الله عليه وآله) (من مات ولم يحج فلا عليه أن يموت يهوديا أو نصرانيا)[٢] .

حيث وردت في الروايات أن حال من سوّفَ الحج وهو مستطيع، عن صفوان بن يحيى، عن ذريح المحاربي، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال (من مات ولم يحج حجة الاسلام لم يمنعه من ذلك حاجة تجحف به أو مرض لا يطيق فيه الحج أو سلطان يمنعه فليمت يهوديا أو نصرانيا)[٣] .

عن أبي بصير قال سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن قول الله عز وجل ﴿ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا﴾ فقال (ذلك الذي يسوف نفسه الحج يعني حجة الاسلام حتى يأتيه الموت)[٤]، عن زيد الشحام قال. قلت لأبي لأبي عبد الله (عليه السلام) (التاجر يسوف نفسه الحج؟ قال ليس له عذر وإن مات فقد ترك شريعة من شرائع الاسلام)[٥] .

مما يدل على أهمية تشريع الحج ومكانته وعظمته في الأديان والشرائع السماوية، أنه وقع في ثلاث مرات. الأولى: بعد هبوط آدم (عليه السلام)، والثاني: في زمان نبي الله ابراهيم (عليه السلام) والثالث: في زمان رسول الله (صلى الله عليه وآله) مما يستفاد من الآيات والروايات الواردة في تشريع الحج[٦]، حيث سُئل أبو عبد الله (عليه السلام) عن البيت أكان يُحج قبل أن يبعث النبي (صلى الله عليه وآله) قال (عليه السلام) (نعم، وتصديقه في القرآن قول شعيب حين قال لموسى حيث تزوج: على أن تأجرني ثماني حجج، ولم يقل ثماني سنين، وإن آدم ونوحا حجا وسليمان

---

(١) ظ، مرتضى الأنصاري، كتاب الحج، ٧/١ .
(٢) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ٢١/٨ .
(٣) الكليني، الكافي، ٢٦٨/٤ .
(٤) م، ن، ٢٦٩/٤ .
(٥) م. ن ، ٢٦٩/٤ .
(٦) فاضل الصفار، العبادات في الفقه الإسلامي، ص ١٦٧ .

بن داود قد حج البيت بالجن والانس والطير والريح وحج موسى على جمل أحمر يقول: لبيك لبيك ...)[1] .

وكذلك من خلال بعض الآيات الواردة في القرآن نفهم أن بيت الله – الكعبة – كان قائماً منذ زمن آدم (عليه السلام)، أي كان موجوداً قبل نبي الله ابراهيم (عليه السلام) في حين جاء بزوجته وطفله الرضيع اسماعيل ليسكنهم في المكة كان لبيت الكعبة نوع من الوجود، كما في قوله تعالى على لسان ابراهيم (عليه السلام) ﴿ رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ﴾ [ابراهيم: الآية ٣٧]، لأنها أقدم بقعة وأول بيت عبادي شُيّد وأُقيم للناس على الأرض لأغراض العبادة والدعاء[2] قال تعالى ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: الآية ٩٦]، ويقول صاحب تفسير الأمثل (القرائن القرآنية والروائية تؤيد أن الكعبة بنيت أولاً بيد آدم، ثم انهدمت في طوفان نوح، ثم أُعيد بنائها على يد إبرهيم واسماعيل)[3]، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: الآية ١٢٧] وهذا مما يدل على أن للحج أهمية ومكانة عظيمة في التشريع الإلهي بين الأديان السماوية كذلك للحج في أهميته منافع متعددة في الحياة الإنسانية كونها من أهم عناصر القوة والتقدم لدى الأمم والشعوب وفي ابعاد متعددة منها، البعد الشخصي الديني المعرفي حيث يرتقي الحاج معنوياً وتتجلى فيه مظاهر العبودية والتسليم والترويض في الطاعة بترك القبائح وفعل المحاسن، وكذلك لما فيه من آثار تزيد في إيمان المسلمين، والبعد السياسي والاجتماعي والاقتصادي، لما فيه من التلاحم بين المسلمين ووحدة كلمتهم على عبادة ربهم، وما فيه من تعارف ومعرفة أحوال الأمم والشعوب، وكذلك ما فيه من تبادل تجاري وبركات ومنافع أخرى[4]، قال الإمام علي بن الحسين(عليهما السلام) (حجوا واعتمروا تصح أبدانكم وتتسع أرزاقكم

(1) المجلسي، بحار الأنوار، ٦٤/٩٦ .
(2) محسن قرائتي، تفسير النور، ٥٤٢/١ .
(3) ناصر مكارم الشيرازي، تفسير الأمثل، ٢٦٣/١ .
(4) ظ ، فاضل الصفار، العبادات في الفقه الاسلامي، ص١٦٤ .

وتكفون مؤونات عيالكم)[١]، وقال (عليه السلام) (الحاج مغفور له وموجوب له الجنة ومستأنف له العمل ومحفوظ في أهله وماله)[٢] .

وفي خطبة لأمير المؤمنين علي (عليه السلام) قال (وفرض عليكم حج بيته الحرام الذي جعله قبلة للأنام، يردونه ورود الانعام ويألهون إليه وله الحمام، جعله سبحانه علامة لتواضعكم لعظمته، واذعانكم لعزته، وأختار من خلقه سماعاً اجابوا اليه دعوته وصدقوا كلمته، و وقفوا مواقف انبيائه، وتشبهوا بملائكته المطوفين بعرشه، يحرزون الارباح في متجر عبادته ويتبادرون عند موعد مغفرته، جعله سبحانه وتعالى للإسلام علماء وللعائذين حرماً، فرض حجه، وأوجب حقه، وكتب عليكم وفادته فقال سبحانه، ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلاً)[٣] .

من هنا يتبين أهمية الحج وعظمته التي نلمس ذلك في خطبة الامام علي (عليه السلام) إذ يوضح فيه المعنى السامي والهدف الرفيع الذي من أجله فرض الله عز وجل على العباد هذه الفريضة العظيمة ليبادروا بالارتقاء في الجانب المعنوي من حياتهم .

---

(١) الكليني، الكافي، ٢٥٢/٤ .
(٢) م. ن، ٢٥٢/٤ .
(٣) نهج البلاغة، ٢٧/١ .

المبحث الخامس: المبادرة في نطاق آيات الجهاد في سبيل الله :

الجهاد لغةً: الجُهْد، بمعنى الوسع، أي استفراغ الوسع في مدافعة ومحاربة العدو، والمجاهدة تكون باليد واللسان[١]، قال (صلى الله عليه وآله) (جاهدوا الكفار بأيديكم وألسنتك)[٢] .

والجهاد إصطلاحاً: (بذل الجهد لقتال الكفار)[٣] .

وقيل (الجهاد بالمقاتلة في سبيل الله لإعلاء كلمة الله واعزاز الدين واذلال المشركين)[٤] .

ويعرفه الجرجاني: (هو الدعاء الى الدِّين الحق)[٥] .

للجهاد في الإسلام أهمية استثنائية، إذ يُعد ركن من أركان الإسلام الأساسية التي قام عليها الدين، ولولاه ما قام للدين عمود، وما إخضرَّ للإسلام عود، وقد أشار رسول الله (صلى الله عليه وآله) الى أهميته وضرورته، إذ أن توفر النظام العادل والراحة والأمن والخير، ينال المسلمون العزة والكرامة لأنفسهم وبلدانهم إلا بإقامة فريضة الجهاد بكل أبعادها فقال (صلى الله عليه وآله) (الخير كله في السيف وتحت ظل السيف ولا يقيم الناس إلا السيف والسيوف مقاليد الجنة والنار)[٦]، وعن الإمام محمد الباقر (عليه السلام) قال (الخير كله معقود في نواصي الخيل إلى يوم القيامة)[٧]، من هنا نلحظ دواعي تشريع الجهاد وفرضه من الله عز وجل قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ﴾ [التوبة: الآية ٣٧]، فالنَّفْر وأثاقلتم، الأولى تعني التنقُّل بسرعة من مكان الى مكان لأمرٍ يحدث، والثانية بمعنى

(١) ظ، الراغب الأصفهاني، مفردات غريب القرآن، ١٠١، ابن منظور، لسان العرب،١٣٥/٣.
(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ٣٧٠/٦٥ .
(٣) القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً الدكتور سعدي أبو جيب، ص٧١ .
(٤) قطب الدين الراوندي، فقه القرآن، ٣٢٨/١ .
(٥) الجرجاني، التعريفات، ص٧٢ .
(٦) الكليني، الكافي، ٢/٥ .
(٧) م. ن، ٤٨/٥ .

الميل والإخلاد[١]، ففي هذه الآية عتاب وتوبيخ على القعود في المبادرة الى الخروج للحرب والجهاد في سبيل الله، وعدم التثقال الى الدعة والراحة[٢] .

فقال مولى المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) (بادروا جهاد عدوكم)[٣] ومن خطبة له (عليه السلام) (فإن الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه وهو لباس التقوى ودرع الله الحصينة وجنته الوثيقة، فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل وشملة البلاء. وديث* بالصغار والقماءة * وضرب على قلبه بالإسهاب* وأديل* الحق منه بتضييع الجهاد وسيم* الخسف ومنع النصف*. ألا وإني قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلا ونهارا، وسرا وإعلانا، وقلت لكم اغزوهم قبل أن يغزوكم، فوالله ما غزي قوم في عقر دارهم إلا ذلوا فتواكلتم وتخاذلتم حتى شنت الغارات عليكم وملكت عليكم الأوطان)[٤] .

فالجهاد واجب بالنص والإجماع[٥] في زمان دون زمان لقوله تعالى ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: الآية ٥]، في حال بدأ المعتدي بالقتال فيجب الدفاع حينها، لقوله تعالى ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: الآية ١٩٤] .

وفي مكان دون مكان إلا المسجد الحرام، لقوله تعالى ﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ﴾ [البقرة: الآية ١٩١]، إلا أنه فرض

---

(١) ظ ، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٢٠٦/١٠، الزمخشري، الكشاف، ٢٦٢/٢ .
(٢) ظ ، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٠/ ٢٠٧ .
(٣) نهج البلاغة، ٣/٣ .
(٤) م، ن، ٦٨/١ .
* ديث: ذلّل، الصغار: الذل والضيم، القماءة: الذل والصغار، الإسهاب: ذهاب العقل أو كثرة الكلام، أديل: من الإدالة وهي الغلبة، سيم: من سامه خسفاً أي كلفه و أولاه ، الخسف: الذل والمشقة، النصف: الانصاف والعدل، عباس علي الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٢١٨/١.
(٥) ظ، العلامة الحلي، تذكرة الفقهاء، ٧/٩ .

كفاية بإجماع المفسرين، وقد يصير واجباً على الأعيان بحسب الأحوال المقتضية[١] .

قال تعالى ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ [الحج: الآية ٧٨]، فرض الله سبحانه وتعالى وأوجب الجهاد، بما في الجهاد إحدى الحسنيين، إما الظفر والغنيمة أو الشهادة والجنة[٢]، والهدف من الجهاد الحفاظ على سلامة الدين وإقامة مبادئه وأسسه وإعلاء كلمة التوحيد، والدفاع عن الوطن والنفس والعرض والكرامة والمال، فالدفاع عن الدين والذود عن حياضه يأتيان في المرتبة الأولى وعلى رأس الأولويات الإسلامية، فلا وجود للأمور الأخرى إلا في ظل الحفاظ على سلامة الدين، قال تعالى ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: الآية ٧٤]، وقيّد الهدف من القتال (فِي سَبِيلِ اللَّهِ) لأجل إحياء كلمة الإسلام وإبطال الباطل، (لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الظالمين السفلى)[٣]، في سبيل نشر أحكام الله والحق والعدالة، واقتلاع جدور الظلم والفساد والانحراف[٤]، وعلى طول الزمن هناك جبهتان، هما جبهة أهل الإيمان وجبهة أهل الكفر، فالذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله في إحياء كلمة الله، والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت، قال تعالى ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: الآية ٧٦] .

وضرب الله تعالى مثلاً للمسلمين مواصفات أتباع الأنبياء السابقين، للاعتبار بهم، لأن الجهاد لم يقتصر على إمة الإسلام فقط بل كان موجوداً في الشرائع السابقة، قال تعالى ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦]، إذ نلحظ من

(١) ظ، الطبرسي، مجمع البيان، ٦٠/٢، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن الكريم، ٤١٦/٣، السيوري، كنز العرفان، ٣٤١/١- ٣٤٢ .
(٢) ظ، الطهراني، مقتنيات الدرر، ٧٤/٢ .
(٣) نهج البلاغة، الحكمة ٣٧٣ .
(٤) ظ، عبدالله الجوادي الآملي، تسنيم في تفسير القرآن الكريم، ٦٥٥/٩ .

مضمون الآية الكريمة اقتران تاريخ الأنبياء والرسل والمؤمنين بالنضال والكفاح ضد أعداء الدين الحق في سبيل الله، يقول السيد محمد تقي المدرسي (والحرب ليست بدعة في تاريخ الرسالة. إنها كانت قديماً وكان المقاتلون الرساليون هم أبرز من دخل المعارك، فما كان يصيبهم وهن نفسي، ولا ضعف بدني، ولا كسل، إنما كانوا مطمئنين قلبياً، أقويا نشطين حربياً، وصابرين على البأس، فأحبهم الله وجزاهم النصر في الدنيا، والجنة في الأخرة)[1]، فهذا الآية بمثابة حث المسلمين على الاقتداء بالرسل وأتباعهم المؤمنين الصادقين في التضحية والثبات .

فقد مرت الدعوة الى الجهاد في الإسلام بلحاظ عامل الزمان والمكان، بمنهج تدريجي على مراحل عديدة[2] وهي:

المرحلة الاولى: هي مرحلة كف الأيدي عن المواجهة مع قريش والرد بالمثل والدفاع عن النفس، في قوله تعالى ﴿كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [النساء: الآية ٧٧]

المرحلة الثانية: الإذن بالدفاع، قال تعالى ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: الآية ٣٩] .

المرحلة الثالثة: تشريع القتال الدفاعي والأمر بالمواجهة والتصدي، قال تعالى ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠ الآية] .

المرحلة الرابعة: الأمر ببدء الجهاد وقتال الأعداء، قال تعالى ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: الآية ٢١٦] .

المرحلة الخامسة: التحريض والتأنيب والتهديد: قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم

(1) ظ، محمد تقي المدرسي، من هدى القرآن، ٤٦٧/١ .
(2) ظ، أبو ميثم الشيب، الجهاد تقريراً لبحث آية الله محمد مهدي الآصفي، ص ١٨ .

مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [الأنفال: الآية ٦٥] ، وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ۝ إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [التوبة: الآية ٣٨- ٣٩]، فهذا توبيخ من الباري عز وجل لمن ترك الجهاد حين يدعون إليه لإثارهم نحوه .

المرحلة السادسة: النفير العام ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: الآية ٤١] .

وللجهاد أربعة أهداف ومهمات أساسية يبينها القرآن الكريم[١] وهي:

١- الدفاع عن معاقل التوحيد: قال تعالى ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [الحج: الآية ٤٠] . الآية الكريمة تحمل المسلمين مسؤولية الدفاع عن الدين ومواجهة العدوان حتى في الأشهر الحرم (فتقول الآية الشهر الحرام بالشهر الحرام أي أن الأعداء لو كسروا حرمة واحترام هذه الأشهر الحرم وقاتلوكم فيها فلكم الحق أيضا في المقابلة بالمثل، لأن والحرمات قصاص)[٢] .

٢- الدفاع عن المستضعفين: قال تعالى ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ [النساء: الآية ٧٥]، ففي هذه الآية يحثُّ الباري عزَّ وجلّ المسلمين على الجهاد (لتخليص المستضعفين من أيدي الكفرة المشركين الذين يسومونهم سوء العذاب، ويفتنونهم

(١) ظ، أبو ميثم الشيب، الجهاد تقريراً لبحث آية الله محمد مهدي الآصفي، ص٢١ .
(٢) ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل، ٣٢/٢ .

عن الدين، فأوجب تعالى الجهاد لإعلاء كلمته وإظهار دينه واستنقاذ المؤمنين الضعفاء من عباده، وإن كان في ذلك تلف النفوس)[١] .

٣- إزالة حالة الافتتان والعقبات عن طريق الدعوة الى التوحيد: قال تعالى ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الأنفال: الآية ٣٩]، (أيها المسلمون قاتلوا الكفار - إذ لم ينتهوا عن الكفر ويعودوا إلى الإيمان - وعمم في الخطاب الزيادة ترغيب المؤمنين ولأنهم المباشرون للقتال، ثم بين هدف القتال - حتى لا تكون فتنة - حتى لا يبقى شرك أو كفر أو لا يبقى من يشكك المؤمنين في دينهم أو يقهرهم بالتهجير والتبعيد ليعودوا عما آمنوا به ويكون الدين كله لله ليس هناك دين غيره يتعبد به الناس أو يتدينون به)[٢]، وفي تفسير العياشي (عَنْ زُرَارَةَ، قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ(عَلَيْهِ السَّلاَمُ): سُئِلَ أَبِي عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ: وَ قٰاتِلُوهُمْ حَتّٰى لاٰ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَ يَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّٰهِ ،فَقَالَ: إِنَّهُ لَمْ يَجِيءْ تَأْوِيلُ هَذِهِ الْآيَةِ، وَلَوْ قَدْ قَامَ قَائِمُنَا بَعْدُ، سَيَرَى مَنْ يُدْرِكُهُ مَا يَكُونُ مِنْ تَأْوِيلِ هَذِهِ الْآيَةِ، وَلَيَبْلُغَنَّ دِينُ مُحَمَّدٍ(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ)مَا بَلَغَ اللَّيْلُ حَتَّى لاَ يَكُونَ شِرْكٌ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ كَمَا قَالَ اللَّهُ)[٣] .

٤- الدفاع عن المجتمع البشري: قال تعالى ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: الآية ٢٥١]، ففي تفسير الآية يقول السيد محمد تقي المدرسي (لقد بين القرآن الحكيم في مناسبات عديدة فلسفة الجهاد وأبرز أهدافها... حيث يهيئ من عباده المؤمنين أمة رسالية تقوم بالدفاع عن مبادئ الله المتمثلة في الحق والعدالة والحرية ومختلف المبادئ والقيم، وتحارب كل من تسوّل له نفسه بالظلم والجور والاستعباد وتنقذ الناس منه. إن هذا فضل كبير على الناس، ولولا هذه الأمة إذن لأصبحت الحياة البشرية أسوأ من حياة الغاب يأكل

(١) القرطبي، تفسير القرطبي، ٥/ ٢٧٩ .
(٢) عباس علي الموسوي، الواضح في التفسير، ٦/ ٤٥٨ .
(٣) العياشي، تفسير العياشي، ٥٦/٢ .

فيها القوي الضعيف ويأكل الضعيف من هو اضعف منه، ويعيش الناس الخوف والفقر والحرمان)[١] .

وهناك أهداف أخرى للجهاد في كلام مولى المتقين علي بن أبي طالب (عليه السلام) حيث قال (اللهم إنك تعلم أنه لم يكن الذي كان منا منافسة في سلطان ولا التماس شئ من فضول الحطام، ولكن لنرد المعالم من دينك، ونظهر الإصلاح في بلادك. فيأمن المظلومون من عبادك، وتقام المعطلة من حدودك)[٢] .

فال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾ [الأنفال: الآية ٦٥]، وقال تعالى ﴿ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلا﴾ [النساء: الآية ٨٤]، وبما أن الجهاد شاقٌ وصعب لما فيه من المغامرة بحياة الفرد، فلابد من المبادرة الى تحريض وتشجيع المؤمنين للقيام بها، لأنها قوة الإسلام والمسلمين، وبه تحفظ وتقام الفرائض، كما أُمر الله سبحانه وتعالى نبيه الكريم، والتحريض كما ورد في مجمع البيان بمعنى (الترغيب في الفعل بما يبعث على المبادرة إليه)[٣]، فلا بد من حث الناس على القتال وترغيبهم فيه بذكر الثواب الموعود عليه، من خلال بيان فضيلة الجهاد والأجر المترتب عليه والثواب الذي أعده الله للمجاهدين وذكر ثمرات النصر التي تنتظر المجاهدين حيث تنعم البشرية بالإيمان والهدى ويتحول الجميع إلى أسرة واحدة تلتف حول الإسلام وتعمل من أجل نشر الدين وتحكيم الشريعة في الحياة بكل ميادينها وشُعَبِها[٤]، حيث قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) في معرض تحريض وترغيب المسلمين بمبادرة بمجاهدة العدو لضمان مستقبل أولادهم (اغزوا، تورثوا أبناءَكم مجداً)[٥]، وقال أميرُ المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) في حديث جامع له، يُحرِّضُ على الجهاد (إن الله فرض الجهادَ، وعظَّمه وجعله نَصْرَه

---

(١) محمد تقي المدرسي، من هدى القرآن، ٣٣٤/١ .
(٢) نهج البلاغة، ١٣/٢ .
(٣) الطبرسي، مجمع البيان، ٣٦١/٤ .
(٤) ظ، عباس علي الموسوي، الواضح في التفسير، ٤٢/٧ .
(٥) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ١٥/١٥ .

وناصرَه، والله ما صلحتْ دنيا ولا دين إلا به)[1]، ومن أساليب الترغيب التي استخدمها النصوص الإسلامية على المبادرة في الجهاد، هو إظهار فضل الشهيد ، ومنزلة المجاهدين والثواب، والأجر الحاصل من الجهاد في سبيل الله، وما أعدَّه الله تعالى للشهيد من فوائد ومنافع، حتى يتحمسَ لذلك أهلُ الهدايةِ والتوفيق، قال تعالى ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: الآية ١٦٩] .

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) (للشهيد سبع خصال من الله: أول قطرة من دمه مغفور له كل ذنب، والثانية يقع رأسه في حجر زوجتيه من الحور العين، وتمسحان الغبار عن وجهه، وتقولان: مرحبا بك ويقول هو مثل ذلك لهما، والثالثة يكسى من كسوة الجنة، والرابعة تبتدره خزنة الجنة بكل ريح طيبة أيهم يأخذه، معه والخامسة أن يرى منزله، والسادسة يقال لروحه: اسرح في الجنة حيث شئت، والسابعة أن ينظر إلى وجه الله وانها لراحة لكل نبي وشهيد)[2]، وقال أبو عبد الله (عليه السلام) (من قتل في سبيل الله لم يعرفه الله شيئا من سيئاته)[3] .

وهناك اسلوب أخر لتحريض الناس على الجهاد، وهو عرض فكرة الجهاد وتصويرها بصورة المعاملة والصفقة، في قوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: الآية ١١١]، يقول السيد علي الخامنئي (وهذه المعاملة كأي معاملة أخرى لها ستة أركان البائع والمشتري والعين والثمن ومحل التسليم، ووثيقة المعاملة البائع في هذه الصفقة هم المؤمنون والمشتري هو الله،

(١) محمد الريشهري، ميزان الحكمة، ٤٤٤/١ .
(٢) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ١٦/١٥ .
(٣) م. ن، ١٦/١٥ .

والعين هي المال أو النفس، والعوض هو الجنة، ووثيقة المعاملة هي التوراة والإنجيل والقرآن، ومحل التسليم هو ميدان الجهاد وساحة الحرب)[1] .

لأن من أراد أن يستبدل الحياة الدنيا الفانية بالحياة الباقية، فليبادر بالقتال في سبيل الله بتوطين نفسه وماله على الجهاد في طاعة الله قال تعالى ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: الآية ٧٤]، وفي هذه الآية ترغيب وحث على قتال الأعداء، لأن في النصر أو الشهادة عاقبة محمودة للمجاهدين، وثواباً دائما وأجراً عظيماً يناله المجاهد وهو أعلى أثمان العمل، فالله تعالى يثامن عليه بالثمن الأعظم الأعلى[2]، حتى ورد في الخبر عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه قال (فوق كل ذي برٍ برٌّ حتى يقتل في سبيل الله فإذا قتل في سبيل الله فليس فوقه برّ)[3] .

من هنا يتبلور أن الجهاد أمرٌ واقعاً، جعله الشارع المقدس على المسلمين وواجباً بحسب الظروف والأوضاع، لردِّ العدوان ودفع الضرر والمخاطر، والدفاع عن الدين والأرض والعرض، ومن مصاديق الجهاد في عصرنا، ضد القوى الباغية والظالمة المتمثل بالعصابات والتنظيمات الإرهابية المنحرفة التي عاثت بأوطان المسلمين (العراق خصوصاً)، حيث أقدمت تلك الجماعات الإرهابية بأعمال عدوانية مخالفة لجميع القيم والمبادئ الأخلاقية والدينية والإنسانية، حيث بادر الرجال للتصدي للعدوان الغاشم والدفاع عن الأرض والمقدسات، وذلك بمبادرة المرجع الأعلى السيد علي السيستاني (ذام ظله) بإعلان فتوى الجهاد الكفائي، لتطهير المدن المغتصبة وأهلها من تلك التنظيمات المنحرفة وإرساء الأمن والحق والعدل والنظام

(1) علي الخامنئي، تفسير سورة براءة، ص٦٨٧ .
(2) الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ٥٢٧/٤، الطبرسي، مجمع البيان، ١٠٩/٣ .
(3) الكليني، الكافي، ٥٣/٥ .

الفصل الثالث:المبادرة في نطاق الآيات التربوية والأخلاقية

المبحث الاول: المبادرة الى تزكية النفس وتهذيبها

المبحث الثاني: المبادرة في نطاق آيات العفاف

المبحث الثالث: المبادرة في نطاق آيات النهي عن التكبر

المبحث الرابع: المبادرة في نطاق آيات الإحسان في القرآن الكريم

المبحث الخامس: المبادرة في نطاق الآيات الإجتماعية في القرآن الكريم

المبحث السادس: المبادرة في نطاق آيات الآمر بالمعروف والنهي عن المنكر

توطئة :

اهتم القرآن الكريم بالمجالات التربوية والأخلاقية للإنسان، لأنها السبيل الى تهذيب النفس، وازدهارها، وبناء العقول والأفكار، وبها يستقيم سلوك الإنسان، وبالتالي يعمل على تأسيس تعايش اجتماعي بين الأفراد قائم على اساس المحبة والتعاون، لأن قيمة المرء تُقدّر بأخلاقه وأعماله، وتعتبر من المرتكزات الرئيسية في عمارة الأرض، ولأجلها بُعث الأنبياء والرسل، ولأهميتها يقول النبي محمد (صلى الله عليه وآله) (جعل الله سبحانه مكارم الأخلاق صلة بينه وبين عباده فحسب أحدكم ان يتمسك بخلق متصل بالله)[1]، أو كما يقول وصيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) (لو كنا لا نرجو جنة ولا نارا ولا ثوابا ولا عقابا، لكان ينبغي لنا ان نطالب بمكارم الأخلاق فإنها مما تدل على سبيل النجاح)[2]، فلا بدّ للإنسان الذي يبحث عن الراحة والسعادة والفلاح في الدنيا والنجاة في الأخرة، أن يبادر ويسعى للتخلق بأخلاق القرآن والاقتداء بمحمد (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته، وتحفيز الأخرين على ذلك

(1) محمد الريشهري، ميزان الحكمة، ج١/٨٠٤ .
(2) البروجردي، جامع أحاديث الشيعة، ج١٤/٢١٠ .

المبحث الاول: المبادرة الى تزكية النفس وتهذيبها :

مما لا ريب فيه أنه لا يولد الإنسان خلوقاً أو فاسداً، بل في طيات فطرته يحمل عوامل الهداية والضلال، ولا يمكن أن يصل الى أحد الاحتمالين إلا بما يربي ويهذب ويزكي عليه نفسه .

فالتزكية لغة: هي النَّمَاءُ والزيادة وَالطَّهَارَةُ[١] .

واصطلاحاً: (هي الطهارة والتقديس عن الأدناس والأرجاس الظاهرية، أو الرذائل المعنوية، سواء كانتا بالنسبة الى النفس، أو بالنسبة الى الأعمال والأفعال)[٢] .

وهي تطهير النفس من الشرك، والعقل من الجهل، وتصفية الأعمال من القبائح والآثام[٣] .

ولذلك اعتبر رسول الله جهاد النفس هو الجهاد الأكبر، لأنها أشق وأخطر معركة يخوضها الإنسان في حياته، ولا يستثنى أحد منها، حتى الأنبياء والأوصياء والأولياء، فهي معركة دائمة ممتدة طوال عمر الإنسان التي لا فرار منها، فيستوعب كل جوانب حياته ، ومختلف شؤونه، فكراً وإحساساً وعملاً وقولاً وإشارةً وصمتاً، إذ أن خطر الأهواء والشهوات النفسية تهدد معتقد الإنسان وسلامة أفكاره، وصحة مشاعره وأحاسيسه، وصدق أقواله ومواقفه واستقامة تعامله وعلاقاته، لذا تعد أصعب اختبار واكبر امتحان كتبه الله عزَّ وجلّ على الإنسان في هذه الحياة، وبمقدار تفوقه في هذا الاختبار يكون موقعه عند الله تعالى، ويحدد مستقبله الدنيوي والأخروي[٤]، فالجائزة الكبرى التي يستحقها المنتصر على نفسه في هذه المعركة الحتمية الدائمة الشاملة هي الجنة، قال تعالى ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ

(١) ظ، ابن فارس، مقاييس اللغة، ١٧/٣ .
(٢) عبد الأعلى السبزواري، الأخلاق في القرآن، ص ٦١ .
(٣) ظ، محمد جواد مغنية، الكاشف، ٣٢٢/٧ .
(٤) ظ، حسن الصفار، معرفة النفس، ٣٣- ٣٤ .

عَنِ الْهَوَى ۝ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات: الآية ٤٠-٤١]، وفي تفسير القمي، رواية أبى الجارود، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: (هوى العبد إذا وقف على معصية الله وقدر عليها ثم تركها مخافة الله ونهى النفس عنها فمكافأته الجنة)[١] والنتيجة الحتمية التي يتوصل له الإنسان من تهذيب النفس وتزكيتها، كما أخبر الله جلّ وعلا ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاء مَن تَزَكَّى﴾ [طه: الآية ٧٥ ـ ٧٦]، ويحدد سيد الحكماء والبلغاء الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) أطراف المعركة وموقعها، فهما جيشان بقيادة العقل والهوى، يتصارعان على أرض نفس الإنسان قال (عليه السلام) (العقل صاحب جيش الرحمن، والهوى قائد جيش الشيطان، والنفس متجاذبة بينهما، فأيهما غلب كانت في حيزه)[٢]، وعنه (عليه السلام) (العقل والشهوة ضدان، ومؤيد العقل العلم، ومزين الشهوة الهوى، والنفس متنازعة بينهما، فأيهما قهر كانت في جانبه)[٣] .

إذ أن أولى خطوات التزكية هي معرفة النفس التي تعد من الأسس الأساسية للفضائل، والركن المهم في تهذيب النفس، لما لها من المعطيات والأثر الإيجابي في حركة الإنسان، وفي خط التكامل الأخلاقي والمعنوي، فإن معرفة النفس (تؤدي الى معرفة الرب، ومعرفة صفاته الجلالية والجمالية، والتي هي من أقوى الدوافع الذاتية، لتربية الملكات الأخلاقية والكمالات الإنسانية وطريقٌ قويمٌ للنجاة من الانحطاط والرذيلة، والصعود بها الى أعلى مراتب الكمال المعنوي، وأفاق المُثل الإنسانية)[٤]، إذ قال الإمام علي (عليه السلام): (من عرف نفسه عرف ربه)[٥] وهو وهو أول مرحلة لنيل مفتاح السعادة في الدارين، كما ورد عن الإمام علي (عليه

(١) علي بن ابراهيم القمي، تفسير القمي، ج٢/ ٤٠٤ .
(٢) محمد الريشهري، ميزان الحكمة، ٣/ ٢٠٣٨ .
(٣) م. ن، ٣/ ٢٠٣٨ .
(٤) ناصر مكارم الشيرازي، الأخلاق في القرآن، ص٢٧٥ .
(٥) محمد الريشهري، ميزان الحكمة، ٣/ ١٨٧٧.

السلام) قوله: (نال الفوز الأكبر من ظفر بمعرفة النفس)[١]، وعنه (عليه السلام): (من لم يعرف نفسه بعُد عن سبيل النجاة، وخبط في الضلال والجهالات)[٢] .

عن علي (عليه السلام) قال: (العارف من عرف نفسه فأعتقها ونزهها عن كل ما يبعدها)[٣]، لأن بمعرفته تلك ستكون سبباً لتطهير النفس من الرذائل اللأخلاقية، وتحريرها من القيود والأهواء، وأسر الشهوات، وتعد الدعامة الأساسية في جهاد النفس، نقل عن الإمام علي (عليه السلام) قال (من عرف نفسه جاهدها، ومن جهل نفسه أهملها)[٤]، وانطلاقا لتهذيب النفس وجعلها في خط التقوى، قال الإمام علي (عليه السلام) (أكثر الناس معرفة لنفسه أخوفهم لربه)[٥]، وكلما جهل الإنسان كرامة نفسه ابتعد عن تهذيبها وتزكيتها، وبذلك تتحول القوى المادية والمعنوية للإنسان الى حجاب يحرفه عن الاستمرار في مسيرته الربانية، لذا تعتبر معرفة النفس وتزكيتها السبيل الوحيد الذي يمكن من خلاله نيل السعادة والفلاح[٦]، فقد روي أن رجلاً جاء على رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: يا رسول الله! كيف الطريق إلى معرفة الحق؟ فقال (صلى الله عليه وآله) (معرفة النفس، فقال: يا رسول الله! فكيف الطريق إلى موافقة الحق؟ قال: مخالفة النفس، فقال: يا رسول الله! فكيف الطريق إلى رضا الحق؟ قال: سخط النفس، فقال: يا رسول الله! فكيف الطريق إلى وصل الحق؟ قال: هجر النفس، فقال: يا رسول الله! فكيف الطريق إلى طاعة الحق؟ قال: عصيان النفس، فقال: يا رسول الله! فكيف الطريق إلى ذكر الحق؟ قال: نسيان النفس، فقال: يا رسول الله! فكيف الطريق إلى قرب الحق؟ قال: التباعد من النفس،

(١) م. ن، ٣/ ١٨٧٦ .
(٢) م. ن، ٣/ ١٨٧٦ .
(٣) محمد الريشهري، ميزان الحكمة، ٣/ ١٨٨١ .
(٤) م. ن، ١٨٨١/٣ .
(٥) م. ن، ١٨٨١/٣ .
(٦) ظ، محمد حسين زاده، مقامات الأسوة الحسنة، ص٣٥ .

فقال يا رسول الله! فكيف الطريق إلى انس الحق؟ قال: الوحشة من النفس، فقال: يا رسول الله! فكيف الطريق إلى ذلك؟ قال: الاستعانة بالحق على النفس)[1] .

لذلك فمصير الإنسان في الحياة خاضع لحالته النفسية، لأن النفس هي التي تصنع مستقبل الإنسان، وإذا ما لاحظ سوءاً في مصيره ومستقبله فلا يتحمل مسؤولية ذلك إلا نفسه، فإذا انقادت النفس لتوجيه العقل ضَمَنَ الإنسان سعادة الدارين، وإذا ما سيطرت الأهواء والشهوات على قرار الإنسان، فالشقاء والخيبة حليفه في الدنيا والأخرة، والنصوص الدينية تؤكد الحقيقة الساطعة، أن فلاح الإنسان ونجاحه يرتبط بتزكيته لنفسه[2]، قال تعالى ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: الآية ٧-١٠]، باعتبار أن النفس هي الهوية الحقيقية للإنسان الأدمي، وهو الذي يحدد وجهة الإنسان ومصيره المستقبلي ويبين أهو في الفلاح والنعمة أم في الشقاء والخيبة، ويؤكد الاسلام أن النفس الإنسانية من خلال برامج التربية والتزكية قابل للتكامل، والوصول الى أعلى العليين وبذلك تصبح مظهر ((أحسن تقويم)) أو أن تتسافل وتنحط الى ((أسفل السافلين)) بعد إهمال النفس وتضيعها في رابطة الحرام والغفلة أو في الإنشغال والعلقة[3] .

قال تعالى على لسان نبي الله يوسف (عليه السلام) ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [يوسف: الآية ٥٣]، إذ أن الله عزَّ وجلّ قد غرس في ذات الإنسان غرائز، وأمره أن يهذب هذه الغرائز ويشبعها في حدود ما أمر الله ولا يتجاوزها الى المحرمات؛ لأن الله عزَّ وجلّ حثّ عباده في آيات كثيرة على تزكية النفس، وزوّدهم بالوسائل التي يستطيعون من خلالها تحقيق ذلك، فزودهم أولاً بالحجة الباطنة وهي العقل أو الفطرة الموجودة مع خلق الإنسان منذ بداياته، قال تعالى ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم:

(1) محمد الريشهري، ميزان الحكمة، ٣/ ١٨٧٧ .
(2) ظ، حسن الصفار، معرفة النفس، ص٣٩ .
(3) ظ، عباس علي الموسوي، دروس في تهذيب النفس، ص١٢ .

الآية ٣٠]، وقال تعالى ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ [البقرة: الآية ١٣٨]، وبيّن له من خلال ذلك ما هو العمل الحسن وما هو العمل القبيح، وكما ألهمه في فطرته ما هي التقوى وما هو الفجور، وكذلك زودهم بالحجة الظاهرة، وهي الرسل والأنبياء والأئمة والعلماء الصالحون، كل ذلك من أجل أن تكون حجة الله على الناس لا العكس[١]، وفي هذا أوصى الإمام الكاظم (عليه السلام) تلميذه هشام قائلاً (يا هشام إن لله على الناس حجتين: حجة ظاهرة وحجة باطنة، فأما الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمة - عليهم السلام - وأما الباطنة فالعقول)[٢]، وعن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) (حجة الله على العباد النبي، والحجة فيما بين العباد وبين الله العقل)[٣] .

ولذا تعد تربية النفس الإنسانية وتهذيبها وتزكيتها من أكبر أهداف الأنبياء والرسل، حيث جاؤوا لكي يطهروا النفوس البشرية من الرذائل والصفات الحيوانية، ويرشدوهم ويربوهم على فضائل ومكارم الأخلاق عبر الإرشاد والتشويق والترغيب، ويعرفوهم الأخلاق السيئة وكيف يكبحون ميولهم ورغباتهم النفسية من المساوئ والمعاصي عبر التحذير والتخويف[٤]، وذلك بتقوى الله تعالى التي تعد أحد وسائل ضبط النفس، لأن (تحلية النفس بالتقوى، تزكية وإنماء صالح وتزويد لها بما يمدها في بقائها)[٥]، فحقيقة التقوى هي الالتزام والاستقامة والحركة ضمن دائرة الحدود الإلهية التي رسمها الله عز وجل لعباده، فالتقوى حصن الله المنيع في حياة الإنسان[٦]، وهذا ما يؤكده قول الإمام علي (عليه السلام): (إنما هي نفسي أروضها بالتقوى لتأتي آمنة يوم الخوف الأكبر، وتثبت على جوانب المزلق)[٧]، وكذلك ورد في قصة نبي الله موسى (عليه السلام) قال الله تعالى لموسى في خطابه لفرعون

(١) ظ، كمال الحيدري، مقدمة في علم الأخلاق، ١٧- ١٨ .
(٢) الكليني، الكافي، ١٦/١ .
(٣) الكليني، الكافي، ١/ ٢٥ .
(٤) ظ، ابراهيم الأميني، تزكية النفس وتهذيبها، ص١١ .
(٥) كمال الحيدري، مقدمة في علم الأخلاق، ص١٩ .
(٦) ظ، محمد مهذي الآصفي، سلسلة في رحاب القرآن، ٣٤/١ .
(٧) محمد الريشهري، ميزان الحكمة، ١١٣٦/٢ .

يطلب منه أن يبادر بالتطهر من القذارة الفكرية والروحية والعملية، كالكفر والتكبر والظلم والطغيان، التي علقت بكيانه كلها[1]، قال تعالى ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى﴾ [النازعات:١٨] .

فتجلت هذه الوظيفة الإلهية أكثر في خاتم الأنبياء والمرسلين محمد (صلى الله عليه وآله) ليسبغ على أمته أسمى الصفات الإنسانية، وذلك بإزالة الأخلاق السيئة من نفوس البشر ونشر الأخلاق الحسنة، حتى يصلوا الى الرشد والكمال، قال تعالى ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: الآية ٢]، والهدف الحقيقي من وراء بعثته ما روي عنه (صلى الله عليه وآله) أنه قال: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)[2]، وذلك ليذكر الناس بضرورة تهذيب النفس وبنائها، الذي من خلاله يصبح الإنسان خليفة الله في الأرض، فيعمرها وفق التشريع الإلهي، وبهذا فإن الغرض الأسمى من شريعة محمد (صلى الله عليه وآله) بقوانينها وأحكامها، تستهدف تنزيه النفس الإنسانية مما علق بها من أدران المادة والصفات الرذيلة، وتحليتها وتكوينها بالصفات الكاملة، كي يكون لائق بالنعيم الأبدي، لأن الدين الإسلامي دين صناعة وتهذيب النفس والبلوغ الى الكمال المنشود، ومن تلك العوامل (الزكاة) كما في قول الله تعالى مخاطباً نبيه الكريم (صلى الله عليه وآله) خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا [التوبة: الآية ١٠٣]، إذ تعد الزكاة وسيلة لتطهير النفس عن رذيلة البخل والشح، وبذلك تصفوا وتتنور شيئاً فشيئاً وتتخلق بالكرم والجود، وترتاض في هذا الحقل فتؤدي الأمانات الى أصحابها وتوصل الحقوق الى مستحقيها بتقديم مما يفضل منها مما أنعم الله عليه[3] والصلاة أيضاً من أهم أساليب تهذيب النفس وتزكيتها ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: الآية

(1) ظ، محمد حسين فضل، من وحي القرآن، ٣٧/٢٤ .
(2) المجلسي، بحار الأنوار، ٣٨٢/٦٨ .
(3) ظ ، أحمد أمين، التكامل في الإسلام، ١/ ١٥٣- ١٥٤ .

٤٥]، وسائر العبادات كل له وظيفة خاصة في ارتقاء النفس الإنسانية للوصول الى الحياة الحقيقية والسعادة الخالدة الدائمة .

ومن المعلوم أن السعادة الأبدية لا تنال إلا بتهذيب النفس وتزكيتها وتخليصها من الأخلاق الذميمة، لذا على الإنسان السعي والمبادرة لاكتساب الأخلاق الحميدة والصفات القدسية، ليصل بها الى الكرامة التي لم يخص بها أي من مخلوقاته قال تعالى ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: الآية ٧٠]، ولن يتيسر ذلك إلا بمعرفة كنه الرذائل والفضائل، ليتسنى للإنسان التميز بين الخير والشر، ولا سبيل الى ذلك إلا باتباع تعاليم الإسلام المتمثل والمتجسدة في اتباع الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) وهذا الإتباع لا يتحقق إلا بأخذ بكل ما جاء عنه (ﷺ) ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر: الآية ٧]، وقد حدد (صلى الله عليه وآله) لنا كيفية اتباعه في غيبته بقوله: (إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي وأنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض)[1]، فلنتعلم من سيرتهم العطرة ومن توجيهاتهم النيرة لنظفر بسعادة الدارين .

(1) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ٢٧/ ٣٤ .

المبحث الثاني: المبادرة في نطاق آيات العفاف :

العفاف لفظ جمع مفردة العفة، ولها دلالتها على صعيد اللغة والاصطلاح .

العفة لغةً: تدل على معنيين: الكف عن القبيح، قلة الشيء، عَفَّ عن الحرام يعِف بالكسر عِفَّةٌ وعَفًّا وعَفَافَةً أي كفَّ فهو عَفُّ وعَفِيفٌ والمرأة عَفَّةٌ وعَفِيفَةٌ وأعَفَّهُ الله واسْتَعَفَّ عن المسألة أي عفَّ وتَعَفَّفَ تكلف العِفَّةَ، والعِفّة الكَفُّ عما لا يَحِلّ ويَجْمُلُ عَفَّ عن المحارِم والأُطْماع الدَّنِية. والاسْتِعْفاف طلَبُ العَفافِ[1] .

العفة اصطلاحاً :

يُعّرف الجرجاني(ت٨١٦هـ) مفردة العفة بأنها: هي (هيئة للقوة الشهوية متوسطة بين الفجور الذي هو إفراط هذه القوة والخمود الذي هو تفريطها فالعفيف من يباشر الأمور على وفق الشرع والمروءة)[2] .

وقيل هي: (ضبط النّفس عن الشّهوات وقصرها على الاكتفاء بما يقيم أود* الجسد ويحفظ صحّته فقط، واجتناب السّرف في جميع الملذّات وقصد الاعتدال)[3] .

والعفة في كلام السيد علي الخامنئي بأنها (كلمة ذات مفهوم واسع تعني عموماً سلامة نفس الإنسان حيثما يكون)[4] .

الشريعة الإسلامية تأمر بالتعفف والاجتناب عن جميع ما حرمه الله فقد ورد في القرآن الكريم، الكثير من النصوص التي توجه نحو الإلتزام بالكثير من متعلقات العفة وهي :

---

(1) ظ، الجوهري، الصحاح، ١٤٠٥/٤، ابن فارس، معجم مقاييس، ٣/٤، ابن منظور، لسان العرب، ٢٥٣/٩ .
(2) الجرجاني، التعريفات، ص ١٢٧ .
(3) الجاحظ، تهذيب الأخلاق، ٢١- ٢٢ .
* أود بمعنى اعْوَجَّ، الجوهري، الصحاح، ج٤٤٢/٢ .
(4) علي الخامنئي، المرأة نصف الدنيا، ص٩٦ .

أولاً: المبادرة الى العفة عن التبرج:

قال تعالى ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [الأحزاب: الآية ٣٣]، فهذه الآية فيها نهي واضح على النساء أن لا يخرجن الى العالم الخارجي أمام الناس على عادة النساء اللاتي كنّ في الجاهلية، بأن لا يظهرن زينتهن من محاسن ذاتها وثيابها وحليها كما كن يظهرن ذلك، بطريقة لا تتناسب مع كمال المرأة في تقواها الأخلاقي،[١] .

إن المكانة التي يوليها الإسلام للمرأة من حيث الاهتمام والتركيز دعته الى التصريح بعدم تبرجها ، في صورة تعاليم تربوية واجتماعية، وهذه الصور تنبع من نظرة الدين الإسلامي لموقعها الحساس أي المرأة في المجتمع الاسلامي والأسرة المسلمة، فهدف الإسلام هو بناء المجتمع المثالي الذي ينطلق من الأسرة النموذجية، التي تبدأ من خُلق المرأة الفاضلة[٢]، والتبرج هو إظهار المرأة زينتها وإبراز محاسنها للأجنبي[٣]، وهو منهي عنه في شريعة الإسلام

على المسلمات المبادرة الى الالتزام بالأمر الالهي التي ترفع من قيمة المرأة وتعظم شأنها، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٩]، فالجلابيب بمعنى الثياب التي تستر تمام البدن مع الرأس والرقبة، و من سياق الآية تبدو أن الحجاب كان أمراً معروفاً في ذلك الزمن، لان المرأة كانت تستخدمها، ولكنها لم تكن لتراعي الدقة في الستر عن غير المحارم، ولذا وجه للنساء بأن يدنين عليهن من جلابيبهن[٤]، والهدف من هذا الأمر أن تتمسك المرأة بالحجاب لكي

(١) ظ، الطبرسي، مجمع البيان، ٨/ ١١٨، محمد حسين فضل الله، من وحي القرآن، ٢٩٨/١٨، ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٩/ ١١ .
(٢) ظ، محمد تقي المدرسي، من هدى القرآن، ٢٠١/٧ .
(٣) ظ، ابن منظور، لسان العرب، ٢١٢/٢ .
(٤) ظ، محسن قرائتي، تفسير النور، ٣٥١/٧ .

تحفظ العفاف العام، وأن لا تتساهل في أمر الحجاب، كبعض النساء المتبرجات المسلوبات الحياء، لأن هذا التبرج يغري السفلة والأراذل ويلفت انتباههم[1] .

وتستثنى بعض من النساء في إظهار زينتها أمام بعض الأصناف من الناس، قال تعالى ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]، وكذلك النساء الكبيرات المتقدمات في العمر التي رسمت السنون على وجهها خنادق وحفريات، وامتنع رحمها عن العطاء وتوقف الرجال عن الزواج منها فأصبحت مرغوب عنها، قد أباح الإسلام أن ترفع حجابها غير متبرجة بزينة[2]، قال تعالى ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ .

ذلك لأن التبرج والسفور لها أثار سلبية على المرأة وعلى المجتمع، منها لا على سبيل الحصر، ان التبرج تفتح الباب أمام انتشار الفساد الخلقي والفحشاء واتباع الشهوات، وتعرض النساء الى الأذى والتعدي والعنف، مما يؤذي الى ظهور الأمراض النفسية، وكذلك ضعف العلاقات الزوجية بين الرجل والمرأة، إذا كان الرجل ممن ينظر الى الحرام، فيؤذي الى تصاعد نسبة الطلاق، وغيرها[3] .

وهذا ما تريده الدول الغربية من المجتمعات الإسلامية المتحفظة لقيمها الأخلاقية ومبادئها، وتستهدف بالخصوص المرأة التي تعد عماد المجتمع والركن الأساس التي بها يصلح المجتمع ويفسد، فمن يريد أن تنزع المرأة عفتها بترك حجابها والتبرج بزينتها لنشر الانحلال الأخلاقي في المجتمع الإسلامي، حيث يذكر الجاسوس

(1) ظ، أبي حيان الأندلسي، البحر المحيط، ٢٤١/٧، محسن قرائتي، تفسير النور، ٣٥٣/٧ .
(2) ظ، علي عباس الموسوي، الواضح في التفسير، ١٨٣/١١ .
(3) ظ، محسن قرائتي، تفسير النور، ٧/ ٣٥١ .

البريطاني في البلدان الإسلامية مستر همفر في خاطراته (وأما عن مسألة خلع الحجاب عن النساء، فعلينا القيام بجهد عظيم لتشويق المسلمات الى نزع حجابهن وترك جلابيبهن، وبعد خلع الحجاب – بالإعلام المكثف الواسع المتواصل – على أنصارنا وأتباعنا أن يرغبوا الشباب في ارتكاب الفحشاء، وتكوين علاقات غير مشروعة مع النساء وبالتالي إشاعة الفساد في المجتمعات الإسلامية، وعلى النساء غير المسلمات أن لا يرتدين الحجاب لكي تقتدي بهن المسلمات)[١] .

وللمنافقين دور كبير في إشاعة الفساد بين أفراد المجتمع الإسلامي لإشباع رغباتهم الشخصية وميولهم الشهوانية، يذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم دور المنافقين ومكرهم وتخطيطهم لتمزيق العفاف الشامل العام، فقال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النور: الآية ١٩]، أي أن الذي يُشيع الفساد والفتنة هم المنافقين، وأول خطوة من تنفيد خطتهم أن ينشروا الوسوسة والشهوة، ويحاولون إثارة الأحاسيس العاطفية للشباب، ليشيع الفساد بين المؤمنين، وليصبح علنياً[٢] .

وللتبرج والعفاف أثار عكسية في البناء الأسرة وتفككها، فإذا شاع الحجاب والعفة في المجتمع سوف تنحصر الروابط والعلاقات الجنسية في إطار الزوجية وحدودها، أما إذا كشفت المرأة عن زينتها ومحاسنها وساد التبرج في المجتمع، فتؤدي الى تفكيك واضعاف العلاقة بين الزوجين، وتأخذ الحريات السلبية طريقها بازدياد، وتتزايد الأفكار المنحرفة شيوعاً وضراوة، وبالتالي ستؤول العلاقات الأسرية الحميمية الى البرود والجمود، وتحل البغضاء والنفرة مكان المحبة والمودة، وعندها يتهاوى ويتداعى أول وأهم مركز للتربية وغرس المحبة والعاطفة والاستقامة في الأطفال، وبالتالي سيزداد الطلاق وتنتشر الفواحش[٣] .

---

(١) مستر همفر، مذكرات، ص٧٢ .
(٢) ظ، حيدر حب الله، المرأة في الفكر الإسلامي المعاصر قضايا وإشكاليات، ص٣٢٧ .
(٣) ظ، م. ن، ص٣١٨ .

الثاني: المبادرة الى العفة عن الزنا :

خلق الله تعالى الإنسان وأودع فيه العديد من الغرائز، منها الغريزة الجنسية، إذ لم يرد الله عزَّ وجلّ أن يعيش الإنسان غريزته هذه بشكل فوضوي، بل أراد أن يعيشها في عمق المعنى الإنساني للعلاقات، بحيث يشعر معها بالهدوء والاستقرار والطمأنينة، وتمتزج فيها المادة بالروح، بما تحقق له هذه العلاقة نوعاً من النظام المتوازن الذي يتحرك في إشباع غريزته الجنسية في جوٍ هادئ مستقر تغمره المودة والرحمة، وبما أن الغريزة الجنسية حاجة طبيعية، لابد أن يمارسها الإنسان ضمن دائرة مشروعة، وفق الخط القرآني الذي يحدد للإنسان مسيرته في حدود دائرة العلاقات الجنسية، إذ لا يرخص له القيام بأية ممارسة جنسية خارج نطاق الزواج[1]، قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ [المؤمنون: الآية ٥-٧]، لذا يعد المحافظة على العفة من صفات المؤمنين، الذين يمسكون شهواتهم ولا يستعملونها إلا في نطاق الحيثيات التي حددها الله عزَّ وجلّ – الزواج – وذلك لأن من شأن الأمة المؤمنة إيمانا حقاً، أن تصان فيها الاعراض، وتحفظ فيها الأنساب، وتوضع فيها الشهوات في مواضعها التي شرعها الله سبحانه وتعالى، وأن يلتزم كل من الرجل والمرأة بغض البصر عن كل ما هو قبيح، ومن طلب خلاف ما أحله المولى عز وجل، فأولئك هم العادون المتجاوزون حدود التشريع الالهي الذي نهى الله سبحانه وتعالى عنه[2] .

فقد نهى الله سبحانه وتعالى الانسان عن إشباع غريزته الجنسية خارج نطاق الزواج، التي لا تنسجم مع نظام الأنسان في حياته ومصلحته، إذ تعد فاحشةً تلك التي تسيء الى عنصر الطهارة لدى الإنسان، قال تعالى ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: الآية ٣٢]، يُعرف الطبرسي الزنا بأنه (وطء المرأة

(1) ظ، محمد حسين فضل، من وحي القرآن، ١٤/ ١٠٢ .
(2) ظ، طنطاوي، التفسير الوسيط، ١٣/١٠- ١٤ .

حراماً بلا عقد ولا شبهة عقد)[١]، وأي مجتمع تنتشر فيه هذه الأفة الخطيرة، والمعصية الكبيرة، كان مصيره الى الانحلال باعتباره أسوأ طريق يتخذه الإنسان في إشباع غريزته[٢]، وابتداء الآية بعبارة النهي (ولا تقربوا) فهذا الأسلوب في الآية يوضح أن لهذا الفعل الشنيع والذنب العظيم مقدمات تجب المبادرة الى تجنبها وعدم مقاربتها إذ أن لهذا الفعل القبيح أضرار فردية واجتماعية وعائلية مما ستؤدي الى مفاسد أخرى في المجتمع[٣] .

وهناك أضرار أخرى نلتمسها من وصية النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) لعليٍ (عليه السلام) فقال: (يا علي في الزنا ست خصال: ثلاث منها في الدنيا، وثلاث في الآخرة: فأما التي في الدنيا فيذهب بالبهاء، و يعجل الفناء، ويقطع الرزق، وأما التي في الآخرة: فسوء الحساب، وسخط الرحمن والخلود في النار)[٤] .

وأي مجتمع إذا انتشرت فيه الفاحشة، كالزنا واللواط وما أشبههما، كانت عاقبتها الخسران، إذ أن فاحشة الزنا تؤدي الى ضياع الأنساب، وانتشار الأمراض، وفساد النفوس من كل قيمة خلقية مقبولة، وأما شيوع فاحشة اللواط في المجتمع فتحول أفرادها الى مخلوقات منكوسة[٥] .

والفعل الأخير يعود الى قوم لوط الذين وردت قصتهم في القرآن الكريم، قال تعالى ﴿وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ۝ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾ [الأعراف: الآية ٨٠-٨١]، فقد أرسل الله عز وجل نبيه لوط (عليه السلام) الى بلدةٍ كان أهلها يمارسون أبشع أنواع الرذائل وأخسها، وهي ممارسة (اللواط) يعني إتيان الرجال بشهوة دون النساء، باعتبارها انحرافاً عن السنن الطبيعية التي وضعها الله عز وجل للبشرية،

(١) الطبرسي، مجمع البيان، ٦/ ١٨٨ .
(٢) ظ، محمد جواد مغنية، تفسير الكاشف، ٤٢/٥ .
(٣) ظ، ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل، ٢٥٣/٧ .
(٤) المجلسي، بحار الأنوار، ٧٦/ ٢٢ .
(٥) ظ، طنطاوي، التفسير الوسيط، ١٠/ ١٣ .

فما كان من نبي الله لوط (عليه السلام) إلا أن يبادر بمهمته الاصلاحية في تغير العادة التي كان يمارسها أفراد المجتمع وقتذاك ويعيش ظلامها وقبحها، وينهاهم عن ارتكابها، لأنهم كانوا البادئين والسابقين والمتقدمين في ابتداع هذه الفاحشة الكبيرة، إذ لم تكن أمة تمارس قبلهم ذلك الفعل، لأنهم هم الذين أسسوا وابتدعوا هذه الممارسة المنحرفة عن القوانين الالهية، ويكون قبحها مضاعفاً لأنها أصبحت سنة سيئة وسبباً لوقوع أُممٌ أخرى على أثرهم في هذه المعصية[١] .

وفي زمننا المعاصر يحاول أولياء الشيطان تحويل المجتمع البشري الى مجتمع بعيداً عن الفطرة السليمة المخالفة للعفة، وذلك من خلال نشر الفاحشة بمسميات متعددة، إذا كانت المجتمعات الغربية بعلمائها وحكوماتها التي يدعون التحرر والتطور والتقدم، سعيداً بما آلت إليه أحوالها، والاطمئنان على مستقبلهم الأسري والأخلاقي مع تلك القوانين التي تشرع للفواحش، وكل أشكال العلاقات التي تفكك الأسرة وتهدم بنيانها، فهذه القوانين تعد في نظر التشريع الإلهي تخلف وانحطاط وتدهور أخلاقي وقيمي، لأنها تعتبر ظلمات ما بعدها ظلمات، وتخلفاً ما بعده تخلف[٢]، وهم (يسعون بموجب هذه الوسوسات الى خلق الصدام والتزاحم بين الرجل والمرأة، وجعل كل واحد فيهما يسعى الى تحقيق ذاته على حساب الآخر وهذا ما يهدم الأسرة أولاً ثم المجتمع ثانيا)[٣] .

إذ ليس أمام البشرية من سبيل للتخلص من هذه القيم المنحرفة والمبادئ الزائفة إلا المبادرة بالأخذ بالقيم الإسلامية بكاملها، وتطبيق الأحكام الإسلامية التي جاءت منسجمة مع الفطرة الإنسانية، قال تعالى ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: الآية ٣٠] .

---

(١) ظ، الطبرسي، مجمع البيان، ٢٢٢/٤، ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل، ٣٤٧/٤- ٣٤٨، عباس علي الموسوي، الواضح في التفسير، ٢١٨/٦- ٢١٩ .
(٢) ظ، د. طلال العتريسي، الجندر المخادع، ص٢٣٣ .
(٣) د. محمد مرتضى العاملي، النوع الاجتماعي والانحرافات الجنسية، ص٣٠ .

ومن القصص التربوية المؤثرة في القرآن الكريم، في تقويم السلوك باستعفاف النفوس، قوله تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف: الآية ١١١] .

فقصة نبي الله يوسف (عليه السلام)، قد اشتملت على خصال تربوية نبيلة، قال تعالى ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ۝ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: الآية ٢٣-٢٤]، تبين هذه الآيات كيف أن هذا الشاب بما توفر له من أسباب ارتكاب الفاحشة، بادر باللجوء الى الله مستعيذاً به من مكر إبليس ووساوسه، أن تعصمه من فعل القبيح[١]، ويعد هذا النموذج الرائع المثل الأعلى في الاقتداء به من كل الشباب، في كيفية ضبط النفس ومقاومة الاهواء ومقارعة الشيطان، وكيفية الاعتصام بالله من الوقوع في الحرام، وخير من نقتدي به في المسيرة التكاملية هو خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبدالله (ﷺ) قال تعالى ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: الآية٢١] .

ثالثا: المبادرة الى عفة النظر:

الأمر المهم الذي يحجب الإنسان من الوقوع في جريمة الزنا هو عفة النظر، من أجل المحافظة على طهارة المجتمع ونظافتهِ من العلاقات الجنسية غير الشرعية، لا بد من المبادرة إلى إغلاق كل الابواب التي تؤدي اليها، النظر التي اعتبرها الإسلام سهماً من سهام إبليس التي تورث حسرة طويلة[٢]، فقد روي عن الامام جعفر الصادق (عليه السلام) قوله (النظرة سهم من سهام إبليس مسموم، وكم من نظرة أورثت حسرة طويلة)[٣]، لذا النظرة المحرمة تزرع في قلب الإنسان ثورة الشهوة، قال الامام الصادق (عليه السلام) (النظرة بعد النظرة تزرع في القلب الشهوة،

(١) ظ، الطبرسي، مجمع البيان، ٢٩٧/٥ .
(٢) ظ، محمد تقي المدرسي، بينات من فقه القرآن، ص١٠٨ .
(٣) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ١٣٨/١٤ .

وكفى بها لصاحبها فتنة)[1]، ولأجل ذلك أمر الله سبحانه الرجال والنساء وجوب غض النظر لما تترتب عليه من أثار، قال تعالى ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور: الآية ٣٠- ٣١]، فأمر المولى عز وجل النبي محمد (صلى الله عليه وآله) أن يقول للمؤمنين والمؤمنات أن يغضوا أبصارهم عما لا يحل لهم النظر إليه، لأن ذلك أنفع لدينهم ودنياهم وهو أقرب للتقوى[2]، لأن غض البصر عما حرم الله سبحانه وتعالى من مبادئ الإيمان، ولأن فقدان الإيمان وانعدام العفة وانفلات النظر تمنع نمو المجتمع ورشده[3]، فجاء أمر الله تعالى بغض البصر .

رابعاً: المبادرة الى عفة اللسان:

يعد اللسان من أعظم نعم الله تعالى على عباده، باعتباره وسيلة الاتصال بين الناس، ومن خلاله التعبير والبيان عما يدور في خاطره وخلده، وله مجال واسع في الخير والشر، يقود صاحبه إما الى الجنة أو الى الجحيم، قال الامام الباقر (عليه السلام) (إن هذا اللسان مفتاح كل خير وشر، فينبغي للمؤمن أن يختم على لسانه كما يختم على ذهبه وفضته)[4]، وعفة اللسان هي صون اللسان عن كل قول يغضب الله سبحانه وتعالى، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الأحزاب: الآية ٧٠]، وقد وردت آيات كثيرة توصي الإنسان بحفظ اللسان من قول السوء، وعدم إيذاء الأخرين بغير جناية يستحقونها، من الغيبة والكيد والافتراء وما إليه، وقد صان الإسلام كرامة المؤمنين ويعد انتهاكها ذنباً عظيماً[5]، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: الآية ٥٨]، وفي حديث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) (المسلم من

(1) محمد الريشهري، ميزان الحكمة، ٣٢٩٢/٤ .
(2) ظ، الطبرسي، مجمع البيان، ١٧٦/٧ .
(3) ظ، محسن قرائتي، تفسير النور، ٦/ ١٥٣ .
(4) المجلسي، بحار الأنوار، ١٧٨/٧٥ .
(5) ظ، محمد جواد مغنية، تفسير الكاشف، ٦/ ٢٣٨، محسن قرائتي، تفسير النور، ٣٥٠/٧ .

سلم المسلمون من لسانه ويده)[١]، وحتى أن استقامة اللسان تنعكس على استقامة إيمان العبد، فقد روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) (لا يستقيم إيمان عبد حتّى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتّى يستقيم لسانه، فمن استطاع منكم أن يلقى الله سبحانه وتعالى، وهو نقيّ الرّاحة من دماء المسلمين وأموالهم، سليم اللِّسان من أعراضهم فليفعل)[٢] .

وأسوأ آفات اللسان الغيبة وهي ذكر الأخرين بالسوء في ظهر الغيب، وفي سؤال أبا ذر لرسول الله (صلى الله عليه وآله) عن الغيبة (قلت: يا رسول الله وما الغيبة؟ قال: ذكرك أخاك بما يكره، قلت يا رسول الله فإن كان فيه ذاك الذي يذكر به؟ قال: اعلم أنك إذا ذكرته بما هو فيه فقد اغتبته وإذا ذكرته بما ليس فيه فقد بهته)[٣]، والبهتان أعظم من الغيبة، وقد نهى الإسلام وحرم الغيبة وعدها من المعاصي الكبيرة والموبقات المهلكة، قال تعالى ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: الآية ١٢]، فهذا التشبيه أن يأكل لحم أخيه ميتاً، لتبشيع الفعل وقبحه وقذارته، وفي المثال توظيف للخيال للتنفير من الذنب[٤] .

الغيبة من أشد المعاصي، وأثرها على المغتاب أخطر من أي ذنب، لأنها تمس حقوق الله وحقوق الناس، ولا يغفر الله للمغتاب حتى يرضى صاحب الغيبة[٥]، كما ورد في وصية النبي (صلى الله عليه وآله) لأبي ذر (يا أبا ذر إياك والغيبة فان الغيبة أشد من الزنا، قلت: يا رسول الله ولم ذاك بأبي أنت وأمي؟ قال: لان الرجل يزني فيتوب إلى الله فيتوب الله عليه، والغيبة لا تغفر حتى يغفرها صاحبها)[٦] .

---

(١) محمد الريشهري، ميزان الحكمة، ١٣٤٠/٢ .
(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ٧٢/ ٢٦٢ .
(٣) م. ن، ٧٤/ ٨٩ .
(٤) ظ، سلمان العودة، إشراقات قرآنية، ٥٦/١ .
(٥) ظ، الخميني، الأربعون حديثاً، ص٣٥٤ .
(٦) المجلسي، بحار الأنوار، ٧٤/ ٨٩ .

والمجتمع الذي يعيش فيه أفراده على الأخوة والوحدة واتحاد الهمم، والصفاء الباطني والظاهري، إذا أشيعت فيه هذا المعصية الكبيرة، تصبح سبباً لترسيخ جذور الفساد في المجتمع من الحسد والعداوة والضغينة والبغضاء، وغرس شجرة النفاق، وتضعف وحدة المجتمع وتضامنه، وفي النهاية تزداد في المجتمع القبائح والفساد[١] .

وكذلك نهى الإسلام عن اسباب الفرقة بين الناس من السخرية والاستهزاء بالأخرين، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: الآية ١١]، أي لا يسخر ولا يعيب ولا يهزأ ولا يحتقر ولا يطعن بعضكم بعضاً، وأن لا يخاطب أحدهم غيره بلقب يكرهه، قال تعالى ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾ [الهمزة: الآية ١]، وفي هذه الآية ينذر الله تعالى، الذي يعيش مع إخوانه داخل المجتمع، ويطعن فيهم بمختلف وسائل الطعن في كرامتهم، ويسيء وينسب إليهم العيوب التي لا وجود لها في واقعهم الذاتي الأخلاقي، بالويل والخزي والهوان[٢] .

لذا نلاحظ هذا المعنى المراد يتجسد في مضمون الآية الكريمة الوارد في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: الآية ١١]، وجاء في سبب نزولها بما رواه علي بن إبراهيم: (فإنها نزلت في صفية بنت حيي بن أخطب، وكانت زوجة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وذلك أن عائشة وحفصة كانتا تؤذيانها وتشتمانها وتقولان لها: يا بنت اليهودية، فشكت ذلك إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال لها: ألا تجيبنهما، فقالت: بماذا يا رسول الله؟ قال: قولي: إن أبي هارون نبي الله وعمي موسى كليم الله، وزوجي محمد رسول الله (صلى الله

(١) ظ، الخميني، الأربعون حديثاً، ص٣٥٧ .
(٢) ظ، محمد حسين فضل الله، من وحي القرآن، ٤١٤/٢٤ .

عليه وآله)، فما تنكران مني؟ فقالت لهما فقالتا: هذا علمك رسول الله، فأنزل الله في ذلك: " يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم " إلى قوله ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان)[١] .

ويبدو (أن الهمز أشد من اللمز، فإذا كان الهمز بالوجه فاللمز بالغيبة، وإن كان الهمز بالنطق فاللمز بالإشارة، وإذا كان الهمز يهدف العلو في الأرض، فإن اللمز يبقي الفساد فيها، الأول سمة التكبر والتجبر، والثاني علامة المكر والاحتيال وقطع الأرحام وإثارة الفتن)[٢]، وجاء في الحديث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) (أبغضكم إلى الله المشاؤون بالنميمة، المفرقون بين الإخوان)[٣] .

وأيضاً من أضرار اللسان زعزعة استقرار الأسرة وأمنها، وهي من أمن المجتمع، فقذف المؤمنة المحصنة الغافلة عن الفواحش من النساء بالفجور والزنى، والمرأة التي تتسم بهذه الصفات الثلاثة، يكون قذفها أشد حرمة[٤]، قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النور:٢٤] .

من هنا ينبغي للمجتمع الإسلامي أن يحترم المرأة العفيفة والمحصنة أشد الاحترام، ومن يتجرأ في اتهامها بأعز ما عندها بما تملكها، وهي عفتها وشرفها، فإنه ملعون في الدنيا ومنبوذ لدى المؤمنين وأنه يستحق العقاب في الحياة الدنيا بأن يقيم عليه الحاكم الشرعي الحد وهو ثمانين جلدة، وملعون في الأخرة حيث يبعده الله عن رضوانه ويعذبه عذاباً عظيماً، لمّا يشهد عليه لسانه الذي سينطق بفضحه دون ارادة الانسان العاصي، ومن ثم تشهد عليه يديه التي كان يشير بهما الى مواضع التهمة – لأنه عادة ما يستخدم المتكلم لسانه ويده للتعبير عن مقاصده – ثم أرجله الساعية

---

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ٢٢/ ١٩٧ .
(٢) محمد تقي المدرسي، من هدى القرآن، ٣٤٦/١٢ .
(٣) محمد الريشهري، ميزان الحكمة، ٢٧٣/١ .
(٤) ظ، محمد تقي المدرسي، بينات من فقه القرآن، ص ٨٨ .

بالتهمة لتوزيعها على أكبر رقعة اجتماعية ممكنة[١]، ففي هذا المعنى روي عن الإمام الرضا (عليه السلام) قوله (حرم الله قذف المحصنات، لما فيه من إفساد الأنساب ونفي الولد وإبطال المواريث وترك التربية وذهاب المعارف، وما فيه من المساوئ والعلل التي تؤدي إلى فساد الخلق)[٢] .

إذ أن أولياء الشيطان من الكافرين والمشركين والمفسدين والمنافقين والمستكبرين والظالمين والكذابين وكاتمي الحق، تعرضوا للعن في القرآن الكريم، فإن اللعن المصحوب بالعذاب العظيم في الدنيا يطالب أولئك الذين يشهرون بالأطهار[٣]، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) (قذف محصنة يحبط عبادة مائة سنة)[٤] .

ويعذب الله تعالى، اللسان عذاباً لا يعذب به جارحة غيره. فعن الإمام الصَّادق عليه السلام قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) (يعذِّب الله اللِّسان بعذاب لا يعذِّب به شيئاً من الجوارح، فيقول: أي ربِّ عذَّبتني بعذاب لم تعذِّب به شيئاً، فيقال له: خرجت منك كلمة فبلغت مشارق الأرض ومغاربها فسفك بها الدَّم الحرام، وانتهب بها المال الحرام، وانتهك بها الفرج الحرام، وعزَّتي وجلالي، لأعذِّبنَّك بعذاب لا أعذِّب به شيئاً من جوارحك)[٥] .

وفي كل الأحوال تأمر الشريعة الإسلامية بالتعفف والاجتناب عن جميع ما حرمه الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم، لذلك على الأنسان أن يبادر في تجنب ارتكاب هذه الذنوب الكبيرة، وإن كان مبتلى بها فعليه المبادرة بالتوبة، وطلب الصفح والعفو من الله ومن الناس الذين أدوهم، قبل أن تترتب عليه أثار في دار الدنيا والأخرة .

(١) ظ، محمد تقي المدرسي، من هدى القرآن، ٦/ ٣٥ .
(٢) محمد الريشهري، ميزان الحكمة، ٢٥١٢/٣ .
(٣) ظ، محسن قرائتي، تفسير النور، ١٤٤/٦ .
(٤) محمد الريشهري، ميزان الحكمة، ٢٥١٢/٣ .
(٥) الكليني، الكافي، ١١٥/٢ .

المبحث الثالث: المبادرة في نطاق آيات النهي عن التكبر:

حث الإسلام على التواضع حتى تسود بين الناس المحبة والمودة والتعاون على فعل الخير، ونهى عن التعالي والتكبر، الذي يتنافى مع النظام الأخلاقي في القرآن الكريم ، لأن الكبر أفة تضر بصاحبه، وتسقطه من عين الله وبين الناس، وهي صفة تنعكس على تصرفات المتكبر من الآخرين، ولن يزيد الإنسان إلا خساراً، ولا يحقق بذلك أي إضافة أو مكسب، ولن يتقدم خطوة واحدة الى الأمام، بل سيسيئ الى علاقاته مع الآخرين الذين ينفرون من هذا الطبع الذميم، وله عقاب شديد في الأخرة[١]، وتكون عاقبة أمره الى النار، فقد روي عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر)[٢] .

وأول من تكبر على أمر الله عزَّ وجلّ هو إبليس اللعين، قال تعالى ﴿فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۝ إِلاَّ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنْ الْكَافِرِينَ ۝ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ ۝ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ [ص: الآية ٧٣- ٧٦]، يقول ابن عاشور (ت١٣٩٣هـ) أن ابليس كان يكمن في نفسه نزعة الكبر والعصيان، ولم تكن تظهر منه قبل ذلك؛ لأن الملأ الذي كان معهم كانوا على أكمل وجه، فلم يكمن منهم مثير لما سكن في نفسه من طبع الكبر والعصيان، فلما طرأ على ذلك الملأ مخلوق جديد وأمر الله عزَّ وجلّ الملائكة بتعظيمه، كان ذلك مورياً زناد الكبر في نفس إبليس فنشأ عنه الكفر بالله وعصيان أمره، ويعد هذا ناموس خلقي جعله الله مبدأ لهذا العالم، وهو أن يكون الاختبار معيار الأخلاق والفضيلة، إذ لا يحكم على النفس بالتزكية أو ضدها إلا بعد اختبارها وتجريبها وملاحظة تصرفاتها عند حلول الحوادث بها[٣] .

---

(١) ظ، نعيم قاسم، سبيلك الى مكارم الأخلاق، ص٧٠ .
(٢) البروجردي، جامع أحاديث الشيعة، ٤٤٦/١٣ .
(٣) ظ، ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٥٤٣/٩ .

والكبر صفة من الصفات التي لا تنبغي إلا لله تعالى، فقد جاء في وصية الإمام الصادق (عليه السلام) (إيّاكم والعظمة والكبر، فإنّ الكبر رداء الله عزّ وجل فمن نازع الله رداءه قصمه الله وأذلّه يوم القيامة)[١] .

وبما أن الكبر صفة شيطانية لذا على الأنسان المبادرة لتجنب هذه الصفة المذمومة والتي تسهم في إذلال الأنسان في الدنيا وتعذيبه في الأخرة، قال تعالى ﴿... وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾. [النساء: الآية ١٧٣]، لأن الذي يمتنع عن عبادة الله والخضوع له بالعبودية، فهذا ناشئ عن الأنانية والتكبر، فينال عذاباً أليما شديداً لتكبره وامتناعه عن عبادة الله، ولن يجد في يوم القيامة لنفسه ولياً من دون الله ولا ناصراً ينقذه[٢] .

ومن أثار التكبر عن قبول الحق في هذه الدنيا سوف لا تتنزل عليه البركة ولا تفتح له أبواب رحمة الله ورضوانه قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: الآية ٤٠] ولا يدخل الجنة حتى يدخل الجمل في ثقب إبرة الخياطة وهذا أمر مستحيل، وكذلك نجزي المجرمين الظالمين في حق أنفسهم وفي حق ربهم، ولم يستجيبوا لنداء الحق في الفكر والعمل[٣]، قال تعالى ﴿... إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: الآية ٦٠] وقال تعالى ﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [النحل: الآية ٢٩] .

وقد نهى الله عزَّ وجلّ، في كتابه الكريم المشي بالتكبر في موردين لما لها من أثار سلبية تنعكس على المجتمع، قال تعالى ﴿وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً﴾ [الإسراء: الآية ٣٧] وهذه الآية نهى الإنسان وذمَّه عن مشية التكبر والخيلاء، متكبراً على الحق ومتعاظما على الخلق، وقد علل سبحانه وتعالى هذا النهي باستصغار حال الإنسان؛ لأن المشي المقترن بالتكبر لن

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ٧٥/ ٢٩٤ .
(٢) ظ، ناصر مكارم الشيرازي، تفسير الأمثل، ٣/ ٣٣٠ .
(٣) ظ، الزمخشري، الكشاف، ٢/ ٩٩- ١٠٠، محمد حسين فضل، من وحي القرآن، ١٢٤/١٠ .

ينفع ولن يفيده ولن ينال به شيئاً، لأنه أضعف وأعجز من أن يبلغ الجبال بجسمه، ويخرق الأرض بقدمه، وفي هذا تهكم وتقريع للمتكبرين[١]، وكذلك في سورة لقمان وهو يعظ ابنه قال تعالى ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: الآية ١٨] .

وكذلك نهى لقمان ابنه من التفاخر وعدم رؤية نفسه أفضل من الأخرين، ذلك تخيلاً منه لا على نحو الحقيقة[٢]، (ولا شيء أدل على الجهل والنقص من هذه الصفات)[٣]، وهذه الصفة لا يرضى بها الله سبحانه ولا يحب من يتكبر في مشيته للناس لوجاهته وكثرة ماله[٤]، قال تعالى ﴿... إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: الآية ٣٦] .

وتتمخض عن هذه الصفة القبيحة مفاسد كثيرة، والتي تمنع الإنسان من الاستمتاع والاستفادة من النعم الإلهية الدنيوية والأخروية من هنا يجدر به المبادرة لتجنب والتخلص من هذه الصفة الشيطانية التي تحول المرء من الوصول الى الكمالات الظاهرية والباطنية، وعلى الإنسان المبادرة الى التحلي بالتواضع؛ لأنها صفة من صفات عباد الرحمن قال تعالى ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: الآية ٦٣] .

---

(١) ظ، محمد جواد مغنية، تفسير الكاشف، ٤٥/٥، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ٣٤٩/٤ ، عباس علي الموسوي، الواضح في تفسير، ٩/ ٣٦٩، د. عبدالملك القاسم، عقدة الجمان في تفسير القرآن، ٥٨٨/١ .
(٢) ظ، محسن القرائتي، تفسير النور، ٢٣٤/٧ .
(٣) محمد جواد مغنية، تفسير الكاشف، ٦/ ١٦٣ .
(٤) ظ، الطبرسي، مجمع البيان، ٣/ ٧٠ .

المبحث الرابع: المبادرة في نطاق آيات الإحسان في القرآن الكريم :

الإحسان هو فعل الشيء الحسن، ويدل تارة على معنى العطاء للأخرين، وأخرى مفهوماً عاماً يشمل كل عمل صالح، وجميع الأفعال الإيجابية والأخلاقية القيمة فقد أمر الله تعالى في القرآن الكريم بالمبادرة الى الإحسان، قال تعالى ﴿وَأَحْسِنُواْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: الآية ١٩٥]، لأنها تعتبر من شرائع الأخلاق القرآنية التي يؤكد عليها في أكثر من آية، والتي لها ارتباط بكل الأعمال التي يقوم بها الإنسان في علاقاته مع الآخرين وفي كل الاحوال، وقد ورد في آية أخرى، قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ والإحسان﴾ [النحل: الآية٩٠]، لأن قيمة الإحسان تتمثل في السلوك العملي الذي ينفتح فيه الإنسان على الجانب الخير في الحياة، وفي هذه الآية ترغيب الأنسان في الإحسان لأنها تحقق محبة الله[١] .

وقد يكون الإحسان في الأقوال والأفعال وجميع التصرفات، والإحسان في القول كقوله تعالى ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء: الآية ٥٣]، وقد أمر سبحانه وتعالى نبيه الكريم بأن يأمر الناس بالمبادرة ، في أن يقولوا الكلمة الحسنى، ذلك لأن غاية القرآن من هذا الأمر توجيه الإنسان في دراسة الفكرة الأفضل التي يريد أن يحركها في المجتمع، من خلال اختيار الكلمة الاحسن، التي تفتح القلوب على المحبة، والمشاعر على الرحمة، والعقول على الخير والحقيقة[٢]، قال تعالى ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً﴾ [البقرة: الآية ٨٣]، (فهذا هو السبيل لتركيز المجتمع في علاقاته العملية، على أساس الألفة والمحبة والخير والرحمة، ولإبعاده عن التناحر والاختلاف والتباغض والتحاقد، لأن الشيطان قد يدخل في خلفيات الكلمة وفي مداليلها، وفي إيحاءاتها وحساسياتها، ليثير العداوة والبغضاء بين الناس)[٣]، وقوله

(١) ظ، محمد حسين فضل الله، من وحي القرآن، ٤/ ٩٣ .
(٢) ظ، الطوسي، التبيان، ٨/ ٤٧٣- ٤٧٤، الطبرسي، مجمع البيان، ٦/ ١٩٨، محمد حسين فضل، من وحي القرآن، ١٤/١٤٥ .
(٣) محمد حسين فضل الله، من وحي القرآن، ١٤/ ١٤٥ .

تعالى ﴿وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ [النساء: الآية ٨٦]، أن يبادر المسلم بالرد بأحسن ما قوبل به .

وحتى حين الدعوة الى سبيل الرشاد لا بد للداعي من المبادرة في أن يتخذ صبغة إلهية، بمنطق الحسن في المضمون والأسلوب والبيان معاً، قال تعالى ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: الآية ١٢٥]، وهذا الأمر الى كل داعي، أن يبادر باستخدام السبيل العقلي و العاطفي في الدعوة الى الله عزَّ وجلّ بالتعامل مع الأخرين من دون إهانتهم أو إثارة مشاعرهم بنحو سلبي أو خاطئ[١] .

والجدير بالإشارة هنا أنه لا بد على الفرد المسلم أن يبادر في مقابلة الإساءة بالإحسان وتبديل العداء حباً، وحمل المسيء على الامتناع عن سلوك اللأخلاقي، ودفعه الى طريق الطهارة والفضيلة، وهذا الأمر لا يقدر عليها إلا أصحاب النفوس الكبيرة ممن يتحلّون بمكارم الأخلاق، بالمبادرة على رد إساءة الأخرين بحسن السلوك[٢] قال تعالى ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٤- ٣٥] قال تعالى ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّـهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران، آية: ١٣٤]، روي (أن جارية لعلي بن الحسين (عليهما السلام) تسكب الماء عليه وهو يتوضأ للصلاة، فسقط الإبريق من يد الجارية على وجهه فشجه فرفع علي بن الحسين (عليه السلام) رأسه إليها فقالت الجارية: إن الله عز وجل يقول: والكاظمين الغيظ، فقال لها: قد كظمت غيظي، قالت والعافين عن الناس قال لها: قد عفى الله عنك، قالت: والله يحب المحسنين قال: اذهبي فأنت حرة)[٣] .

---

(١) ظ، محسن القرائتي، تفسير النور، ٤/ ٥٨٣- ٥٨٤ .
(٢) ظ، محمد تقي الفلسفي، الأخلاق من منظور التعايش والقيم الإنسانية، ٥٦/١ .
(٣) المجلسي، بحار الأنوار، ٦٨/٤٦ .

والعبد كلما كان أكثر إحسانا كان أقرب الى رحمة الله كما، قال سبحانه ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: الآية٥٦] .

والإسلام يوصي كثيراً بالمحبة والإحسان لجميع الناس حتى الكفار، قال تعالى ﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: الآية ٨] .

ومن خلال الآيات القرآنية نلاحظ أن الله تعالى أعدّ للمحسنين أجراً عظيماً وثواباً جزيلاً، قال تعالى ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: الآية٦٠] وقال تعالى ﴿أَثَابَهُمُ اللَّـهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: آية: ٨٥] .

يتصف المحسنين ببعض الصفات التي ذكرتها الآيات القرآنية[1]، ونعرضها هنا على النحو الآتي :

١- قيام الليل والاستغفار بالأسحار والتصدق على الفقراء قال تعالى ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ۝ كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ * وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [الذاريات: الآية ١٦ - ١٩] .

٢- غض البصر عن زينة الدنيا وزخرفها لأنه يرمي بطرفه نحو الآخرة قال تعالى ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ [النور: الآية ٣٠] .

٣- الإيمان بالله وبما جاء به النبي محمد من الصدق والعمل به قال تعالى ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ۝ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الزمر: ٣٣، ٣٤] .

(1) ظ، عبدالله الجوادي الآملي، تسنيم في تفسير القرآن، ٤/ ٦٤٨- ٦٥٠ .

٤- إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة واليقين بالأخرة قال تعالى ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ۝ هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ ۝ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [لقمان: ٢ - ٤] .

٥- الإخلاص والجهاد في سبيل الله والتمتع بالمعية الإلهية الخاصة قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩] فالمحسن لا يبخل بأي إيثار وتضحية من أجل إحياء المآثر الدينية وعلى ذلك سوف ينال لذلك الأجر الإلهي الخاص قال تعالى ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [التوبة: ١٢٠] .

٦- يتميز المحسن بالصبر والثبات والاستقامة في سبيل الله قال تعالى ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠] .

٧- يتميز بالكرامة والصفح قال تعالى ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٧٨] قال تعالى {فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ١٣]، قال تعالى ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٦] .

٨- يعيش المحسن دائما في حالة من الخوف والرجاء ويدعو الله خوفاً وطمعاً وإن رحمة الله الخاصة قريبة منه قال تعالى ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦] .

٩- لا يستكبر عن قبول الحق لأنه قد فهم الحقيقة وأمن بها ، ويسأل الله على الدوام أن يلحقه بالصالحين قال تعالى ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ * فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ٨٢ - ٨٥] .

٨- مع كل مساعي المحسن وصموده واستقامته في سبيل الله عز وجل، تراه دائماً يُظهر العجز والحياء جراء ذنوبه، ويطلب من الله تعالى غفران الذنب وثبات الأقدام والنصرة على الكافرين: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ۝ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ۝ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: الآية١٤٦-١٤٨] .

وهنا تخلص على أن يبادر الأنسان الى الايمان والعمل الصالح والمبادرة بالإحسان للآخرين قبل فوات الأوان، قبل أن يأتي يومٌ يتمنى فيه الانسان حينما ينزل به العذاب أن يرجع الى الدنيا لكي يؤمن بالله ويحسن في سيرته وسلوكه[١]

(١) ظ، وهبة الزحيلي، تفسير المنير، ٣٥٤/١٢، عباس علي الموسوي، الواضح في التفسير، ٤٨١/١٣ .

المبحث الخامس: المبادرة في نطاق الآيات الإجتماعية في القرآن الكريم:

إهتم الإسلام إهتماماً بالغاً في تقوية وتمتين شبكة العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع وعلى مختلف الصلات التي يترابطون بها كصلة القرابة أو الجوار وغيرها، ليسودها جواً من السلام والحب والتعاون، لأن سلامة هذه الشبكة وصونها دور كبير في سلامة الفرد والمجتمع، وحماية الإنسان من مشاكل الحياة وأعباءها، وقد ورد في القرآن الكريم والحديث الشريف نصوص تؤكد المبادرة على الإحسان للوالدين وصلة الرحم ومواصلة الأهل والأقارب والسعي في ذلك ولو على مسير سنة[1]، ومن القضايا الإجتماعية التي قدمها الإسلام ورعاها فضلاً عن قضايا أخرى غيرها، ويجري البحث على بيان البعض منها :

الأمر الأول: المبادرة في آيات تكوين الأسرة :

أسس القرآن الكريم ركائز صلبة في بناء وتكوين الأسرة، كونها اللبنة الاولى للمجتمع الامثل الذي تبتغيه السماء لذا جاءت المبادرة في الالتزام بمضامين تلك الآيات الكريمة، أما في عصر التطور والتقدم المادي تعاني الأسرة بعض المشاكل التي تعرضت لها، مما أدى لانحرافها عن النهج الصحيح، إذ اصيب هذا الكيان المقدس ببعض المعضلات والمصائب، منها على سبيل المثال لا الحصر فقد إفتقدت الأسرة بسبب العلاقات الضعيفة والمتزلزلة الى الصفاء والمحبة والسكينة، ونجد الزوج والزوجة في الظاهر يبدوان الى جانب بعضهما لكن في الواقع تشبه حياتهما حياة الغرباء إذ اتفقا على العيش معاً، فأضحى هذا الاتفاق الى تحطم حياة الأسرة لأتفه الاسباب التي تؤدي الى الانفصال .

(1) ظ، خليل رزق، نظام العلاقات الإجتماعية في نهج البلاغة، ٥٦_ ٥٧ .

لذا يجب المبادرة من مستويات علمية ومؤسساتهِ المختلفة على توجيه وبناء وتأهيل الأسرة وفق قانون تشريع الإلهي السليم لإنقاذها من القوانين التي كانت سبباً في انهيارها .

إذ تعد الأسرة الركيزة الأساسية في المجتمع؛ لأن الهدف الأساسي من بناءها هو استمرار النسل البشري، وتأسيس مجتمع سليم، وتوفير السلامة النفسية لأبنائه، فالمجتمع يصلح بصلاحها وتماسكها، ويفسد بتفككها وانحلالها. من هنا اهتم التشريع الإلهي ببنائها على أسس متينة، تكفل قوتها واستمراريتها، لأداء دورها الفعال في تربية الأجيال وإعدادهم ليكونوا أعضاء صالحين نافعين لدينهم ووطنهم ومجتمعهم[١] .

وبدورها تنقسم الأسرة في الواقع الاجتماعي الى قسمين: الأولى منشأُها وتخطيطها وفق الرؤية القرآنية، القائمة على أساس قيم المودة والرحمة والعدل والإحسان، القائم على منهج إلهي كريم حكيم كامل، تفعيلاً وتطبيقاً، والأخرى بخلاف الرؤية القرآنية، فهي مادية الرؤية، جاهلية المنشأ، أرضية المنهج والقيمة، يسودها الجفاف الروحي والإنساني[٢]، وبما أن الأسرة تعد الركيزة الأساسية في المجتمع، فالإسلام بدستوره الشامل وقانونه الخالد رعى بناء الأسرة، وأولاها من رعايته وتعاليمه، وسعى الى صياغته وصبها بأفضل وجه وأحسنه بالشكل الذي تنتج الى المجتمع أفضل النتائج وتعطيه أفضل الأفراد[٣] .

إذ لابد من المبادرة الى بناء أسرة متينة وفق الرؤية القرآنية، لأن الاسلام أبدى نصائحه وإرشاداته وأحكامه في تأسيس عماد المجتمع على أسس قويمة سليمة، قبل تشكيل الأسرة وبعدها، وقد دعا الرجل والمرأة الى الحرص على اختيار شريك العمر في مسيرة الحياة، مناطه الاعتصام بالدين والأخلاق الحسنة، لأنها السبيل الأمثل لبناء اسرة قوية تكون عماداً لمجتمع قوي جدير بالريادة والقيادة والخيرية،

(١) ظ، محمد تقي مصباح اليزدي، الأخلاق في القرآن الكريم، ٦٧/٣ .
(٢) ظ، عيسى قاسم، الزواج والأسرة، ٥٨- ٥٩ .
(٣) ظ، محمد الصدر، الأسرة في الاسلام، ص١٠ .

والنصوص الواردة عن النبي محمد (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام) التي تحض على حسن الاختيار، وتحذر من الاهتمام بالأعراض الجانبية الزائلة دون الاهتمام بالقيم الفضلى الخالدة[١]، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): (إذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه، إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير)[٢]، وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) (إياكم وخضراء الدمن، قيل: يا رسول الله ومن خضراء الدمن؟ قال: المرأة الحسناء في منبت السوء)[٣] .

والزواج هو السبيل في تكوين الأسرة، وفي سورة النور يبين الله تعالى بعض الأحكام والتعاليم، يحفظ الفرد والمجتمع منها أمر الرجل والمرأة بحفظ الفرج، والكف عن النظر الى المحرم، ونهى عن التبرج، ثم بعد هذا أمر سبحانه وتعالى بالنكاح وتسهيل الأمر لكل من احتاج الى ذلك؛ لأن العزوبة مصدر القبائح والرذائل - الزنا واللواط - فالزواج وقاية من ذلك[٤]، قال تعالى ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: الآية٣٢]، والأمر للاستحباب لا للوجوب[٥]، فهذا الخطاب لجميع المسلمين لمن له القدرة، أن يسعى ويبادر بتزويج من هو بحاجة الى الزواج من النساء والرجال؛ لأنه الحل النهائي الذي تصان به الأعراض فهو الحصانة التي تمنع الرجل والمرأة من الرذيلة[٦]، وشجع الاسلام على المساعدة وتسهيل هذا المشروع الحضاري، إذ ورد في الحديث عن علي بن جعفر، عن أخيه عن الامام الكاظم (عليه السلام) قال (ثلاثة يستظلون بظل عرش الله يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله، رجل زوج أخاه المسلم أو أخدمه أو كتم له سرا)[٧]، وبالزواج تنزل الرحمة الإلهية وتفتح أبواب الرزق للعبد، إذ أن الزواج كما صرح القرآن الكريم، في أن

(١) ظ، مركز نون للتأليف والترجمة، دور المرأة في الأسرة، ص٢١ .
(٢) الكليني، الكافي، ٣٤٧/٥ .
(٣) المجلسي، بحار الانوار، ١٠٠/ ٢٣٤ .
(٤) ظ، محمد جواد مغنية، الكاشف، ٤١٩/٥ .
(٥) ظ، الطبرسي، مجمع البيان، ١٧٨/٧ .
(٦) ظ، عباس علي الموسوي، الواضح في التفسير، ١٤٠/١١ .
(٧) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ٢٧/١٤ .

الرجل والمرأة مكمل لبعضهما وكلٌ لباس للأخر، قال تعالى ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ [البقرة: الآية١٨٧] بمعنى الوقاية والستر من الوقوع في المحرمات وتجاوز الحدود[١] .

قال تعالى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: الآية٢١]، جعل القرآن الهدف من الزواج في هذه الآية الاطمئنان والسكن، أي الوصول إلى السكينة الروحية والاستقرار النفسي، قائم على أساس المودة والرحمة[٢]، وكذلك وردت أحاديث وروايات وكلمات قيمة عن أهل بيت الرسول الأكرم(ص) في مدح الزواج والحث عليه وذم حياة العزوبية، نشير الى بعض منها من أجل الفائدة والتبرك .

عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: قال (صلى الله عليه وآله وسلم): (ما بنى بناء في الاسلام أحب إلى الله من التزويج)[٣] .

روي عن الإمام علي (عليه السلام) (تزوجوا فإن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كثيراً ما كان يقول: من كان يحب أن يتبع سنتي فليتزوج فإن من سنتي التزويج)[٤] .

عن حريز، عن الوليد قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام) قال: (من ترك التزويج مخافة العيلة فقد أساء الظن بربه، لقوله سبحانه وتعالى: إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله)[٥] .

من تزوج أحرز نصف دينه - رسول الله (صلى الله عليه وآله): (إذا تزوج العبد فقد استكمل نصف الدين، فليتق الله في النصف الباقي)[١] .

---

(١) ظ، محمد تقي المدرسي، من هدى القرآن، ١/ ٢٨٠ .
(٢) ظ، ناصر مكارم الشيرازي، تفسير الأمثل، ١٠/ ١٢١ .
(٣) الطبرسي، مكارم الأخلاق، ص١٩٦ .
(٤) محمد الريشهري، ميزان الحكمة، ١١٧٨/٢ .
(٥) الطبرسي، مكارم الأخلاق، ص١٩٦ .

من خلال استعراض بعض الآيات والروايات نلاحظ أن الزواج وتكوين الأسرة، لها أهمية خاصة في النظام الإسلامي، وإن اهمالها والابتعاد عنها يسبب الشقاء والانحراف، لذا يجب على المسلمين كافة المبادرة على أن يبتعدوا عن الانحلال الغربي ويخضعوا لأمر الإسلام في الزواج[٢] .

والامر الاخر في المجتمع التي لها صلة بالأسرة وهي صلة الرحم، والوالدين أحق بالرحم والاحسان .

الأمر الثاني: المبادرة في نطاق آيات حقوق الوالدين :

تعد حقوق الوالدين من الدساتير التشريعية، ومن سنن الرقي الانساني، التي أمر بها الاسلام في القرآن الكريم، باعتبارها دين اجتماعي لا دين انزواء ورهبنة، يريد من الإنسان التقرب الى الله بالإحسان والبر والمساعدة والمعونة والألفة والتحابب والتعاطف الى الناس وبالخصوص الوالدين، إذ أن المجتمع مؤلف من الأسر، والأسرة مؤلفة من الأرحام والأقارب، فلو قامت العلاقات بين أفراد الأسرة على أساس الحب والولاء والمحبة سعدت هذه العائلة في الدنيا، وبسعادتها تسعد الأمة وبشقائها تشقى[٣]، وتنظيم الانسان في المجتمع الإسلامي تنطلق من بصائر السماوية في إطار التقوى، و أهم علاقة يؤكد عليها الإسلام هو علاقة الولد مع والديه، بالبر والإحسان؛ لأن حق الوالدين على الولد عظيم جداً لا نظير له في سائر أفراد المجتمع، إذ يولي القرآن الكريم إهتماماً بالغاً بشأن حقوق الوالدين وواجبات الأبناء تجاه الوالدين[٤] .

قال تعالى ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [النساء: الآية ٣٦] تشير هذه الآية الى الأهمية البالغة لحقوق الوالدين، إذ يدعو الله سبحانه وتعالى بعد الأمر بعبادته والنهي عن الشرك به، المبادرة الى الاحسان بالوالدين، التي تتمثل

(١) محمد الريشهري، ميزان الحكمة، ١١٧٩/٢ .
(٢) ظ، حبيب الله الطاهري، مشاكل الأسرة وطرق حلها، ص١٧ .
(٣) ظ، أحمد أمين، التكامل في الإسلام، ٤/٢- ٧ /٤٦٣ .
(٤) ظ، محمد تقي مصباح اليزدي، الأخلاق في القرآن الكريم، ٥١/٣ .

بطاعتهما وامتثال أمرهما في ما يرضي الله والقيام بشؤنهما والعطف والحنو عليهما، وكل ما يعد إحساناً في نظر الشارع والعرف، ولا يقتصر الإحسان في حياتهما فقط، إذ تمتد لما بعد وفاتهما، وذلك بالتصدق بالأعمال الصالحة التي يعود أجرها وثوابها إليهما[١]، فقد روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قوله (سيد الأبرار يوم القيامة رجل بر والديه بعد موتهما)[٢]، عن محمد بن مروان قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام) (ما يمنع الرجل منكم أن يبر والديه حيين أو ميتين: يصلي عنهما، ويتصدق عنهما، ويحج عنهما، ويصوم عنهما، فيكون الذي صنع لهما، وله مثل ذلك، فيزيده الله عز وجل ببره وصلته خيرا كثيرا)[٣] .

وقد عظم الله عزَّ وجلّ (حق الوالدين في مواضع عدة من كتابه العزيز، لأنهما السبب الظاهر - بعد الله – عز وجل في وجود الولد في هذه الحياة، ولهما من المحبة للولد والإحسان إليه والقرب، ما يقتضي تأكيد حقهما ووجوب البر بهما، ولهذا قرن الله سبحانه وتعالى حقهما بحقه وأصى بهما في عدة مواضع في كتابه العزيز)[٤] .

قال تعالى ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۝ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: الآية ٢٣- ٢٤]، إذ قرن الله تعالى في هذه الآية وفي غيرها الأمر بعبادته بالأمر ببر الوالدين والاحسان لهما إحسانا تاماً في المعاملة، ومن مظاهر الإحسان التي فُصِل في هذه الآية، عندما يبلغ الوالدان أو أحدهما سن الكبر، ويمسيان في أخر العمر بحالة من العجز والضعف، فعلى الأبن المبادرة الى اتباع الواجبات الخمسة التي أمر الله تعالى تطبيقها قولاً وفعلاً ، الأول – عدم التكلم واسماع الوالدين قولاً فيه

(١) ظ، عباس علي الموسوي، الواضح في التفسير، ٤/ ١١٢ .
(٢) محمد الريشهري، ميزان الحكمة، ٤/ ٣٦٧٥ .
(٣) م. ن، ٣٦٧٥/٤ .
(٤) سليمان ابراهيم عبدالله، عون الرحمن في تفسير القرآن، ٧١/١٣ .

ادنى اساءة لهما، وعدم التضجر والتألم التي هو أدنى مراتب القول السيئ في أي حال كانا وبالخصوص حالة الكبر، الثاني – أن لا يصدر من الأبن أي فعل قبيح بحقهما، وتجنب استخدام اسلوب الزجر والتعامل الغليظ معهما، الثالث – التكلم مع الوالدين بالقول اللين الطيب الحسن المقرون بالتوقير والتعظيم والحياء والأدب الجم، ويلاحظ أن الله سبحانه وتعالى قدم النهي عن المؤذي، ثم أمر بالقول الحسن والكلام الطيب، لأن منع الأذى أولى من إحسان القول والفعل، الرابع – إلانة الجانب والمبالغة في التواضع لهما بالفعل، رحمةً بهما وشفقةُ عليهما، الخامس – الطلب لهما من الله عزَّ وجلّ الرحمة في حال كبرهما وعند وفاتهما، رداً لجميل الإحسان التي أحسنا إليه في تربيتهما في الصغر[١] .

وكذلك في موضع أخر من القرآن الكريم، قرن الله عزَّ وجلّ شكر الوالدين بشكره، قال تعالى ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ [لقمان: الآية ١٤]، ويعد هذا التعبير (من التعابير القرآنية العجيبة ولا نظير له في أي موضع من القرآن، يدعوا الله عزو وجل: اشكروني أولاً ثم يدعو الى شكر الوالدين مباشرة، الملفت هو عدم الفصل بين شكر الوالدين وبين شكر الله سبحانه في العبارة، بل ذكر الأمر بشكر الله وشكر الوالدين بفعل واحد)[٢]، وقد روي عن الإمام الرضا (عليه السلام) قوله: (إن الله عز وجل... أمر بالشكر له وللوالدين، فمن لم يشكر والديه لم يشكر الله)[٣] .

وكما بينا أن الإسلام يؤكد ويدعو الى الاحسان إليهما ولكن في الوقت نفسه، يأمر بعدم إطاعة الوالدين عند دعوتهما الى الشرك فقط، حيث لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ومع ذلك يوصي الإسلام بالتعامل الحسن معهما في الدنيا، قال تعالى ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت: الآية ٨]، وقال تعالى ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي

(١) ظ، وهبة الزحيلي، التفسير المنير، ٨/ ٥٨ ـ ٦٠ .
(٢) محمد تقي المصباح اليزدي، الأخلاق في القران الكريم، ٣/ ٥٣ .
(٣) محمد الريشهري، ميزان الحكمة، ٤/ ٣٦٧٤ .

الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: الآية ١٥]، وحقوق الوالدين في الإسلام لا ترتبط بقضية الدين في وجوب أن يكونا مسلمين، بل أوجب الإحسان ورعاية حقوقهم بمعزل عن ذلك، يقول الإمام الرِّضا (عليه السلام): (برّ الوالدين واجب وإنْ كانا مشركين ، ولا طاعة لهما في معصية الخالق)[١]، ولم يكتف الإمام الرِّضا (عليه السلام) بل كشف عن الحكمة من وراء هذا التحريم بقوله: (حرّم الله عقوق الوالدين لما فيه من الخروج من التّوفيق لطاعة الله عزّ وجلّ، والتّوقير للوالدين، وتجنّب كفر النّعمة ، وابطال الشكر، وما يدعو من ذلك إلى قلّة النّسل وانقطاعه، لما في العقوق من قلّة توقير الوالدين، والعرفان بحقّهما وقطع الأرحام، والزّهد من الوالدين في الولد، وترك التّربية بعلّة ترك الولد برّهما)[٢] .

وأن أهل بيت النبوة صلوات الله عليهم، عملوا على تحديد الحكم الشرعي من الرؤية القرآنية في استثارة الدوافع السلوكية الأخلاقية على بر الوالدين، إذ عدّ الامام علي (عليه السلام): (برّ الوالدين أكبر فريضة)[٣]، عن عنبسة بن مصعب، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: (ثلاث لم يجعل الله عز وجل لأحد فيهن رخصة: أداء الأمانة إلى البر والفاجر، والوفاء بالعهد للبر والفاجر، وبر الوالدين برين كانا أو فاجرين)[٤] .

وأكثر ما يوصي به أهل بيت النبوة هو الإحسان الى الأم، وهذا يلاحظ في القرآن الكريم، بقوله تعالى ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾ [لقمان: الآية ١٤]، حيث (تتضمن هذه الآية تأكيداً شديداً على حق الأم، كما أن الروايات تثبت للأم حقاً أكبر من حق الأب، فهي تدعو للاهتمام بالوالدين أولاً وفي التعابير التالية تذكر بحق الأم وأتعابها أيام الحمل وارضاع الطفل وتربيته، والهدف هو بيان الحكمة في سبب هذا الكم الكبير من الدعوة الى الإحسان

(١) محمد الريشهري، ٣٦٧٥/٤ .
(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ٧١/ ٧٤ .
(٣) الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، ١٧٨/١٥ .
(٤) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ٢١/ ٤٩٠ .

والبر بالوالدين وخاصة الأم)[١]، ونستلهم هذا المعنى من قول نبي الرحمة، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال (جاء رجل إلى النبي (صلى الله عليه وآله) فقال: يا رسول الله، من أبر؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أباك)[٢] .

وفي رسالة الحقوق للإمام زين العابدين (عليه السلام) قال (أمّا حق أبيك فأنْ تعلم أنّه أصلك ، وأنّه لولاه لم تكن، فمهما رأيت في نفسك ممّا يعجبك ، فاعلم أنّ أباك أصل النعمة عليك فيه، فاحمد الله واشكره على قدر ذلك، ولا قوة إلاّ بالله) وأما في حق الأم قال الامام (عليه السلام) (فأن تعلم أنها حملتك حيث لا يحتمل أحد أحدا، وأعطتك من ثمرة قلبها مالا يعطي أحد أحدا، ووقتك بجميع جوارحها، ولم تبال أن تجوع وتطعمك، وتعطش وتسقيك، وتعرى وتكسوك، وتضحى وتظلك، وتهجر النوم لأجلك، ووقتك الحر والبرد، لتكون لها، فإنك لا تطيق شكرها إلا بعون الله وتوفيقه)[٣]، وبهذه الكلمات يحرك الإمام وجدان البر والرحمة في قلوب الأبناء، بالصورة الموحية والعبارات الندية .

نلمس بوضوح من خلال النصوص الواردة في القرآن الكريم وأحاديث أهل البيت (عليهم السلام) عمق التركيز على الحقوق المعنوية للوالدين، ولعل السرّ في ذلك أن تنشئة الأولاد فكريا ووجدانياً من خلال إدراك هذا النوع من الحقوق الاعتبارية، يمنح الأولاد المناعة والحصانة من الإصابة بالأمراض الاجتماعية، وبذلك يحفظ كيان الأسرة كمجتمع صغير، تنعكس أعراضها وآثارها التدميرية على المجتمع الكبير .

(١) محمد تقي المصباح اليزدي، الأخلاق في القران الكريم، ٣/ ٥٣ .
(٢) الكليني، الكافي، ٢/ ١٥٩ .
(٣) رسالة الحقوق للإمام السجاد (عليه السلام) .

الأمر الثالث: المبادرة في نطاق آيات صلة الرحم :

إن تنظيم الناس في المجتمع الإسلامي تنطلق من بصائر السماوية في إطار الإيمان والتقوى، فالأسرة هي ركيزة البناء الاجتماعي، القائم على الرحم وصلة الدم والقرابة مما يدعوهم الى التراحم والتعاون، عرفاناً بالوفاء وقياماً بحق الشكر؛ لأن القرابة المبنية على ودّ ومحبة وتعاطف تُشعر الإنسان بالسعادة وتجعله يحس بالقوة المعنوية في المجتمع، فيسر بسرورهم ويحزن بحزنهم[١]، قال تعالى ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: الآية١]، قال الشيخ الطوسي في تفسير الآية (فيه وعظ بأن يُتّقى عصيانه بترك ما أُمر به وارتكاب ما نهي عنه، وحذر من قطع الأرحام لما أراد من الوصية بالأولاد والنساء والضعفاء، فأعلمهم أنهم من نفس واحدة، فيكون ذلك داعياً لهم الى لزوم أمره وحدوده في ورثتهم ومن يخلفون بعدهم)[٢]، فالله تعالى قد أمر في آيات جمة بصلة الرحم، وأكد ذلك رسول الله وأهل بيته الطيبين الطاهرين(عليهم السلام) في مواضع عدة؛ لأنها واجبة، كوجوب سائر الفرائض التي شرعها المولى، فوجب على الإنسان السعي بالمبادرة الى التحلي بالتقوى لامتثال أمر الله تعالى واجتناب نواهيه بصلة الرحم وعدم قطعها، لنيل رضا الله تعالى والفوز بالجنة، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) (أوصي الشاهد من أمتي والغائب منهم ومن في أصلاب الرجال و أرحام النساء إلى يوم القيامة أن يصل الرحم وإن كانت منه على مسيرة سنة، فإن ذلك من الدين)[٣] .

نلاحظ أن رسول الله (ص) يصور أهمية صلة الرحم بقوله (صلة الرحم تعمر الديار، وتزيد في الاعمار، وإن كان أهلها غير أخيار)[٤]، لأنها تعود بالخير والبركة على الناس والمجتمع في هذه الدنيا وفي الأخرة فقد روي عن مولانا الامام

(١) ظ، وهبة الزحيلي، تفسير المنير، ٢/ ٥٥٥- ٥٥٦ .
(٢) الطوسي، التبيان، ٣٤٥/٤ .
(٣) الكليني، الكافي ، ١٥١/٢ .
(٤) المجلسي، بحار الأنوار، ٩٤/٧١ .

الصادق (عليه السلام) قوله (إن صلة الرحم والبر ليهونان الحساب ويعصمان من الذنوب)[١] .

وتأكيد الإسلام على صلة الرحم، لسبب يعود الى أن عملية إصلاح المجتمع وتقوية بنيته وصيانة مسيرة تكامله وعظمته في المجالات المادية والمعنوية، تفرض البدء بتقوية اللبنات الأساسية التي يتكون منها البناء الاجتماعي، وعند استحكام اللبنات وتقويتها يتم إصلاح المجتمع تلقائياً، والدين الإسلامي مارس هذه العملية على النحو الأكمل في بناءه القوي الشامخ، وقد أمر بإصلاح الوحدات الإجتماعية، والأمر واضح أن المجتمع يزداد قوةً وعظمةً كلما ازداد التماسك والتعاون والتعاضد في الوحدات الإجتماعية الصغيرة المتمثلة بالأُسرة[٢]، ويشير الى هذه الحقيقة الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وآله: (صلة الرحم تعمر الديار)[٣] .

وفي سياق آيات سورة الرعد، يذكر العليم الحكيم بعض الصفات السلوكية للمؤمنين، ومن أبرز صفات المؤمنين الملتزمين بأمر المولى هي خشية الله في كل حال، قال تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ﴾ [الرعد: الآية ٢١]، وفي معنى الآية قال الشيخ محمد جواد مغنية في تفسيره لها (وأقربها الى روح الإسلام ومبادئه قول من قال: أن المراد به مناصرة الإنسان لأخيه الإنسان، والتعاون معه على كشف الضر عنه وجلب النفع له قريباً أو بعيداً)[٤]، وأي مجتمع تسود فيه مظاهر الرحمة والتعاون والتودد، يزداد التفاعل والتكامل بين أبناء المجتمع، وكلما كانت مظاهر أبناء المجتمع متينة، كانت أقرب الى رحمة الله، أما إذا قطعوا الصلة التي أمر الله بها، فإن لعنة الله المتمثلة في الحرمان والعذاب تنزل بهم، ولهم سوء الدار قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثاقِهِ وَ يَقْطَعُونَ ما أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولئِكَ لَهُمُ

(١) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ٢١/ ٥٣٩ .
(٢) ظ، ناصر المكارم الشيرازي، مئة موضوع أخلاقي في القرآن والحديث، ص١٩٥ .
(٣) المجلسي، بحار الأنوار، ٧١/ ٩٤ .
(٤) محمد جواد مغنية، تفسير الكاشف، ٣٩٨/٤ .

اللَّعْنَةُ وَ لَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [الرعد: الآية ٢٥]، وهذه من أبرز صفات الكفار في نقض عهد الله[١]، وقد ورد في الحديث عن الإمام زين العابدين أنه قال لإبنه الامام الباقر (عليهما السلام) (وإياك ومصاحبة القاطع لرحمه فإني وجدته ملعونا في كتاب الله في ثلاثة مواضع قال الله عز وجل، فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم، وقال: الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار وقال: في سورة البقرة: الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون)[٢] .

وقد نهت النصوص الواردة عن آل بيت (عليهم السلام) أشد النهي عن قطع الصلة بالرحم، جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: (أي الأعمال أبغض إلى الله؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: الشرك بالله، قال ثم ماذا؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: قطيعة الرحم، قال ثم ماذا؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف)[٣]. وكذلك تمنع نزول البركة والرحمة على العباد وعنه (ص) (إن الرحمة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم)[٤] وإن قطع الرحم من الذنوب التي تعجل الفناء، قال الإمام علي (عليه السلام): (أعوذ بالله من الذنوب التي تعجل الفناء فقام إليه عبد الله بن الكواء اليشكري فقال: يا أمير المؤمنين: أو يكون ذنوب تعجل الفناء؟ فقال: نعم ويلك قطيعة الرحم)[٥] .

والمجتمع عبارة عن أسرة الكبيرة التي تعيش فيه الأفراد ضمن خلايا متنوعة، يتحمل الفرد مسؤوليته تجاه المجتمع، قال تعالى ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ

(١) ظ، محمد تقي المدرسي، من هدى القرآن، ٤/ ٢٠٤- ٢٠٥ .
(٢) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ٣٣/١٢ .
(٣) محمد الريشهري، ميزان الحكمة، ٢٧٤/١ .
(٤) م. ن، ١٠٥٧/٢ .
(٥) م. ن ، ٢/ ١٠٥٧ .

الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: الآية ٣٦]، وقد بدأ الآية بنداء الدعوة الى توحيد الله وعدم الإشراك به؛ لأن هذا النداء يوحد التصور والمسار والهدف، ويجعل الإنسان خاضعاً في تصرفاته العملية لقوة واحدة وهي الله، لأنها تحدد للإنسان نقطة البدء التي تنتهي به في نهاية المطاف، فإذا كان الإنسان يريد أن يعبد الله وحده، عليه أن يحب ويراعي من يريد الله منه أن يُحَبْ ويُراعى، وهذه النماذج المذكورة في الآية ما هي إلا بعض النماذج الإنسانية التي تعيش داخل المجتمع[١] .

قال الإمام الباقر (عليه السلام) (وجدنا في كتاب رسول الله (صلى الله عليه وآله)... إذا قطعوا الأرحام جعلت الأموال في أيدي الأشرار)[٢] .

ويتبين من دلالة الآيات والروايات الإشارة على أهمية صلة الرحم والنهي والزجر عن قطعه يبدو أن صلة الرحم تعتبر المصداق الامثل في قول المولى سبحانه وتعالى ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ [الأنفال: الآية ٦٠]، ففي إعداد القوة التي تنهض بالحضارة وتحقيق الوحدة الإسلامية، بإعتبارها الأصل الذي يتفرع منها سائر القوى سواء العلمية أو الاقتصادية أو السياسية، التي تنهض بالتعاون والإحسان والتعاطف والمحبة لبناء مجتمع قوي ومتماسك، وإذا لم يبادر المسلمين ويسعون الى تطبيق هذه الفريضة المهمة، سيكون سبب لتسلط الأعداء والأشرار عليهم وعلى أموالهم، يقول سيد الوصيين الإمام علي (عليه السلام): (إذا قطعوا الأرحام جعلت الأموال في أيدي الأشرار)[٣]، وبالخصوص قطع الصلة ببيت الحكمة ومهبط الرسالة نبي الرحمة وأهل بيته (عليهم السلام) لأنهم بوصلة الحياة وسفينة النجاة.

(١) ظ، محمد حسين فضل الله، من وحي القرآن، ٢٥٧/٧- ٢٥٨ .
(٢) محمد الريشهري، ميزان الحكمة، ٢/ ١٠٥٧ .
(٣) م، ن، ١٠٥٧/٢ .

المبحث السادس: المبادرة في نطاق آيات الآمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

تمثل مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هدف الإسلام الجوهري في دعوته للناس جميعاً غايةً وأداءً في انتظامهم واستقامتهم منهجا وسلوكاً في مستويات الحياة المختلفة للمجتمع، حيث توجد فيه طبقة واعية تبادر الى تبني خط الدعوة الى الله تعالى، الأول على مستوى الفردي وهذا يوجب عليه تولي مراقبة تصرفات الأفراد الأخرين، والثاني يكون على مستوى الجماعي وهذا يتولى مسؤوليات الأمة بما هي أمة، إذ تجب عليها أن يقوم بمراقبة ومتابعة ومعالجة كل الانحرافات والاعوجاجات الاجتماعية بالتعاون بين أفرادها وأعضائها كافة وتضع حداً لها، وهذا الشمولية في الواجب بحسب التحديات الثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية الشريرة المضادة لقوى الكفر والشر[1] .

فتعد فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمثابة غطاء وقائي لحماية المجتمع وصيانتها والمحافظة على قيمها ومبادئها، من القوى المعادية للوحدة الإجتماعية، فلحمايتها من التمزق والتفرقة فلا بد من مراقبة مستمرة ورعاية دائمة لهذه الوحدة، ولا يتم ذلك إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذ قال تعالى ﴿وَ لْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ أُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: الآية ١٠٤]، فتعد الركيزة الأساسية وأصل من أصول الدين الإسلامي، إلا أنه تباينت الأقوال بين العلماء على أنهما من فروض الكفايات أو أنهما من فروض الأعيان، كل يدلوا بدلوه بما توصل إليه من الأدلة، حيث يقول الطبرسي (وفي هذه الآية دلالة واضحة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعظم موقعها ومحلهما من الدين، لآنه تعالى علق الفلاح بهما)[2]، وكذلك

(1) ظ، محمد حسين فضل الله، من وحي القرآن، ٢٠١/٦ ، ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل، ٣١٩/٢ .
(2) الطبرسي، مجمع البيان، ٢٨٨/٢ .

[1]، وفي تفسير العياشي(ت٣٢٠هـ)، (عن أبي عبد الله عليه السلام قال في قوله ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر " قال: في هذه الآية تكفير أهل القبلة بالمعاصي، لأنه من لم يكن يدعو إلى الخيرات ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر من المسلمين فليس من الأمة التي وصفها الله لأنكم تزعمون أن جميع المسلمين من أمة محمد وقد بدت هذه الآية وقد وصفت أمة محمد بالدعاء إلى الخير و الامر بالمعروف والنهى عن المنكر، ومن لم يوجد فيه الصفة التي وصفت بها فكيف يكون من الأمة وهو على خلاف ما شرطه الله على الأمة ووصفها به)[2] .

ولعظمة فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أنها اصبحت معياراً للتفاضل بين الأمم، وبما أن دين النبي محمد (صلى الله عليه وآله) أخر الأديان الإلهية وأكمل الشرائع وأتمها، فإن أمة محمد خير الأمم، قال تعالى ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ تَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ لَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَ أَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: الآية ١١٠]، فهم خير الأمم ما داموا يدعون الى خير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ولكن إذا أهملوا وتركوا هاتين الفريضتين سلبت منهم الخيرية والأفضلية التي لا تتحقق بالشعارات، بل بالإيمان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والأمر اللافت في هذه الآية تقدم فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الإيمان، ذلك لأن القيام بهذين الواجبين المقدسين، مما يوجب انتشار الإيمان واتساع رقعته، وتعميق جدوره في النفوس، وذلك يؤدي الى تنفيد كل القوانين الفردية والاجتماعية، وتعطيل الفريضتين، تضعف العقائد، وينهار الإيمان في النفوس، وينتشر الفساد والانحلال الاخلاقي في المجتمع[3]، والرسالة الإلهية التي تُحمّل أي أمة – سواء أكانت أمة

(١) ظ، الطوسي، تفسير التبيان، ١٧٩/٤ .
(٢) العياشي، تفسير العياشي، ٣٣٥/١ .
(٣) ظ، محمد جواد مغنية، تفسير الكاشف، ١٣١/٢، ناصر مكارم الشيرازي، تفسير الأمثل، ٣٢٩/٢، محسن القرائتي، تفسير النور، ٥٥٦/١ .

أهل الكتاب أو أمة محمد (صلى الله عليه وآله) – هذه المسؤولية العظيمة لأصبحت خير أمة أخرجت للناس، بشرط تطبيقها وعدم إهمالها[1] .

وبما أن الأفراد في المجتمعات تنقسم من حيث الطابع الديني الى فئتين، فئة أهل الإيمان وأخرى أهل النفاق، ولكل منهما دوره الفعال في بناء المجتمع أو تهديمه، ففي ذكر قسم الأول من الناس، قال تعالى ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَ الْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ يُطِيعُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ أُولٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: الآية ٧١] .

فالمؤمنون يربطهم رباط المودة والرحمة، النابع من حق الولاية فيما بينهم من تقديم النصح والارشاد في ظل طاعة الله ورسوله، لأنهم يبادرون باستمرار في تطبيق فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والقيام بالواجبات المفروضة عليهم، لينهالوا من فيض الرحمة الإلهية[2]، بينما المنافقون تجمعهم مبادئ وأعمال مشتركة وفق مبدأ المصلحة والمنفعة الشخصية، حيث يحث بعضهم البعض على المداومة والاستمرار في طريق الانحراف واشاعة الفواحش والدعوة الى المنكرات والنهي عن المعروف في أوسع نطاق من المجتمع، فهم لا يقومون بأي عمل ايجابي في سبيل تقدم الأمة وصلاحها[3]، قال تعالى ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [التوبة: الآية ٦٧] .

وتقدم فريضتي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الآية السابقة على الفرائض الأخرى، لما لها من أهمية كبيرة، فهي الأساس التي تقوم عليها الفرائض الأخرى، حيث أن الأمر بالمعروف هو أمرٌ: بالصلاة، والصوم، والجهاد ... ، وجميع اعمال البر والإحسان، والنهي عن المنكر، نهيٌ عن الفساد والفاحشة والرذيلة والخيانة والكذب والتكبر ... ، فقد روي عن الإمام الحسين (عليه السلام)قوله (اعتبروا أيها

(1) ظ، محمد تقي المدرسي، من هدى القرآن، ٤٤٧/١ .
(2) ظ، محسن القرائتي، تفسير النور، ٣/ ٤٤٠- ٤٤١ .
(3) ظ، م. ن ، ٣/ ٤٣٥- ٤٣٦ .

الناس بما وعظ الله به أولياءه... وقال: (المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر)، فبدأ الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة منه، لعلمه بأنها إذا أديت وأقيمت استقامت الفرائض كلها هينها وصعبها، وذلك أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دعاء إلى الإسلام مع رد المظالم ومخالفة الظالم، وقسمة الفئ والغنائم، وأخذ الصدقات من مواضعها، ووضعها في حقها)[١]، ويتبين أهمية هذه الفريضة أكثر في حديث الإمام الباقر (عليه السلام) (إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل الأنبياء، ومنهاج الصلحاء، فريضة عظيمة بها تقام الفرائض، وتأمن المذاهب، وتحل المكاسب، وترد المظالم، وتعمر الأرض، وينتصف من الأعداء، ويستقيم الأمر)[٢]، ونلاحظ من كلام الإمام أن القيام بهذه الواجب المقدس ينظم كافة جوانب الحياة، فبهما تصان الواجبات وتستمر، فتغدو الأديان بأمان، وتزدهر الأعمال، وتسترد الحقوق، وتعمر الأرض، ويبوء الأعداء بالخسران، وينبسط الطريق أمام الأخرين[٣]، وقال أمير المؤمنين علي (عليه السلام) (وما أعمال البر كلها والجهاد في سبيل الله عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا كنفثة في بحر لجي)[٤] .

وتعتبر هذه الفريضة بالدرجة الأولى، من مسؤولية الأنبياء والمرسلين والأولياء والأوصياء والصالحين والعلماء، التي تعتبر من أولوياتهم الإصلاحية في تغير الواقع الاجتماعي، وقال محمد مهدي النراقي (ت ١٢٠٩هـ) (وهو أعظم مراسم الدين، والمهم الذي بعث الله لأجله النبيين، ونصب من بعدهم الخلفاء والأوصياء، وجعل نوابهم أولي النفوس القدسية من العلماء، بل هو القطب الذي تدور عليه أرحية الملل والأديان وتطرق الاختلال فيه يؤذي الى سقوطها عن الدوران)[٥]، وعلى رأسهم خاتم الأنبياء والمرسلين نبي الرحمة محمد بن عبدالله (صلى الله عليه

(١) محمد الريشهري، ميزان الحكمة، ١٩٤٣/٣ .
(٢) محمد الريشهري، ميزان الحكمة، ١٩٤٣/٣ .
(٣) ظ، عبد الحسين دستغيب، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ص٢٧ .
(٤) نهج البلاغة، ٨٩/٤ .
(٥) محمد مهدي النراقي، جامع السعادات، ٤٢٣/٢ .

وآله) وهي صفة لازمة له، قال تعالى ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَ الْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ يُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَ يُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَ يَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَ الْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَ عَزَّرُوهُ وَ نَصَرُوهُ وَ اتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: الآية ١٥٧]، وقد جاء من بعده أئمة أهل البيت (عليهم السلام) وقد قاموا بهذه المسؤولية الكبيرة، وذلك بالمبادرة بالوقوف أمام السلطات المستكبرة والقوى الطاغية والتصدي للانحرافات الفكرية والعقائدية والموجات الثقافية، التي كانت تصب على المجتمعات الإسلامية.

وهو أيضاً من مسؤوليات المؤمنين في أداء هذه الفريضة على مستوى الأمة، ومؤازرة بعضهم البعض، لجعل المجتمع متكامل بين أبنائه، وهي أيضاً سمة من السمات التي اشترى الله من المؤمنين أنفسهم وأموالهم، قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم ... التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ النَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ الْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: الآية ١١١- ١١٢]، وقال تعالى ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَ آتَوُا الزَّكَاةَ وَ أَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَ نَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَ لِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: الآية ٤١]، وفي هذا النص إشارة الى قوة المؤمن وعزمه وإصراره، الذي لا يخشى في الله لومة لائم، بخلاف المؤمن الضعيف الذي لا يقوم بهذا الواجب، قال النبي (صلى الله عليه وآله): (إن الله عز وجل ليبغض المؤمن الضعيف الذي لا دين له، فقيل له: وما المؤمن الذي لا دين له؟ قال: الذي لا ينهى عن المنكر)[١]، وقال الإمام علي (عليه السلام) (وإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقربان من أجل ولا ينقصان من رزق)[٢]، فهذا تحفيز من أمير المؤمنين وتشجيع للناس بأن يوجد فيهم روح الجرأة والتضحية والتوكل، لأجل القيام بهذه

(١) محمد الريشهري، ميزان الحكمة، ١٩٤١/٣ .
(٢) م. ن، ١٩٤٤/٣ .

الفريضة المقدسة، لأنه لا يليق للمؤمن الخوف من القتل ونقصان الرزق، وكذلك هي تنبيه للذين يشايعون الطغاة رغبة في منفعتهم وخوفاً من مضرتهم .

ولكي يؤدي المكلف هذه الفريضة يجب عليه معرفة شروطه التي ذكرها الفقهاء والعلماء في كتبهم، وهي على النحو التالي، الأول: العلم بالمعروف والمنكر، الثاني: احتمال التأثير، وأما الثالث: الإصرار والاستمرار على المعصية، الرابع: عدم وجود مفسدة للقائم بهذه الفريضة .

ولهذه الفريضة العظيمة مراتب لا بدّ للمكلف من الالتزام بها ومراعاتها، فقد روي عن رسول الله صلى عليه وآله وسلم (من رأى منكم منكرا فلينكر بيده إن استطاع، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه فحسبه أن يعلم الله من قلبه أنه لذلك كاره)[١]، وعنه (صلى الله عليه وآله) (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه ليس وراء ذلك شئ من الايمان وفي رواية ان ذلك أضعف الايمان)[٢]، وعن أبي جعفر عليه السلام قال (فأنكروا بقلوبكم، والفظوا بألسنتكم، وصكوا بها جباههم ولا تخافوا في الله لومة لائم، فان اتعظوا والى الحق رجعوا فلا سبيل عليهم إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم، هنالك فجاهدوهم بأبدانكم وابغضوهم بقلوبكم غير طالبين سلطانا، ولا باغين مالا ولا مرتدين بالظلم ظفرا حتى يفيؤا إلى أمر الله ويمضوا على طاعته)[٣] .

ومن هذه الروايات الواردة يتبين مراتب الإنكار وقد رتبها الفقهاء وفق منظورهم من الأدنى الى الأعلى، على نحو: الإنكار بالقلب، قال أمير المؤمنين (عليه السلام) أمرنا رسول الله (صلى الله على وآله) (أن نلقي أهل المعاصي بوجوه مكفهرة)[٤]،

(١) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ١٣٥/١٦.
(٢) البروجردي، جامع أحاديث الشيعة، ٣٩٨/١٤ .
(٣) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ١٦/ ١٣١ .
(٤) الكليني، الكافي، ٥٩/٥ .

وقال (عليه السلام) (أدنى الانكار أن تلقى أهل المعاصي بوجوه مكفهرة)[1]، وفضلاً عن الإنكار في القلب فهناك الإنكار باللسان والإنكار باليد .

ولكن في حال وجود حكومة إسلامية مبسوطة اليد، يجب على المكلفين الاكتفاء بالإنكار القلبي واللساني، وترك استخدام القوة على عاتق الحكومة والمسؤولين المختصين في القوة الانتظامية والقضائية[2] .

وماذا يحل للأمة التي إذا تخلت وأهملت هذه الفريضة الكبيرة ذات الأثر المهم في التغير، فقد ورد في القرآن الكريم أخبار عن الأمم السابقة، وما حدث لهم بتركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهم لم ينهوا بعضهم بعضاً، ولم يكفوا عما نهوا عنه، بل ازدادوا معصيةً وفساداً فاستحقوا اللعن والعذاب[3]، قال تعالى ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: الآية ٧٨- ٧٩]، وقال تعالى ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ۝ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۝ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ۝ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [الأعراف: الآية ١٦٣- ١٦٦] .

فهؤلاء القوم كانوا على ثلاث فئات: الفئة الأولى كانت تخالف أمر الله، والفئة الثانية كانت تقف محايدةً، والفئة الثالثة كانت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، والفئة الثالثة هي التي نجت من العذاب الإلهي، وقد ورد في روايات المعصومين (عليهم السلام)، أخبار الأقوام السابقة بتركهم هذه الفريضة الواجبة وما حل بهم، إذ روي

(1) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ١٤٣/١٦ .
(2) ظ، علي الخامنئي، القرآن كتاب الحياة، ١٢٣ .
(3) ظ، الطوسي، التبيان، ٤١١/٥، الطبرسي، مجمع البيان، ٣٢٥/٣ .

عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: (وأوحى الله عز وجل إلى شعيب النبي (عليه السلام): أني معذب من قومك مائة ألف أربعين ألفا من شرارهم وستين ألفا من خيارهم، فقال (عليه السلام): يا رب هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار، فأوحى الله عز وجل إليه: أنهم داهنوا أهل المعاصي ولم يغضبوا لغضبي)[1]، وكذلك عن الإمام علي (عليه السلام) قال (فإن الله سبحانه لم يلعن القرن الماضي بين أيديكم إلا لتركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فلعن الله السفهاء لركوب المعاصي، والحلماء لترك التناهي)[2]، ويبين أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام) أن العقوبة الإلهية لا تشمل المجتمع بأكملها إلا إذا تجاهرت الناس بالمعاصي علنا من غير أن ينهى وينكر فعلهم أحد، إذ قال (عليه السلام) (أيها الناس إن الله عز وجل لا يعذب العامة بذنب الخاصة إذا عملت الخاصة بالمنكر سرا من غير أن تعلم العامة، فإذا عملت الخاصة بالمنكر جهارا فلم يغير ذلك العامة استوجب الفريقان العقوبة من الله عز وجل)[3]، والعقوبة واللعن والعذاب التي حلت بتلك المجتمعات السابقة نتيجة قبح أعمالهم وتركهم للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وأما الأثار المترتبة على ترك هذه الفريضة العظيمة بالنسبة لأمة محمد، وردت أحاديث وروايات عن خاتم الأنبياء (صلى الله عليه وآله) وأهل البيت النبوة (عليه السلام)، تحذرهم وتنبئهم ما يؤول إليه أمر الناس من ترك هذه الفريضة، إذ روي عنه (صلى الله عليه وآله) (لا تزال أمتي بخير ما أمروا بالمعروف، ونهوا عن المنكر، وتعاونوا على البر، فإذا لم يفعلوا ذلك نزعت منهم البركات، وسلط بعضهم على بعض، ولم يكن لهم ناصر في الأرض ولا في السماء)[4]، وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) (إذا لم يأمروا بمعروف ولم ينهوا عن منكر ولم يتبعوا الأخيار من أهل بيتي، سلط الله عليهم شرارهم، فيدعوا عند ذلك خيارهم فلا

(1) الكليني، الكافي، ٥٦/٥ .
(2) نهج البلاغة، ١٥٦/٢ .
(3) المجلسي، بحار الأنوار، ٧٨/٩٧ .
(4) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ١٢٣/١٦ .

يستجاب لهم)[١]، وعن أبي الحسن الرضا (عليه السلام) كان رسول الله(صلى الله عليه وآله) يقول (إذا أمتي تواكلت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فليأذنوا بوقاع – بحرب – من الله تعالى)[٢]، وقال (صلى الله عليه وآله) (إذا عظمت أمتي الدنيا نزعت منها هيبة الإسلام، وإذا تركت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حرمت بركة الوحي)[٣] .

من هنا نلحظ الاثر الكبير لمسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتجد الإشارة أنه لا يخفى أن لهذه المسألة دور هام في تربية الأولاد والحفاظ على الأسرة، فقد عدّ القرآن الكريم هاتين الفريضتين من أهم الوسائل التربوية والتوجيهية التي أكد وشدد عليها الإسلام، إذ أوجب على عاتق الآباء القيام بهذا العمل في نطاق ولايته واسرته، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: الآية ٦]، عن أبي بصير قال (سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل " قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة " قلت: هذه نفسي أقيها فكيف أقي أهلي؟ قال: تأمرهم بما أمرهم الله به وتنهاهم عما نهاهم الله عنه، فان أطاعوك كنت وقيتهم، وإن عصوك فكنت قد قضيت ما عليك)[٤] .

وقضية تربية الأبناء من القضايا التي أولى لها الدين الاسلامي أهمية كبرى، إذ عهِد الى الوالدين بمهمة وقاية أبناءهم منذ بداية نشأتهم ونعومة أظافرهم من الإنحراف الفكري والخلقي والثقافي، بحسن تربيتهم على الخصال الحميدة والعادات المقبولة، وتوجيه غرائزهم وميولهم توجيهاً سليماً، لأجل أن يصان الطفل من التطبع على الأخلاق السيئة، ويتربى على سلامة الفكر وطهارة الضمير، ليكونوا أفراداً

(١) محمد الريشهري، ميزان الحكمة، ١٩٤٥/٣ .
(٢) الكليني، الكافي، ٥٩/٥ .
(٣) محمد الريشهري، ميزان الحكمة، ١٩٤٥/٣ .
(٤) المجلسي، بحار الأنوار، ٧٤/٩٧ .

صالحين وأعضاء نافعين للمجتمع[١]، وهم أمانةٌ الله بين يدّي الآباء، فإن أحسنوا اليهم بحسن التربية كانت لهم المثوبة، وإن أساءوا تربيتهم استوجبوا العقوبة، قال علي بن الحسين (عليه السلام) (وحق ولدك أن تعلم أنه منك ومضاف إليك في عاجل الدنيا بخيره وشره، وأنك مسؤول عما وليته من حسن الأدب والدلالة على ربه عز وجل، والمعونة له على طاعته، فاعمل في أمره عمل من يعلم أنه مثاب على الإحسان إليه معاقب على الإساءة إليه)[٢] .

ومن الأمور الخطيرة التي لا ينتبه لها الآباء والأمهات، أن الواردات الفكرية، والسلوكيات الصالحة أو الفاسدة التي تستقر في ذهن الطفل في بداية نشأته لا تمحى، بل تمثل المنهج العام لحياته الإجتماعية؛ لأن أي كلمة أو سلوك منحرف أمام الطفل، تنعكس أثاره عليه في مرحلة الشباب، وتوجد انحرافاً يؤدي الى مآسٍ عظيمة لا تجبر له وللمجتمع الذي يعيش فيه[٣]، وما يؤسف أن الناس في الحياة المعاصرة قد انحرفت عن طريق الفطرة الإلهية وقصرت اهتمامها على الجانب المادي من اللذائذ والشهوات فقط، متناسين أهمية الجانب المعنوي، وعلى هذا الأسلوب من التفكير يربون أبناءهم فيكون جلّ اهتمامهم بالجانب المادي من الحياة، في حين أن اهتمامهم بتربية الإيمان الفطري والسجايا الخلقية والواجبات الروحية منعدمة يكاد لا يبلغ الواحد في المائة من العناية بالجانب المادي، ولا ريب في أن الإنحراف عن السنن الإلهية لا يبقى بلا عقاب[٤] .

لذلك تبرز مسؤولية الآباء أكثر في العصر الراهن حيث تجتاح المجتمعات المحافظة بألوان متعددة من الفساد والانحراف والضلال الخطرة، فالمبادرة الى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يتوجب على المربين بذل أقصى الجهود، لحفظ النفس من الانجرار للشهوات والأهواء، وكذلك حفظ العائلة وبالخصوص الأولاد من

(١) ظ، محمد تقي الفلسفي، الأخلاق من منظور التعايش والقيم الإنسانية، ١٦٦/١ .
(٢) رسالة الحقوق ، للإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام .
(٣) ظ، محمد تقي الفلسفي، الطفل بين الوراثة والتربية، ٢٧/٢ .
(٤) ظ، محمد تقي الفلسفي، الطفل بين الوراثة والتربية، ١٤٨/١ .

الانحراف، وذلك بالتربية والتعليم وتهيئة الأجواء الصالحة والمحيط الطاهر من كل رذيلة ونقص[١]، وعلى الآباء أن يُعلموا أبنائهم أهمية فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويذكروهم بأنها وظيفة إلهية، بها تقام الفرائض، وتستقيم أمور المجتمع، ويوصي بأن لا يهملوه ولا يتركوه، ويحذروهم أن السكوت وعدم المبالات إزاء ارتكاب المعاصي موجب لصيرورة المعصية وهي ليست أفعال عادية، ولجرأة أهل المعاصي، وقسوة القلوب، ورضى الشيطان وغضب الله عز وجل، وانتشار الفساد، وتسلط المفسدين على سلطة الحكم، ولهذا يوصي نبي الله لقمان (عليه السلام) ابنه، ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاَةَ وَ أْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَ انْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ اصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: الآية ١٧]، فهو يوصيه بأن يكون مبادراً رسالياً ينطلق في خط التوحيد، آمراً بما يرضي الله وناهياً عن ما يسخطه، متصدياً لأعداء الله ومخططاتهم التي يسعون فيها لتحريف المسلمين عن جوهر الإسلام[٢]، وكذلك الحال بالنسبة الى أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام) حيث يوصي ولديه الحسن والحسين (عليهما السلام) عند الشهادة بقوله (لا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيولى عليكم شراركم ثم تدعون فلا يستجاب لكم)[٣]، ويشير أمير المؤمنين (عليه السلام) فالإمام يشير إشارة واضحة الدلالة، وهي أن ترك وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يتسلط ويتسلم مقاليد أمور المجتمع الأشرار، فيسلب الله تعالى عنهم الرحمة، وبذلك فإن الأخيار مهما دعوا وتضرعوا فلن يستجاب لهم، ومن جانب أخر فإن غياب هذا الواجب المقدس بين الناس، أمرٌ يؤدي للضعف والانحطاط والذل والتفرقة، وبالتالي فإن العدو لن يخشاكم ولن يحسب لكم أي حساب، وسيعاملكم معاملة العبيد والرقيق، فالمفهوم من كلام الإمام

(١) ظ، ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل، ٢٤٦/١٤ .
(٢) ظ، محسن قرائتي، تفسير النور، ٧/ ٢٣٣ .
(٣) محمد الريشهري، ميزان الحكمة، ١٩٤٥/٣ .

(عليه السلام) إن أي مجتمع أراد العز والكرامة واحترام الغير لكم، فعليكم عدم ترك وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[١] .

هناك مصاديق كثيرة تقع تحت ظل هذه الوظيفة التكليفية، وتشمل عنوانات متعددة، كما أشار لها الشيخ محمد تقي المصباح اليزدي وهي على النحو الآتي[٢] :

١- تعريف الجاهل بالإسلام وتعليمه أحكامها، بأسلوب تربوي وتعليمي تتناسب مع أعمارهم و واستعدادهم وقابليتهم ومكانتهم الاجتماعية .

٢- تقديم الموعظة للناس وتذكيرهم بما يؤول إليه مصير الأمة فراداً وجماعة إذا انحرفوا عن خط السماء .

٣- تسليح أفراد المجتمع الإسلامي بالفكر والوعي والبصيرة بمخططات العدو المتنوع التي يستهدف أي مفصل من مفاصل الحياة، ليتصدى لها كل مِن مركزه الإجتماعي .

٤- التصدي للهجوم التقافي: كذلك فإن من أهداف التي يسعى من أجلها أعداء الإسلام للوصول إلى مطامعهم هو حذف جوهر الإسلام ومحوِها من حياة المسلمين، وتعتبر الغزو الثقافي التي تستخدمها الأعداء في الاستعمار والسيطرة على المجتمعات الاسلامية من أخطر الجبهات وأكثرها سعةً وتعقيداً، حيث تستهدف الأفكار والعقائد والقيم الإسلامية، والإخلال بالحياة والروح المعنوية للمجتمع الاسلامي، وقد ادرك العدو ان الاسلوب الانجح في تجريد المجتمع عن الدين، هو اشاعة المنكرات واطلاق عنان الشهوات في المجتمع، التي تفتح السبل لممارسة الفساد والانحلال، والأسلوب الأخر هو زرع الشك في قلوب المسلمين وبالخصوص الشباب بالنسبة الى إيمانهم واعتقاداتهم الدينية، فبذلك تضعف عقائدهم وتتزلزل إيمانهم بالتقرب الى الله ونبذ الكفر، وبذلك يتخلى المسلم التمسك عن هويته الدينية والمذهبية والوطنية والقضايا المقدسة، ويتخذ من السلوك الاستعماري نموذجاً لهم

(١) مرتضى المطهري، الملحمة الحسينية، ٣٧/٢ .
(٢) ظ، محمد تقي مصباح اليزدي، بارقة من سماء كربلاء، ٢٢٠- ٢٤٥ .

في كل المجالات الحياة، والله سبحانه وتعالى يحذر رسوله والمسلمين، قال تعالى ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: الآية ١٢٠]، فأعداء الإسلام لن يتركوا المسلمين حتى يتخلوا عن دينهم التي جاء بها النبي محمد (صلى الله عليه وآله) ويتمسكوا بالظواهر الشكلية والجزئية، فالعدو يهدف على مر التاريخ الاسلامي بتجهيل المسلمين لأصول الإسلام الأساسية، وتعطيل الاحكام الحية التي تنهض بالواقع الاسلامي، وإضعاف الروح والطاقة الاسلامية النابضة في أوساط المسلمين، فالسيطرة الثقافية لأي مجتمع، تعني السيطرة على جميع مفاصل الحياة الإجتماعية، لذا يجب على العلماء المسلمين المبادرة بمساعٍ وجهود واسعة في مجال المواجهة الثقافية مع أعداء الإسلام، بإحياء الفكر الإسلامي وتبيين الحقائق ونشر القيم واظهار الثقافة الإسلامية الأصيلة[١] .

٥- الجهاد والحرص على الشهادة من أجل ايقاظ المجتمع: قد تكون الظروف الإجتماعية مناسبة بشكل يمكن فيه حفظ الدين بواسطة فعاليات والنشاطات الثقافية، تمهيداً ليوم ترتفع فيه مستوى وعي الناس وثقافتهم بحيث يستطيعون القيام والنهوض بأعمال أهم وأوسع، ولكن اذا تعرض المجتمع الاسلامي الى مؤامرات معقدة تهدف الى تضليل الناس وافسادهم والقضاء على حقيقة الاسلام، ولم تفلح الطرق العادية والمتعارفة في حل المشاكل، ولم يبق لإثبات ذلك سوى طريق واحد وهو النهوض الاستشهادي فإنه يصبح متعيناً[٢] .

وفي عصرنا اليوم قد ظهرت الكثير من المنكرات والفواحش والانحرافات الدينية والخلقية والاخلاقية، واختلط الحلال بالحرام، فقد ورد عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال النبي (صلى الله عليه وآله): (كيف بكم إذا فسدت نساؤكم وفسق شبابكم ولم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر، فقيل له: ويكون ذلك يا رسول الله؟ فقال نعم وشر من ذلك كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف، فقيل

(١) ظ، محمد تقي مصباح اليزدي، بارقة من سماء كربلاء، ص ٢٣٤ .
(٢) م. ن، ص ٢٣٨ .

له: يا رسول الله ويكون ذلك؟ قال: نعم، وشر من ذلك، كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكرا والمنكر معروفا)[١] .

فهذا الغزو الذي يشنّهه أعداء الإسلام، بوسائل مختلفة ومتعددة، يهدف الى نشر، الانحلال والانحراف القيمي الاخلاقي بين أفراد المجتمع، وجرهم الى مستنقع الرذيلة، فهذا نتيجة ترك الواجب المقدس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يقول مرتضى المطهري (إننا إذا أردنا أن نعيد الحياة الى هذا الأصل المنسي، علينا أن نخلق مدرسة وأسلوباً عملياً، لا بالقول فقط، وجماعياً لا فردياً، ومنطقاً مبنياً على الأسس العلمية لعلم النفس وعلم الاجتماع، عندئذ لنا أن نتوقع الموفقية مئة بالمئة)[٢] .

فعلى العلماء والمختصين والآباء، والمؤسسات الحكومية والدينية، المبادرة والسعي للتصدي للمنكرات التي سببها الغزو الثقافي، وذلك بالتسلح بالمعلومات اللازمة، والدراية التامة بالعوامل والخلفيات والمعوقات، والإشكاليات، والظروف الزمانية والمكانية، واستخدام السبل الضرورية وتوفير الاليات المناسبة، مقترناً ببرنامج مدروس وخطة محسوبة، ومحاولة استمداد الاساليب العديدة من أقوال الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) واستقائها من افعال الأولياء الإلهيين، فلا شك أنه سيكون لها تأثير أكبر

(١) الكليني، الكافي، ٥٩/٥ .
(٢) مرتضى المطهري، الثورة والدولة، ص١٨٤ .

الخاتمة

الخاتمة وأهم النتائج:

الحمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للناس وعلى آله الطيبين الطاهرين .

في ختام هذه الدراسة والرحلة العلمية حول مفهوم المبادرة في القرآن الكريم، توصل الباحث الى طائفة من النتائج، وهي على النحو الأتي:

١- تبلور أن مفهوم المبادرة في دلالته اللغوية والاصطلاحية معاني متعددة وعلى الرغم من ذلك التعدد تتوافق في الدلالة .

٢- اهتمام القرآن الكريم بمفهوم المبادرة اهتماماً بالغاً، وهذا مما يؤكد حرص الإسلام على المبادرة في المجالات المتعددة .

٣- عدم اقتصار مفهوم المبادرة على المعنى المادي المتعارف والمتبادر للذهن عند إطلاقه، بل تشمل المعاني والمفاهيم المعنوية أيضاً .

٤- تبلور أن القرآن الكريم له الأثر الكبير في تنمية القيم والمبادئ والأخلاق الإسلامية من خلال تعزيز مفهوم المبادرة في المجتمعات الإسلامية، وتحفيز وتشجيع الناس عليها في الحياة اليومية.

٥- ارتكاز المبادرة في القرآن الكريم على أسس كانت سبباُ في نجاحها، ولا بد من توافرها في أي مبادرة .

٦- تبّين أن للمبادر آثاراً وعواقب تعود على القائم بها في الدنيا قبل الآخرة، بحسب مضامين النصوص القرآنية .

٧- تعزيز دور المبادرة وتشجيع الناس عليها على الصعيد الفردي والجماعي

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم

* نهج البلاغة

* رسالة الحقوق للإمام زين العابدين علي بن الحسين (عليه السلام)

حرف الألف

١. الآصفي: محمد مهدي، سلسلة في رحاب القرآن (وعي القرآن)، دار القرآن الكريم، ايران- قم، المطبعة: امير، الطبعة: الاولى، ١٤١١هـ .

* الدعاء عند أهل البيت عليهم السلام، الناشر: منشورات المصطفى عليه السلام العالمية، ايران- قم، المطبعة: اميران، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٩هـ .

٢. أكرزام: الدكتور عبدالله، الفكر المقاصدي في تفسير المنار، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، النشر: مركز معرفة الإنسان للدراس ات والأبحاث، الأردن- عمان، الطبعة: الأولى، ١٤٣٧هـ .

٣. أمين: أحمد، التكامل في الإسلام، شركة الأعلمي للمطبوعات، لبنان- بيروت، الطبعة: الاولى، ١٤٣٢هـ .

٤. الآملي: عبدالله الجواد الطبري، تسنيم في تفسير القرآن، تحقيق: محمد عبدالمنعم الخاقاني، دار الإسراء، لبنان- بيروت، الطبعة: ١٤٣٢ .

٥. الأميني: إبراهيم، تزكية النفس وتهذيبها، دار البلاغة، الطبعة: الرابعة، ١٤٢١.

٦. الأندلسي: أبي حيان محمد بن يوسف، (ت ٧٤٥هـ)، تفسير البحر المحيط، دار الكتب العلمية، لبنان- بيروت، الطبعة: الاولى، ١٤١٣ .

٧. الأنصاري: مرتضى، (ت١٢٨١هـ)، كتاب الحج، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام ، الناشر: مجمع الفكر الإسلامي، ايران- قم، المطبعة: خاتم الأنبياء، الطبعة: الثالثة، ١٤٣١هـ .

حرف الباء

٨. البروجردي: الشيخ اسماعيل المعزي الملايري، (ت١٣٨٣هـ)، جامع أحاديث الشيعة، منشورات مدينة العلم، ايران- قم، المطبعة: العلمية، ١٤٠٧هـ .

٩. البغوي: أبي محمد الحسين بن مسعود، (ت ٥١٦)، تفسير البغوي، (معالم التنزيل)، دار طيبة، السعودية- الرياض، ١٤٠٩هـ .

١٠. البيات: حسين، سيكولوجية الذنب. المعصية- التوبة- النرفزة، دار الصفوة، الطبعة: الاولى، ١٤٣٢هـ .

حرف الجيم

١١. الجاحظ: أبي عثمان عمرو بن بحر، تهذيب الأخلاق، دار الصحابة للتراث، الطبعة: الاولى ١٤١٠هـ .

١٢. جبل: دكتور محمد حسن، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، مكتبة الآداب – القاهرة، الطبعة: الأولى، ٢٠١٠ م .

١٣. الجرجاني: علي بن محمد، (ت٨١٦هـ)، معجم التعريفات، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، مصر- القاهرة، ب، ت .

١٤. الجنابذي: سلطان محمد، تفسير بيان السعادة في مقامات العبادة، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، لبنان- بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨هـ .

١٥. الجوهري: أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي،(ت ٣٩٣هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، لبنان- بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤٠٧هـ .

١٦. أبو جيب: الدكتور سعدي، القاموس الفقهي لغة واصطلاحا، الناشر: دار الفكر. دمشق – سورية، الطبعة: الثانية ١٤٠٨ هـ .

حرف الحاء

١٧. الحر العاملي: محمد الحسن، (ت ١١٠٤هـ)، وسائل الشيعة، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ايران- قم، المطبعة: مهر، الطبعة: الثانية، ١٤١٤هـ .

١٨. حب الله: حيدر، المرأة في الفكر الإسلامي المعاصر قضايا وإشكالات، دار الهادي، لبنان- بيروت، الطبعة: الاولى، ١٤٢٩هـ .

حرف الخاء

١٩. الخامنئي: علي الحسيني، تفسير سورة براءة، الطبعة: الاولى، ٢٠٢٠م .

خمس مقالات في التوبة والاستغفار، الناشر: معاونية الإعلام الإسلامي، الطبعة: الاولى، ١٤٣٩هـ .

القرآن كتاب الحياة، دار الولاء، لبنان- بيروت، الطبعة: الاولى، ١٤٣٣هـ .

المرأة نصف الدنيا، مؤسسة التاريخ العربي، لبنان- بيروت، الطبعة: الاولى، ١٤٣٣ .

٢٠. الخميني: روح الله الموسوي، (ت ١٤٠٩هـ) الأربعون حديثاً، دار زين العابدين، لبنان- بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٣١هـ .

الآداب المعنوية للصلاة، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، لبنان- بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ .

حرف الدال

٢١. دستغيب: عبدالحسين، (ت ١٤٠٢هـ) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الدار الإسلامية، لبنان- بيروت، الطبعة: الاولى، ١٤٠٩هـ .

الذنوب الكبيرة، الدار الإسلامية، لبنان- بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٧هـ.

حرف الراء

٢٢. رئيس زاده: محمد حسين، مقامات الأسوة الحسنة، دار الولاء، لبنان- بيروت، الطبعة: الاولى، ١٤٣٤ هـ .

٢٣. الراغب الأصفهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد، (ت ٥٠٢هـ) المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، لبنان- بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ .

٢٤. الراوندي: قطب الدين ابي الحسين سعيد بن هبة الله، (ت ٥٧٣هـ)، فقه القرآن، تحقيق: احمد الحسيني، مكتبة آية الله العظمى النجفي المرعشي، ايران- قم، مطبعة الولاية، الطبعة: الثانية، ١٤٠٥هـ .

٢٥. رزق: خليل، نظام العلاقات الاجتماعية في نهج البلاغة، دار الولاء، الطبعة: الاولى، ١٤٢٢هـ .

٢٦. الريشهري: محمد، (ت ١٤٤٣هـ)، ميزان الحكمة، دار الحديث، ايران- قم، الطبعة: الاولى، ١٤١٦هـ .

نهج الدعاء، دار الحديث، ايران- قم، الطبعة: الثالثة، ١٤٣١هـ .

حرف الزاء

٢٧. الزَّبيدي: محمّد مرتضى الحسيني، (ت ١٢٠٥هـ) تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: جماعة من المختصين، من إصدارات: وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، أعوام النشر: ١٣٨٥ - ١٤٢٢هـ .

٢٨. الزحيلي: الدكتور وهبة، التفسير المنير في العقيد والشريعة والمنهج، دار الفكر، سوريا- دمشق، الطبعة: العاشرة، ١٤٣٠هـ .

٢٩. الزمخشري: جار الله محمود بن عمر بن محمد، (ت: ٥٣٨هـ)، الكشاف، دار الكتب العلمية، لبنان- بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ .

حرف السين

٣٠. السبحاني: جعفر، الحج في الشريعة الإسلامية الغراء، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام ، ايران- قم، الطبعة: الاولى، ١٤٢٤هـ .

٣١. السبزواري: السيد عبد الأعلى بن علي رضا بن عبد العلي، الأخلاق في القرآن، دار الكاتب العربي، لبنان- بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢هـ .

٣٢. السكاكي: أبي بكر محمد بن علي، (ت٦٢٦هـ)، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، لبنان- بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧هـ .

٣٣. السلمان: الدكتور ميثم، التفكير، تحقيق: موسى حسين صفوان، دار الولاء، لبنان- بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٣٠هـ .

٣٤. السمرقندي: نصر بن محمد بن أحمد بن ابراهيم، (ت ٣٧٥هـ)، تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم، دار الكتب العلمية، لبنان- بيروت، الطبعة: ١٤١٣هـ .

٣٥. السمين الحلبي: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، (ت ٧٥٦هـ)، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، تحقيق: محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية، الطبعة: الاولى، ١٤١٧هـ .

٣٦. السيوري: جمال الدين المقداد بن عبدالله، (ت ٨٢٦هـ)، كنز العرفان في فقه القرآن، عنيت بنشره المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية، ايران- طهران .

٣٧. السيوطي: جلال الدين، (ت ٩١١هـ)، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ناشرون، لبنان- بيروت، الطبعة: الاولى، ١٤٢٩هـ .

حرف الشين

٣٨. الشافعي: محمد بن عبدالرحمن بن محمد عبدالله الإيجي الشيرازي، (ت ٩٠٥هـ)، جامع البيان في تفسير القرآن، تحقيق: الدكتور عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، لبنان- بيروت، الطبعة: ١٤٢٤ .

٣٩. الشاهرودي: السيد محمود الهاشمي، (ت ١٤٤٠هـ)، بحوث في الفقه كتاب الزكاة، مؤسسة دائرة معارف الفقه الإسلامي، الطبعة: الاولى، ١٤٣٢هـ .

٤٠. شبر: عبدالله، (ت ١٤٢٢هـ)، الجوهر الثمين في تفسير الكتاب المبين، الناشر: ذوي القربى، المطبعة: سليمان زاده، الطبعة: الاولى١٤٣١هـ .

٤١. الشيب: ابو ميثم، الجهاد تقريراً لبحث آية الله الشيخ محمد مهدي الآصفي، الناشر: مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي، ايران- قم، الطبعة: الاولى، ١٤٢١هـ.

٤٢. الشيرازي: صادق الحسيني، المسائل الإسلامية، دار العلوم، الطبعة: الاولى، ١٤٣٢هـ .

٤٣. الشيرازي: محمد رضا الحسيني، (ت ١٤٢٢هـ)، التدبر في القرآن، دار العلوم، الطبعة: الرابعة، ١٤٣٥هـ .

٤٤. الشيرازي: ناصر مكارم، الأخلاق في القرآن، المؤسسة الإسلامية، مطبعة أمير المؤمنين عليه السلام، الناشر مدرسة الإمام علي ابن أبي طالب عليه السلام، ايران- قم، الطبعة: الثانية، ١٤٢٦هـ .

الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، لبنان- بيروت، الطبعة: الاولى، ١٤٣٤هـ .

حرف الصاد

٤٥. الصدر: محمد محمد صادق، (ت ١٤١٩هـ)، الأسرة في الإسلام، دار ومكتبة البصائر، لبنان- بيروت، ١٤٣١هـ .

٤٦. الصدوق: أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين ابن موسى بن بابويه القمي، (ت ٣٨١هـ)، الأمالي، تحقيق: قسم الدراسات الاسلامية، مؤسسة البعثة، ايران- قم، الطبعة: الاولى، ١٤١٧هـ .

علل الشرائع، دار المرتضى، لبنان- بيروت، الطبعة: الاولى، ١٤٢٧هـ .

٤٧. عيون أخبار الرضا (ع)، تحقيق: الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، لبنان- لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ .

معاني الأخبار، تحقيق: علي أكبر الغفاري، ١٣٧٩هـ .

من لا يحضره الفقيه، تحقيق: علي أكبر الغفاري، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، ايران- قم، الطبعة: الثانية .

٤٨. الصفار: حسن بن موسى، معرفة النفس، الطبعة: الثانية، ١٤٣٠هـ .

٤٩. الصفار: فاضل، العبادات في الفقه الإسلامي، مكتبة ابن الفهد الحلي، العراق- كربلاء المقدسة، الطبعة: الاولى، ١٤٣٨هـ .

مواهب الليل في شرح دعاء كميل، دار المحجة البيضاء، لبنان- بيروت، الطبعة: الاولى، ١٤٤٠هـ .

حرف الطاء

٥٠. طاهري: حبيب الله، مشاكل الأسرة وطرق حلها، دار الهادي، لبنان- بيروت، الطبعة: الاولى، ١٤٢٤هـ .

٥١. الطباطبائي: محمد حسين، (ت١٤٠٢هـ)، الميزان في تفسير القرآن، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة .

٥٢. الطبرسي: رضي الدين أبي نصر الحسن بن الفضل، مكارم الأخلاق، (ت ٥٤٨هـ)، الطبعة: السادسة، ١٣٩٢هـ .

٥٣. الطبرسي: الفضل بن الحسن، (ت: ٥٤٨هـ)، تفسير جوامع الجامع، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، إيران- قم، الطبعة، الثانية، ١٤٢٣هـ .

مجمع البيان في تفسير القرآن، دار العلوم، لبنان- بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ .

٥٤. الطبرسي: أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب، (ت٥٦٠هـ)، الاحتجاج، تحقيق: محمد باقر الخرسان، العراق- النجف الأشرف، مطبعة: النعمان، ١٣٨٦هـ .

٥٥. الطبرسي: الميرزا حسين بن محمد تقي النوري، (ت١٣٢٠هـ)، مستدرك الوسائل، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ .

٥٦. الطراد: حسن، فلسفة الصلاة في الإسلام، دار الزهراء، لبنان- بيروت، الطبعة: الاولى، ١٤٢٠هـ .

٥٧. طنطاوي: محمد سيد، (١٤٣١هـ)، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار السعادة .

٥٨. الطهراني: مير علي الحائري، (ت١٣٤٤هـ)، تفسير مقتنيات الدرر، تحقيق: محمد وحيد الطبسي الحائري، دار الكتاب الإسلامي، ايران- قم، المطبعة: ستاره، الطبعة: الاولى، ١٤٣٣ .

٥٩. الطوسي: محمد بن الحسن، (ت٤٦٠هـ)، التبيان في تفسير القرآن، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، إيران- قم، الطبعة: الثانية، ١٤٣١هـ .

حرف العين

٦٠. ابن عاشور: الشيخ محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر، (ت ١٣٩٣هـ)، التحرير والتنوير، دار ابن حزم، لبنان- بيروت، الطبعة: الاولى، ١٤٤٣ .

٦١. العاملي: الدكتور محمد مرتضى، النوع الاجتماعي والانحرافات الجنسية، مركز براثا للدراسات والبحوث . ب، ت .

٦٢. العاملي: علي بن الحسين بن جامع، (ت١١٣٥هـ)، الوجيز في تفسير القرآن العزيز، دار القرآن الكريم، ايران- قم، المطبعة: زنكين، الطبعة: الاولى، ١٤١٧هـ .

٦٣. عبده: محمد، نهج البلاغة، دار الفكر، لبنان- بيروت، الطبعة: الاولى، ١٤٢١هـ .

٦٤. عبدالغني: أيمن أمين، الكافي في البلاغة، دار التوفيقية للتراث، مصر- القاهرة .

٦٥. عتريسي: الدكتور طلال، الجندر المخادع، الناشر: جامعة المعارف في لبنان، لبنان- بيروت، الطبعة: الاولى، ١٤٤٤هـ .

٦٦. عتيق: الدكتور عبدالعزيز، (ت ١٣٩٦هـ)، علم المعاني، دار النهضة العربية، لبنان- بيروت، الطبعة: الاولى، ١٤٣٠هـ .

٦٧. العثيمين: محمد بن صالح، (ت١٤٢١هـ)، ، دروس البلاغة، الكويت، مكتبة أهل الأثر، الطبعة: الاولى، ١٤٢٥هـ .

٦٨. ابن العربي: محمد بن عبدالله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي، (ت ٤٦٨هـ)، أحكام القرآن، دار الكتب العلمية، لبنان- بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ .

٦٩. العلامة الحلي: الحسن بن يوسف المطهر، (ت٧٢٦هـ) تذكرة الفقهاء، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ايران- قم، المطبعة: ستارة، الطبعة: الاولى، ١٤١٩هـ .

٧٠. العلوي: محمد، وقتك حياتك، دار الكلمة الطيبة، الطبعة: الاولى، ١٤١٢هـ .

٧١. عمر: دكتور أحمد مختار عبد الحميد، (ت١٤٢٤هـ)، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ .

٧٢. العودة: سلمان بن فهد عبدالله، إشراقات القرآنية، إصدارات الإسلام اليوم، السعودية- رياض، الطبعة: الاولى، ١٤٣٧هـ .

٧٣. العياشي: محمد بن مسعود، (ت٣٢٠ هـ) التفسير العياشي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، ايران- قم، الطبعة: الاولى، ١٤٣١هـ .

حرف الغين

٧٤. الغلاييني: مصطفى، عظة الناشئين، دار المعراج، سورية دمشق، الطبعة: الخامسة، ١٤٣٨هـ .

٧٥. الغريفي: عبدالله، الجفاف الروحي الأسباب والعلاجات، الناشر: مؤسسة العارف للمطبوعات، لبنان- بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٢٥هـ .

حرف الفاء

٧٦. ابن فارس: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، (ت ٣٩٥هـ) معجم مقاييس اللغة، ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ .

٧٧. فضل الله: محمد حسين، (ت ١٤٣١هـ)تفسير من وحي القرآن، دار الملاك، لبنان- بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٩هـ .

٧٨. الفلسفي: محمد تقي، الأخلاق من منظور التعايش والقيم الإنسانية، مؤسسة البعثة، لبنان- بيروت، الطبعة: الاولى، ١٤١٢هـ .

الطفل بين الوراثة والتربية . ب، مط، ب، ط، ب، ت ،

٧٩. الفيض الكاشاني: محمد بن مرتضى، (ت ١٠٩١هـ)، الصافي في تفسير القرآن، تحقيق: السيد محسن الحسيني الأميني، مطبعة: مروى، الناشر: دار الكتب الإسلامية، ايران- طهران، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ .

حرف القاف

٨٠. القائمي: الدكتور علي، تربية الشباب بين المعرفة والتوجيه، دار النبلاء، الطبعة، الاولى، ١٤١٦.

٨١. القاسم: عبدالملك بن محمد، عقد الجمان في تفسير القرآن، دار القاسم، السعودية- رياض، الطبعة: الاولى، ١٤٣٣هـ .

٨٢. قاسم: عيسى، الزواج والأسرة، نشر: جامعة المصطفى العالمية، ايران- قم، ١٣٩٢هـ .

٨٣. قاسم: نعيم، سبيلك الى مكارم الأخلاق، دار المحجة البيضاء، لبنان- بيروت، الطبعة: الخامسة، ١٤٣١هـ .

٨٤. القحطاني: الدكتور سعيد بن علي بن وهف، الزكاة في الإسلام في الكتاب والسنة، مركز الدعوة والإرشاد بالقصب، الطبعة: الثالثة، ١٤٣١هـ .

٨٥. قراءتي: محسن، تفسير النور، دار المؤرخ العربي، لبنان- بيروت، الطبعة: ١٤٣٥هـ .

٨٦. أسرار الصلاة . ب. مط، ب، ط، ب، ت .

٨٧. القرطبي: شمس الدين (ت ٦٧١هـ)، تفسير القرطبي، تحقيق: تصحيح : أبو إسحاق إبراهيم أطفيش، الناشر: دار إحياء التراث العربي - لبنان - بيروت، ب، ط، ١٤٠٥هـ .

٨٨. القرطبي: محمد بن أحمد بن أبي بكر، (ت٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، مؤسسة الرسالة، لبنان- بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧هـ .

٨٩. القزويني: جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن احمد بن محمد، الإيضاح في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، لبنان- بيروت، الطبعة: الاولى، ١٤٢٤هـ .

٩٠. ابن قيم الجوزية: أبي عبدالله محمد أبي بكر بن أيوب، (ت٧٥١هـ)، كتاب الروح، دار عالم الفوائد .

حرف الكاف

٩١. الكتكاني: السيد هاشم بن السيد سليمان البحراني ،(ت١١٠٧-١١٠٩هـ)، البرهان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، لبنان- بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٢٧هـ .

٩٢. ابن كثير: أبي الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، (ت ٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار الطيبة، الطبعة: الاولى، ١٤١٨هـ .

٩٣. الكشميري: مهدي الموسوي، طرائق التربية دراسة في آراء الإمام الخميني التربوية، دار الولاء، لبنان- بيروت .

٩٤. الكليني: أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق، (ت ٣٢٩هـ)، الكافي، تحقيق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، ايران- طهران، الطبعة: الثالثة، ١٣٨٨هـ .

٩٥. كمال الحيدري: مقدمة في علم الأخلاق، دار فراقد، المطبعة: ستاره، الطبعة: الثانية، ١٤٢٥هـ .

حرف اللام

٩٦. اللاحم: الدكتور سليمان بن ابراهيم بن عبدالله، عون الرحمن في تفسير القرآن، دار ابن الجوزي، السعودية- الدمام، الطبعة: الاولى، ١٤٤١هـ .

حرف الميم

٩٧. المالكي: عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف أبي زيد الثعالبي، (ت ٨٧٥)، تفسير الثعالبي المسمى بالجواهر الحسان في تفسير القرآن، دار الإحياء التراث العربي، لبنان- بيروت، الطبعة: الاولى، ١٤١٨هـ .

٩٨. المجلسي: محمد باقر، (ت ١١١١هـ)، بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء، لبنان- بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ .

٩٩. المدرسي: محمد تقي، بينات من فقه القرآن(سورة النور)، دار المحجة بيضاء، لبنان- بيروت، الطبعة: الاولى،١٤٣٢هـ .

جهاد النفس بصيرة العقل واستقامة السلوك، دار المحجة البيضاء، لبنان- بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٣٦ .

الدعاء: معراج الروح ومنهاج الحياة، الناشر: المركز الثقافي الإسلامي، المطبعة: مظاهري، الطبعة: الاولى، ١٤٠٥هـ .

من هدى القرآن، دار القارئ، الطبعة: الثانية، ١٤٢٩هـ .

العرفان الإسلامي بين نظريات البشر وبصائر الوحي، الناشر: المركز الثقافي الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ .

١٠٠. المدرسي: هادي، أخلاقيات الإمام أمير المؤمنين، دار العلوم، الطبعة: الاولى، ١٤٣١هـ .

أوليات الإسلام، دار الشهيد، ب، ط، ب، ت .

١٠١. مركز نون للتأليف والترجمة: مكانة المرأة ودورها، الناشر جمعية المعارف الاسلامية الثقافية، الطبعة: الثانية، ٢٠١٠م .

١٠٢. مستر همفر: مذكرات الجاسوس البريطاني في البلدان الإسلامية، دار أنوار الهدى، نشر انوار الهدى، ايران- قم، المطبعة مهر، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٥هـ .

١٠٣. المطهري: مرتضى، الثورة والدولة، دار الرشاد، لبنان- بيروت، الطبعة: الاولى، ١٤٣٠هـ .

طهارة الروح، دار الرسول الأكرم، الطبعة الثالثة، ١٤٢٥هـ .

الفكر الإسلامي وعلوم القرآن الكريم، دار الإرشاد، لبنان- بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ .

كلمات في الطريق، مكتبة فدك، ايران- قم، المطبعة: سرور، الطبعة: الاولى، ١٤٢٧هـ .

الملحمة الحسينية، المركز العالمي للدراسات الاسلامية، ايران- قم، المطبعة: اسماعيليان، الطبعة: الثالثة، ١٤١٣هـ .

١٠٤. مغنية: محمد جواد، (ت ١٤٠٠هـ) التفسير الكاشف، دار الأنوار، لبنان- بيروت، الطبعة: الرابعة .

١٠٥. الموسوي: حسن النمر الصائغ، دور التوحيد في بناء المجتمعات والحضارات، دار الولاء، لبنان- بيروت، الطبعة: الاولى، ١٤٣١هـ .

١٠٦. الموسوي: الدكتور ضرغام كريم كاظم، البلاغة في سؤال وجواب، مؤسسة الثقلين، الطبعة: الثانية، ١٤٣٩هـ .

١٠٧. الموسوي: عباس علي، الواضح في التفسير، مركز الغدير، لبنان- بيروت، الطبعة: الاولى، ١٤٣٣ .

شرح نهج البلاغة، دار المحجة البيضاء، لبنان- بيروت، الطبعة: الاولى، ١٩٩٨ .

١٠٨. ابن منظور: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، (ت٧١١ هـ)، لسان العرب، دار صادر، لبنان- بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٤ هـ .

١٠٩. المُهري: مرتضى، الهادي في تفسير القرآن الكريم، مؤسسة المعارف الاسلامية، ايران- قم، المطبعة: عترت، الطبعة: الاولى، ١٤٣٥هـ .

١١٠. الميانجي: محمد باقر الملكي، مناهج البيان في تفسير القرآن، مؤسسة النبأ الثقافية، ايران- طهران، المطبعة: دالاهو، الطبعة: الاولى، ١٤٣٤هـ .

حرف النون

١١١. النحوي: الدكتور عدنان علي رضا، الحوافز الإيمانية بين المبادرة والالتزام، السعودية- رياض، دار النحوي، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧هـ .

١١٢. نخبة من المؤلفين: المعجم الوسيط، نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، الناشر: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ .

١١٣. النراقي: محمد مهدي، جامع السعادات، دار المرتضى، لبنان- بيروت، الطبعة: الاولى، ١٤٣١هـ .

١١٤. النسفي: أبي البركات عبدالله بن أحمد بن محمود، (ت ٧١٠هـ)، تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، دار الكلم الطيب، لبنان- بيروت، الطبعة: الاولى، ١٤١٩هـ .

١١٥. نورالدين: عباس، دروس في تهذيب النفس، مؤسسة العروة الوثقى، الطبعة: الثانية، ١٤١٤ .

١١٦. النيسابوري: نظام الدين الحسن بن محمد حسين القمي، (ت ٨٥٠هـ) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، دار الكتب العلمية، لبنان- بيروت، الطبعة: الاولى، ١٤١٦هـ .

حرف الهاء

١١٧. الهاشمي: احمد، جواهر البلاغة، الإدارة العليا للحوزات العلمية، ايران- قم، الطبعة: التاسعة، ١٣٩٦هـ .

١١٨. اليزدي: محمد تقي مصباح، الأخلاق في القرآن الكريم، دار التعارف للمطبوعات، لبنان- بيروت، ١٤٢٥هـ .

بارقة من سماء كربلاء، دار التعارف للمطبوعات، لبنان- بيروت، الطبعة: الاولى، ١٤٢٥ .

حرف الياء

١١٩. اليوسف: عبدالله أحمد، الشخصية الناجحة، دار المحجة البيضاء، لبنان- بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٩هـ .

١٢٠. خطاب: حازم، مقالة بعنوان(أخذ المبادرة في مكان العمل) من موقع https://ae.linkedin.com

١٢١. https://ketabonline.com/ar/books/103953/read?pa rt=1&page د. محمد علي زغلول و د. محمد سعيد حوى، المسارعة والمسابقة الى الخيرات في القران الكريم .

Abstract

The Holy Qur’an is the Book of God revealed to His Messenger Muhammad (may God’s prayers and peace be upon him and his family), and it is the book of guidance and light for all people. We find in it many verses that urge Muslims to take initiative .and work hard for the sake of God Almighty

It is no secret that the concept of initiative in the Holy Qur’an is one of the important and prominent topics. It represents one of the basic pillars on which the message of Islam is based, as it is considered one of the most important qualities that a Muslim should possess, and one of the most prominent characteristics that distinguish him from others. Initiative is evident in the Holy Qur’an in many forms and fields, as the Qur’an urges Muslims .to have an entrepreneurial spirit in various aspects of life

The importance of studying the subject becomes clear in that it is one of the most important means that brings the servant closer to his Lord and achieves salvation and prosperity for him in this world and the hereafter, and how it contributes to strengthening the role of the Muslim in progress and sophistication at various levels, because it represents the key to success and progress, and . .it is a characteristic of developed nations and rising peoples

From this standpoint, this thesis came to shed light on the concept of initiative in the Holy Qur’an, explain its most important manifestations and dimensions, and explain its impact

and the desired benefit from it in the life of a Muslim, by extrapolating the relevant Qur’anic texts and linking them to the .reality of Muslims

The research used two methodologies: inductive and .explanatory in answering the research problem

The most prominent titles addressed by the research were as :follows

١ - Initiative within the scope of the verses of the doctrinal

٢ - Initiation within the scope of the verses of the rulings

٣ - Initiative within the scope of educational and moral verses

The most prominent findings of the research :

1- The Holy Qur'an's interest in the concept of initiative is very interested, and this confirms the keenness of Islam to take .initiative in various fields

2- The concept of initiative is not limited to the material meaning known and comes to mind when launched, but also .includes moral meanings and concepts

3- Crystallization that the Holy Quran has a great impact on the development of Islamic values, principles and ethics by promoting the concept of initiative in Islamic societies, and .motivating and encouraging people to do so in daily life

Republic of Iraq

Ministry of Higher Education and Research

University of kerbala/ College of Islamic Sciences

Department of Quranic Studies and Jurisprudence

The concept of initiative in the Holy Qur'an, an _interpretive study

A letter submitted to the Council of the College of Islamic Sciences / University of Kerbala

It is part of the requirements for obtaining a master's degree in Sharia and Islamic Sciences

Written by student

Akram Muhammad Ali Hassan Yaqoub

supervision

M. D. Muslim Jawad Khudair

2024 1446